حضارة

مركز الأمة للدراسات والتطوير
Al Umma Center For Studies And Development

العـــدد السابـــع والعشـــرون
جمادى الآخرة 1444 هـ - كانون الثاني 2023

مجلة نصف سنوية تعنى بالشأن العراقي وقضايا الأمة
تصدر عن مركز الأمة للداراسات والتطوير



المنارة المظفرية - أربيل

أبحاث ودراسات

- الإلحاد الجديد في المجتمعات الغربية والعربية
- الحرب الأوكرانية وتداعياتها على المنطقة العربية
- التجديد الأصولي في الإمكانات والمداخل
- الآفاق المستقبلية للحد من مشكلة التصحر في العراق

ملف العدد

الخطر الإيراني على العراق والمنطقة

حوار العدد

مع الشيخ جلال الدين محمد صالح
رئيس مجلس شورى علماء أرتيريا

مركز الأمة للدراسات والتطوير

وصـف المـركـز:

مركز الأمة للدراسات والتطوير مركز متخصص يعمل في مجال إعداد البحوث والدراسات الجادة المختصة بالشأن العراقي في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية، ويهتم بالدراسات العامة في الشؤون الثقافية والعلمية والإدارية كما يُعنى بتدريب الكوادر وتطويرها وتأهيلها.

أهـداف المـركـز:

1. العناية بالدراسات والبحوث في الشؤون السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والأمنية والعلمية.
2. دراسة وتحليل المشاكل والقضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العراق ومحاولة وضع تصور أفضل لتشخيصها وكيفية التعامل معها وآلية معالجتها.
3. التعريف بثقافة مقاومة الاحتلال وممانعة مشروعه وتعزيزها ونشرها.
4. المساهمة في تنمية المجتمع العراقي على المستويات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والعلمية.
5. تدريب الكوادر وتأهيل العاملين في المجالات السياسية والقانونية والإدارية والإعلامية وحقوق الإنسان وتطوير مهارتهم.
6. رفد الجهات والمؤسسات والهيئات ذات الاهتمام المشترك بالدراسات العلمية الرصينة والبحوث الموضوعية الهادفة.

الوسائل والأنشطة:

1. تنظيم وإقامة المؤتمرات والندوات وحلقات النقاش والمحاضرات والدورات التدريبية المتخصصة وورش العمل.
2. إعداد وتأليف ونشر الدراسات والأبحاث العلمية التي تتعلق بمجالات الاهتمام المركز وأهدافه بالإضافة إلى إصدار المنشورات العلمية والدورية وغير الدورية.
3. التعاون العلمي مع الجامعات والهيئات والمراكز العلمية المتخصصة.
4. ترجمة الدراسات والإصدارات المتعلقة باهتمامات وأهداف المركز ذات المستوى العلمي المتميز.

هيكليـة المـركـز:

يتألف المركز من الهيئة الاستشارية التي تضم مجموعة من أساتذة الجامعات والمختصين ورجال الثقافة، وتتكون الإدارة من رئيس ومدير للمركز، ورؤساء الأقسام ومسؤولي الوحدات المتخصصة. وأقسام المركز ووحداته هي: قسم الدراسات، وقسم التطوير، ووحدة الرصد والتوثيق، ووحدة الترجمة، ووحدة المجلة "حضارة".

مجلـة المـركـز:

يصدر المركز مجلة نصف سنوية متخصصة تحمل اسم "حضارة" تُعنى بالشأن العراقي وقضايا الأمة.

حضارة

مجلة نصف سنوية تعنى
بالشأن العراقي وقضايا الأمة تصدر
عن مركز الأمة للدراسات والتطوير

ummacenter@gmail.com +9647824987886
alummacenter ummacenter1

العدد السابع والعشرون : جمادى الآخرة 1444 هـ – كانون الثاني 2023

المشرف العام
أحمد الفياض

رئيس التحرير
د. عبدالله حسين

مدير التحرير
د.عمار عبد الكريم عبد المجيد

سكرتير التحرير
د. ناصر الفهداوي

الهيئة الاستشارية
أ.طلعت رميح
د.عبد الحميد العاني
أ.فالح خطاب
د.محمد العاني
د.محمود المبارك

البحوث والمقالات المنشورة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

• ضوابط النشر في المجلة

1. أن تراعي البحوث والدراسات والمقالات المراد نشرها في المجلة التزام الأهداف العامة لمركز الأمة للدراسات والتطوير.
2. التزام المنهج العلمي في توثيق البحوث والدراسات والمقالات المنشورة توثيقًا علميًا بإيراد المصادر والمراجع على وفق معلومات النشر المتعارف عليها.
3. ألاّ تكون المواد المرسلة للنشر في المجلة قد نشرت، أو أرسلت للنشر في مكان آخر.
4. إرسال نصوص البحوث والدراسات والمقالات وغيرها بوساطة البريد الإلكتروني للمركز.
5. ألاّ يزيد حجم الدراسة أو البحث عن (4000) كلمة، وألاّ يقل عن (1500) كلمة، وألاّ يزيد حجم المقالة عن (1500) كلمة، ولا يقل عن (1000) كلمة.
6. يتم عرض المقالات والبحوث على لجنة علمية مختصة للتدقيق والمراجعة وإقرار النشر.
7. تدفع المجلة مكافآت نقدية للبحوث والدراسات المنشورة فيها، دعما للباحثين والدارسين الذين يتعاونون معها من أجل تأدية رسالتها في خدمة الأهداف التي أسست من أجلها.

سعر بيع المجلة في الأقطار العربية

لبنان: 50000 ليرة
العراق: 5000 دينار
البحرين: 1.5 دينار
اليمن: 160 ريال
السودان: 15 جنيه
سوريا: 5000 ليرة
الكويت: 1.5 دينار
قطر: 15 ريال
عُمان: 1.25 ريال
تونس: 5 دينار
ليبيا: 2.5 دينار
الأردن: 1.25 دينار
الإمارات: 20 درهم
السعودية: 15 ريال
مصر: 20 جنيه
المغرب: 25 درهم

محتويات العدد

الافتتاحية: 1

أبحاث ومقالات:

– الإلحاد الجديد في المجتمعات الغربية والعربية — د. فلاح الدليمي — 3
– الأبعاد الدولية للأزمة الأوكرانية وتداعياتها على المنطقة العربية — أ. طلعت رميح — 31
– التجديد الأصولي في الإمكانات والمداخل — أ.د. الحسان شهيد — 53
– التحديات التي تواجهها هوية هيئة علماء المسلمين في العراق ومنهجيتها في المعالجة والتصدي لها — أ. معاذ البدري — 67
– مفهوم الهوية وتطبيقاتها في أدبيات هيئة علماء المسلمين في العراق — أ. حارث الأزدي — 79
– التاريخ من أسفل.. الهامش والمهمَّش ودمقرطة التاريخ — د. عبد الرحيم الحسناوي — 83
– الآفاق المستقبلية للحد من مشكلة التصحر في العراق — د. عبدالناصر الراوي و د.كمال العاني — 93

ملف العدد: الخطر الإيراني على العراق والمنطقة

– الخطر الإيراني على العراق شواهده وآثاره — د. ثامر العلواني — 105
– لماذا سورية وما مدى أهميَّتها في المخطَّط الإيرانيّ — أ. معين البطين — 125
– التدخلات الإيرانية وأثرها في العلاقات بين الجزائر وإيران — أ. إدريس ربوح — 159
– التغلغل الإيراني في إفريقيا شواهده وآثاره وواقعه — أ. الصادق الرزيقي — 163

قراءة في كتاب

كتاب مؤتمر ثورة العشرين في ذكراها المئوية — 167

دراسات حضارية:

– ترجيحات الموصلي (ت 1400هـ) في تفسير أولى ما قيل في آيات التنزيل — 173
– أثر الرسوم المتحركة على عقلية الطفل المسلم – دراسة نفسية فكرية — 175

حوار العدد

مع الشيخ جلال الدين محمد صالح رئيس مجلس شورى علماء أرتيريا — 179

وثائق وتقارير:

– البيان الختامي للمؤتمر الثالث للميثاق الوطني العراقي — 189

غـربـال الـوهـم

رئيس التحرير

الحمد لله والصلاة على رسول الله وبعد، فهذه إطلالة معرفية جديدة تشرق بها شمس (حضارة) على قرائها الكرام، وهي تعرض باقة مقتطفة من الأبحاث والدراسات والمقالات المتنوعة التي امتدتْ مساحتها من شرق أوروبة (أوكرانيا) شرقًا إلى القارة السمراء غربًا؛ لتعالج عددًا من القضايا المهمة، وهي تطوِّف في رصد حركة القوى الفاعلة في مسرح الأحداث الدولية، فقد حوتْ موضوعات شتَّى من تحليل صراعات دولية، وبحث قضايا فكرية، واجتماعية، ودراسات شرعية، وأخرى تاريخية وجغرافية.

ثم تحطُّ (حضارة) ركاب البحث والفكر عند ملف هذا العدد الذي حمل عنوان (الخطر الإيراني على العراق والمنطقة)، إذ سلّط الضوء على التحركات الإيرانية، والآثار المدمرة للسياسة الخارجية والإستراتيجية الإيرانية بدءًا من العراق ومرورًا بسوريّة والجزائر وانتهاءًا بأذرعها المتغلغلة في عمق القارة الإفريقية، ويأتي هذا البيان والاختيار حرصًا منها— أي حضارة – كلَّ الحرص، وسعيًا إلى أنْ يظل أبناء هذه الأمة على وعي مدرك لهذا الخطر الذي يهددها في أسس دينها، وعمق عقيدتها، وهوية ثقافتها، فإنّه دائمًا ما يكون ثمة ما هو أبعد من الغايات والظواهر السياسية التي تخفي وراءها ما هو وثيق العلاقة بالدين وشديد التشبث بالثقافة، فلم تعد هذه السياسات تخفى على أدنى متابع للماجَرَيات السياسية، ونشرات الأخبار اليومية، بل إنَّ الشواهد التأريخية كافية في إثبات صدق هذه القراءة وصوابها، وهي ما تجعل المستهدف بهذه السياسات أكثر يقظة، وأشدَّ تحرّزًا من حبال ألاعيب هذه السياسة مهما حاول أتباع المدرسة الواقعية (البراغماتية) السياسية إنكار هذه الحقيقة أو إخفاءها، أو التخفيف من مرارتها، فالتجارب التأريخية تكذبهم، وشواهد الأمس القريب تخذلهم، ووقائع اليوم تصرخ في وجوههم بأعلى صوتها أنَّ شمس الحقيقة لا تغطى بغربال الوهم.



إنعام الكريم في
توجيه المتشابه اللفظي
في القرآن العظيم

المؤلف: د. حمدي بخيت عمران محمد

الناشر: مؤسسة البصائر للدراسات والنشر

سنة الطبع: 2022

الإلحاد الجديد في المجتمعات الغربية والعربية
مفهومه ونشأته وأسباب ظهوره وسُبُل مواجهته

د. فلاح عبد محمد الدليمي[1]

• المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، خلق العباد، وأبان لهم صحيحَ الاعتقاد، وأمرهم بالدين الخالصِ والإفراد وحذَّرهم من دروب الشرك والإلحاد، وتعالى سبحانه عن الشُركاء والأنداد، واتخاذ الصاحبة والولد والصلاةُ على النبيِّ المصطفى، والرسول المجتبى خيرُ العباد، والهادي إلى سبيل الرشاد، وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأخيار، وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم التناد، أمَّا بعد:

فإنَّ الإلحادَ الجديدَ الذي أصبحَ خطرًا كبيرًا يتمثَّلُ في إنكارِ وجود الإلهِ الخالقِ —سبحانه وتعالى– أصلُ الأصول، ومقدمةُ المقدمات، ومن هنا تَبرزُ مُشكلةُ البحثِ فالملحدون يقدِّمون فرضياتٍ ونظرياتٍ خاطئةٍ حول قضية الخلق، فضلًا عن نشاطهم في ترسيخِ مفاهيمَ خاطئةٍ في حياة المجتمع الغربيّ، فيدعون إلى حياةٍ لا رحمةَ فيها، ولا حقوقَ، ولا أخلاقَ، والبقاءُ فيها للأقوى.

ولأنَّنا مسلمون فلن نرضى أو نقبل بإلحادٍ يتنكر أو يرفض الإقرار في وجود الخالق – سبحانه وتعالى – ولن نقبل بإلحادٍ يرفع شِعار لا رحمة والبقاء فيه للأقوى فيتنكَّر لحقوق الوالدين والمجتمع والنَّاس أجمعين، ولن نقبل بإلحادٍ لا مكان فيه للأخلاق، فيدعو إلى الإباحية والاغتصاب وقتل الأطفال الأجِنة بالإجهاض، ولن نقبل بإلحادٍ لا مكان فيه لحُب الأوطان، فيبيعه بأبخسِ الأثمان، ومن هذا المنطلقِ سأركز في بحثي هذا على بيان مفهوم الإلحاد الجديد ونشأته وأبرز رموزه للوصول إلى أسباب ظهوره، فكان هذا البحث الموسوم بـ(الإلحاد الجديد في المجتمعات الغربية والعربية مفهومه ونشأته وأسباب ظهوره وسبل مواجهته).

وسنركز في هذا البحث على مفهوم الإلحاد ونشأته وأبرز رموزه للوصول إلى بيان أسباب ظهوره وسبل مواجهته، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسّلام على خير الأنام وعلى آله وصحبه أجمعين.

• المبحث الأول: الإلحاد الجديد مفهومه ونشأته وأبرز رموزه:

إنَّ دراسة الإلحاد ببيان نشأته، وأسباب ظهوره تتطلب منَّا بيان ركائز مهمة نرتكز عليها في توصيفنا لهذا الخطر الكبير، ومن هذه الركائز بيان معنى

(1) مدير ثانوية الكوفة الإقرائية– دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية– ديوان الوقف السني.

ومصطلح الإلحاد والألفاظ ذات الصلة به.

وللإفادة أضع في هذا المبحث بيانًا مُفصلًا لمعنى الإلحاد في اللغة والشرع والاصطلاح، ثمَّ بيان لمصطلح الإلحاد والإلحاد الجديد عند غير المسلمين لا سيما علماء الغرب.

ويُعد هذا المبحث بمثابة الركيزة الأولى في توصيف معنى الإلحاد، والإلحاد الجديد وذلك ببيان جذوره ونشأته في العصر الحديث وأبرز رموزه، بغية بيان أسباب ظهوره، وهي كما يأتي:

المطلب الأول: مفهوم الإلحاد عند العلماء المسلمين المتقدمين والمُحدَثِين:

أولاً: مفهوم الإلحاد في اللغة والشرع: إنَّ بيان وتحرير معنى الإلحاد في اللغة والاصطلاح له من الأهمية بمكان، كونه يُحدد معنى الإلحاد، كي نميزه عن الإلحاد بالمفهوم العام (الإلحاد اللغوي).

1- معنى الإلحاد في اللغة العربية:

الإلحاد كلمةٌ عربيةٌ فصيحة يُراد بها الميل عن الشيء، والابتعاد عنه، قال الخليل -رحمه الله تعالى-: (واللحد: ما حفر في عرض القبر، وقبر ملحد... والرجل يلتحد إلى الشيء: يلجأ إليه ويميل، وألحد إليه ولحد إليه بلسانه أي مال... وألحد في الحرم، (ولا يقال: لحد)، إذا ترك القصد ومال إلى الظلم ومنه قوله – عز وجل – ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[سورة الحج: من الآية 25]، يعني في الحرم)[1].

وقال ابن فارس-رحمه الله تعالى- في معناها:(لحد: اللام والحاء والدال أصل يدل على ميل عن استقامة، يقال: ألحد الرجل، إذ مال عن طريقة الحق والإيمان)[2]، وبمعنى آخر:(الملحدُ: العادل عن الحق المُدخل فيه ما ليس منه)[3].

والذي يتضح ممَّا تقدم أنَّ مصطلح الإلحاد في اللغة، هو مصطلح عام يتضمن الميل، والعدول عن الاستقامة، وعن الدين، فهو يستعمل في كل معوج غير مستقيم، فأصل الإلحاد في كلام العرب: هو العدول عن القصد، والميل والجور، والانحراف.

2- مفهوم الإلحاد في الشرع: (هو الميل عن الدين الحق، فقد يكون الإلحاد بالشرك وإعطاء خصائص الألوهية لغير الله —عز وجل- أو بإشراك آلهة أخرى مزعومة معه —سبحانه وتعالى- وقد يكون الإلحاد بإنكار وجود الله — عز وجل-)[4].

وفي تعريف آخر للشيخ عبد الرحمن الدوسري، الإلحاد: (هو الميل عن الحق، والانحراف عنه بشتى الاعتقادات والتأويل، ولذا سمي لحد القبر لحدًا لميله عن وسطه إلى جانب من جوانبه)[5]، أو هو: (الميل عمَّا يجب اعتقاده، أو عمله)[6]، وأمَّا الملحد: (العادل عن الحق)[7].

فمعنى الإلحاد في الشرع هو الميل والانحراف عن الحق إلى الباطل، وبعبارة أشمل فهو الميل بالعقيدة الصحيحة من الحق إلى الباطل بكل صوره، سواء كان ميلًا إلى الإلحاد، أو الردة، أو الكفر أو الشرك بالله —سبحانه وتعالى- أو الاستهزاء بالدين، أو البدعة، والإلحاد في الشرع يتضمن كل هذه المعاني.

(1) العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، (باب: الحاء والدال واللام معهما)، 3/182-183.
(2) مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، (كتاب اللام، باب اللام والحاء وما يثلثهما)، 5/ 236.
(3) معاني القراءات للأزهري: أبو منصور الأزهري، 1/ 430.
(4) النظريات العلمية الحديثة: حسن الأشري، 2/1417.
(5) ينظر: الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة: عبد الرحمن بن محمد الدوسري، ص40.
(6) فتح رب البرية بتلخيص الحموية: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ص21.
(7) مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني: محمد بن أبي المحاسن، ص186.

ثانيًا: مفهوم الإلحاد والملحد في الاصطلاح عند علماء المسلمين المتقدمين والمُحدَثِين:

1- مفهوم الإلحاد في الاصطلاح :

قال الشهرستاني -رحمه الله تعالى-: (أمَّا تعطيل العالم عن الصانع العظيم، القادر الحكيم، فلست أراها مقالة، ولا أعرف عليه صاحب مقالة، إلا ما نقل عن شرذمة قليلة من الدهرية [1])[2].

وبيَّن الإمام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- معنى الإلحاد بمثل معناه المعاصر، فقال:(فإنَّ الإلحاد المحض، نفي الصانع بالكلية، وأنَّ هذا العالم الموجود ليس له صانع)[3].

> **لن نقبل بإلحادٍ يرفع شِعار لا رحمة والبقاء فيه للأقوى فيتنكَّر لحقوق الوالدين والمجتمع والنَّاس أجمعين، ولن نقبل بإلحادٍ لا مكان فيه للأخلاق، فيدعو إلى الإباحية والاغتصاب وقتل الأطفال الأجِنة بالإجهاض، ولن نقبل بإلحادٍ لا مكان فيه لحُب الأوطان، فيبيعه بأبخسِ الأثمان.**

ومن المعاصرين فقد عرفه ابن حَبَنَّكَة -رحمه الله تعالى- فقال:(الإلحاد وهو إنكار وجود ربّ خالق لهذا الكون متصرف فيه يدبّر أمره بعلمه وحكمته، ويُجري أحداثه بإرادته وقدرته)[4]، كما عرَّفه الشيخ سفر الحوالي-رحمه الله تعالى-: (الإلحاد بمعنى إنكار الخالق)[5].

2- معنى الملحد (Atheist) في الاصطلاح عند العلماء المُحْدَثِين والمعاصرين المسلمين:

وأمَّا تعريف الملحد نفسه فهو لا يختلف عن معنى الإلحاد، ويمكن بيان أهم التعاريف الواردة في بيان معنى الملحد، وكما يأتي:

التعريف الأول: بيَّن الدكتور سعيد القحطاني أنَّ المراد بالملحدين في هذا العصر: (من أنكروا وجود رب خالق لهذا الكون، متصرف فيه، يدبر أمره بعلمه وحكمته، ويجري أحداثه بإرادته وقدرته واعتبار الكون أو مادته الأولى أزلية، واعتبار تغيراته قد تمت بالمصادفة، أو بمقتضى طبيعة المادة وقوانينها واعتبار الحياة ... من أثر التطور الذاتي للمادة)[6].

التعريف الثاني: (الملحد هو المنكر لوجود الله تعالى، سواء لاعتقاده الجازمِ باستحالة وجود خالق (Strong Atheist)، أو أنَّ وجودهُ أمرٌ ضعيف الاحتمال جدًا (Defacto Atheist)[7].

يمكن أن نصوغ تعريفًا للإلحاد بتعريف جامع مانع لكل ما تقدم من معانٍ، فأقول: الإلحاد هو مفهوم يطلق على الفرد أو الفئة للدلالة على النفي المحض لوجود الله -سبحانه وتعالى- الخالق لكلِّ شيء، وعلى الإنكار لكل خَبرٍ، أو أمر إلهي متعلق بتصديق الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، أو الإيمان بالغيبيات.

---

(1) الدهرية: هم الذين يقولون بقدم العالم، وقدم الدهر، وينكرون الربوبية، والعقاب والثواب، والبعث والخلق من جديد، ولا يقولون بحدود ولا أحكام، وينكرون الرسالات من الله -سبحانه وتعالى- وعقيدتهم تُبنيت على الظنون شأنهم شأن الملاحدة في كل عصر، وقالوا بالطبيعة التي تُحيي وتتصرف بالأكوان، وبالدهر الذي يفني، ويسمون بالملاحدة، وقد أخبر الخالق -سبحانه وتعالى- عن إلحادهم هذا، فقال -عز وجل-: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ الجاثية: 24 ، ينظر: الحور العين: نشوان بن سعيد الحميري اليمني، ص143؛ وتخجيل من حرف التوراة والإنجيل: صالح بن الحسين الجعفري، 278/1.

(2) نهاية الأقدام في علم الكلام: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، ص123.

(3) جامع المسائل-المجموعة الرابعة: شيخ الإسلام ابن تيمية، 425/1.

(4) كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة، ص433.

(5) أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية: الدكتور: سفر الحوالي، ص110.

(6) كيفية دعوة الملحدين إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة: د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ص8 ؛ ومقالة بعنوان: الواقع الإلحادي المعاصر: إيمان بنت إبراهيم الرشيد شبكة الألوكة: الرابط الإلكتروني:(www.alukah.net)، ص3.

(7) الإلحاد للمبتدئين دليلك المختصر في الحوار بين الإيمان والإلحاد: د. هشام عزمي، ص14.

المطلب الثاني: معنى الإلحاد والملحد والإلحاد الجديد عند علماء الغرب:

أولًا: معنى الإلحاد (Atheism) عند علماء الغرب المعاصرين:

على الرغم من أنَّ الإلحاد الجديد صناعة أوربية بامتياز، إلا أنَّه ليس هناك إجماع بين الغربيين المتأخرين والمعاصرين على تعريف الإلحاد، ولكنَّهم عبروا عن الإلحاد بكلمات متشابهة مشتقة من اللفظ اليوناني (ATHEOS)، وتتكون هذه الكلمة من مقطعين (A)، بمعنى فقدان أو غياب و (THEOS)، بمعنى الإله، ويكون معنى الكلمة (ATHEOS)، بمعنى نفي الإله أو نفي الله وتطلق على الشخص الذي لا يعتقد بالإيمان بالله، سواء نفى وجوده، أم لا [1].

ولا ريب أنَّ ما يهمنا في هذا البحث هو المعنى الاصطلاحي الأخص المستعمل فيما يتعلق بإنكار الملحدين للوجود الإلهي بحسب زعمهم، وليس المقصود معناه اللغوي بالمفهوم العام الذي تقدم بيانه.

وفيما يأتي تعريفات للإلحاد المعاصر عند علماء الغرب ترجمتها عن كتبهم باللغة الإنجليزية أو نقلتها من الكتب المترجمة إلى اللغة العربية:

التعريف الأول: ألفن بلانتنجا[2](Alvin Plantinga)، عرَّف الإلحاد: (الاعتقاد بأنَّه لا وجود لشيءٍ مثل إله الأديان الألوهية)[3].

التعريف الثاني: قال به چوليان باغيني، (Julian Baggini)، البريطاني: (الإلحاد هو الإيمان أنه لا يوجد إله، أو آلهة)[4].

ثانيًا: معنى الملحد (Atheist) عند علماء الغرب المعاصرين:

أمَّا تعريف الملحد عند علماء الغرب، فيمكن أن نذكر بعضًا من تعريفاتهم، وكما يأتي:

التعريف الأول: للعالم الهولندي بول كليتيور (Paul Cliteur)، فقال:(الملحد لا يؤمن بالإله الذي يفضله اللاهوتيون)[5].

التعريف الثاني: للأمريكي مايكل مارتن (Michael Martin)، فقال: (الملحد هو الذي ليس له إيمان بالإله ولكن لا يعني ذلك أنه يؤمن أن الإله غير موجود)[6].

التعريف الثالث: أوردته الموسوعة الفرنسية، فعرفت المُلحد: (هو الشخص الذي يحصل على كل التعاليم التي يمكن للدين أن يمده بها عن وجود الله، ثم يدَّعي أنَّ الله لا وجود له)[7].

ثالثاً: معنى الإلحاد الجديد (New Atheism):

إنَّ الإلحاد الجديد وهو موجة إلحادية جديدة ظهرت في أوروبا وأمريكيا، وأصحاب هذا الإلحاد لم يدعوا إلى إنكار الإله فحسب؛ بل ويهاجمون الداعين لإثبات وجود الإله الخالق –سبحانه وتعالى– لا سيما اتباع الدين الإسلامي، وما نراه اليوم من ظهور

(1) ينظر: موسوعة الفلسفة: د. عبد الرحمن بدوي، 219/1.

(2) هو ألفن بلانتنجا أستاذ الفلسفة في جامعة نوتردام شغل منصب رئيس جمعية الفلاسفة المسيحيين، ورئيس الجمعية الفلسفية الأمريكية من مؤلفاته: العلم والدين والمذهب الطبيعي، ينظر: هل الإلحاد لا عقلاني ؟: جاري جتنج، ألفن بلانتنجا، ص1.

(3) هل الإلحاد لا عقلاني ؟: جاري جتنج، ألفن بلانتنجا، ص1.

(4)-Atheism:(A Very Short Introduction)،Julian Baggini(STERLING، New York /London)، p(4).

(5)-The Definition of Atheism، (Journal of Religion & Society، Vol. 11، p(1).

(6)-Atheism: A Philosophical Justification، p(1).

(7) الإلحاد وأسبابه الصفحة السوداء للكنيسة: أ. د: زينب عبد العزيز، ص7.

ما يسمى الإسلام فوبيا، وشدة عداوتهم للمسلمين في بلاد الغرب والشرق لهو دليل واضح على تطور الإلحاد، وهو ما يطلق عليه بالإلحاد الجديد.

فالإلحاد الجديد يتصف بطبيعةٍ عدائية متعاظمة، وقد ظهر بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر في سنة: (2001م)، ويمكن أن نختار تعريفين للإلحاد، والملحد الجديد، وكما يأتي:

التعريف الأول: الإلحاد الجديد عرفه الدكتور عمرو شريف، بقوله: (يطلق اصطلاح الإلحاد الجديد (New Atheism) في الغرب على الأفكار التي طرحها مجموعة[1]، من الكُتّاب الملاحدة والتي تنتهي أنه لا يكفي التعايش بين الإلحاد والدين، بل ينبغي مهاجمة الألوهية، والمفاهيم الدينية ونقدها، وطرحها للتحليل العلمي والموضوعي)[2].

التعريف الثاني: للدكتور هشام عزمي، فعرف الملحد الجديد (New Atheist)، بقوله: (هو اصطلاحٌ معتبرٌ في الدوائر الثقافية والفكرية والفلسفية، رغمَ وجود تحفظاتٍ على استعماله في الدوائر الأكاديمية ويشير إلى موجةٍ إلحادية متعاظمة في الغرب بعد أحداث (11 سبتمبر 2001م)[3].

وتأسيسًا على ما سبق يمكن أنَّ أُعرف الإلحاد الجديد: بأنَّه موجه إلحادية جديدة معادية تدعو إلى الإنكار والنفي المحض للخالق –سبحانه وتعالى– بحيل فلسفية وبنظريات مصبوغة صبغة علمية، ومغالطات منطقية؛ لإقناع النَّاس بفكرهم وإلحادهم، بُغية السيطرة على شعوب العالم التي ينتشر فيها الإلحاد.

المطلب الثالث: نشأة الإلحاد الجديد (New Atheism) :

من الضروري الحديث عن نشأة الإلحاد الجديد والتي أفردتها بمطلب مستقل لأهميتها وسأبيّن في هذا المطلب بداية نشوء الإلحاد الجديد، وطابع هذا الإلحاد.

إنَّ الإلحاد له جذور عبر التاريخ كما بيَّنا ذلك في المراحل السابقة من نشأته، إلَّا أنَّ أحداث الحادي عشر من سبتمبر في عام (2001م)، التي استهدفت برجي التجارة العالمية في الولايات المتحدة الأمريكية، كان لها ردة فعل غاضبة، وسببٌ كبير في تطور الإلحاد إلى النزعة المعادية للدين، لا سيما العداء للدين الإسلامي والمسلمين، وهو ما يسمى اليوم بالإلحاد الجديد.

فمصطلح الإلحاد الجديد شاع بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وما قبلها كان الملحدون لا سيما في أوروبا وأمريكيا منخرطون كثيرًا في الطعن في الأديان، أو بالدعوة إلى استئصال تلك الأديان ومحوها من المجتمعات البشرية، وممَّا زاد من النزعة العدائية بعد هذه الأحداث هو إعلان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية جورج بوش (الابن) الحرب الصليبية على العالم الإسلامي، فقامت بغزو أفغانستان والعراق، فشعر الملحدون أنَّ حروب الأديان ستؤدي إلى قيام حرب عالمية ثالثة تبيد الجنس البشري بأكمله، وأنَّ الأديان بهذه الصورة أصبحت خطرًا على الحضارة، وأنَّه لا خلاص منها إلَّا بأن يصبح النَّاس والعالم بلا دين[4].

فما أن بدأت تتقشع أنقاض برجي التجارة العالمي،

(1) ومن أبرز دعاة الإلحاد الجديد من المعاصرين ما يطلق عليهم في العام 2007م، بالفرسان الأربعة، وهم كل من: (البيولوجي ريتشارد دوكنز، والفيلسوف دانيل دينيت، وطبيب الأعصاب سام هاريس، والإعلامي كريستوفر هتشنز) ينظر: مليشيا الإلحاد: عبد الله بن صالح العجيري، ص79.

(2) خرافة الإلحاد: د. عمرو شريف، ص359.

(3) الإلحاد للمبتدئين دليلك المختصر في الحوار بين الإيمان والإلحاد: د. هشام عزمي، ص15.

(4) ينظر: الإلحاد للمبتدئين: د. هشام عزمي، ص15–16.

إلَّا وقد بدء معها التحضير لحملة عالمية على الإسلام، والفكر الإسلامي عمومًا، وتنادت أصوات لا سيما في الغرب بشكل خاص تنادي وتطالب بإقصاء الإسلام ورميه بتهمة الإرهاب عامة، بل تطورت الحملات لتنادي أنَّ لا مكان للإسلام في عالم اليوم، فبدأوا بالتشكيك والتشويه من الداخل والخارج بالدين الاسلامي، مستهدفين عقيدته وشريعته، وثوابته، بل استهدفوا المسلم في حياته ووجوده[1].

فكان بعد هذه الأحداث تطور في وسائلِ الإعلام الغربي، وبحماسةٍ شديدة في الدعوة إلى الإلحاد فبدأ الإعلام في تناول مواضيع إلحادية نحو موضوع وجود الله (The God debate)، بل واصبح للإلحاد الجديد رموزًا ونجومًا أمثال ريتشارد دوكنيز، تخاطب المجتمعات الغربية بوسائل متنوعة[2].

فالملحد ريتشارد أعلن أنَّ بداية إلحاده الجديد كان يرجع إلى أحدث: (11 من سبتمبر في عام 2001م)، وأنَّ هذه الأحداث قد حولتهُ من ملحدٍ مسالم إلى ملحدٍ عدائي أصُولي ضد الإسلام، بل إنَّ هذا الحدث ولَّد ردَّةَ فعلٍ كبيرةً تِجاه تشجيع المُلحِدين على تبني دورًا كبيرًا مقرونًا بالمضامين الإلحادية، حتى إنَّ بعضهم قام في الطُرقات برفع لوحاتٍ إلحادية، تُنادي المارَّة وتدعوهم للإلحاد[3].

وأمَّا في مجال الكتابة والتأليف فقد صدرت عدَّة مقالات ومنشورات وكُتُب في الدعوة إلى الإلحاد الجديد ككتاب: (نهاية الإيمان)، لسام هارس، و([وهم] الإله)، لريتشارد دوكنيز، والأخير ألف كتابه هذا بأسلوب ساخرٍ، ويصف كتابه بأنَّ القراء الذين سيفتحونه سيتحولون للإلحاد بمجرد قراءته، كما برز كثير ممن دعاة الإلحاد، كالفرسان الأربعة، ورموز الإلحاد الجديد[4].

الإلحاد هو مفهوم يطلق على الفرد أو الفئة للدلالة على النفي المحض لوجود الله –سبحانه وتعالى– الخالق لكلِّ شيء، وعلى الإنكار لكل خَبرٍ، أو أمر إلهي متعلق بتصديق الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، أو الإيمان بالغيبيات.

وفي الحقيقة أنا قرأت هذه الكتب عدة مرات لا سيما كتاب ريتشارد دوكنيز، فوجدته كتابًا فارغًا ومليء بالمغالطات المنطقية، ولا توجد فيه أي: معلومة علمية إلَّا الأسلوب الفلسفي السَّاخِر، والجرأة على الكفر والإلحاد، والتعدي على الإله الخالق –سبحانه وتعالى– بطريقة لم أستطع أن أنقل عباراته خوفًا من تكرار ما تلفظ به، والعجيب أنّي بحثتُ عن هذا الكتاب في بغداد في شارع المتنبي فرأيت بعض كتب الإلحاد، ووجدت أنَّ هناك مركزًا ثقافيًا يتواجد فيه بعض المُلحدين ولهم أيَّام مخصوصة يتواجدون فيها.

وبالرغم من مهاجمة الملحدين الأديان كالمسيحية بشكل عام، وللإسلام والمسلمين بشكل خاص، إلَّا أنَّ الملاحظ في خطابتها عدم تطرقهم لليهودية، ولا الصهيونية العالمية، أو ذكر الاحتلال والمظالم التي يمارسها اليهود في فلسطين الحبيبة تجاه الشعب الفلسطيني لا سيما في حقه في أرضه وإنشاء دولته وعاصمتها القدس الشريف.

(1) ينظر: ينبوع الغواية الفكرية: عبد الله بن صالح العجيري، ص5.
(2) ينظر: مليشيا الإلحاد مدخل لفهم الإلحاد الجديد: عبد الله بن صالح العجيري، ص23.
(3) ينظر: وهم الإلحاد: د. عمرو شريف، ص16.
(4) ينظر: مليشيا الإلحاد مدخل لفهم الإلحاد الجديد: عبد الله بن صالح العجيري، ص24.

وهذا ما يؤكده المحلل الكندي براندون مارتنز فقد لاحظ أنَّ الملحدين الجُدد يتسابقون بشكل غريب للقول بأنَّه لا مُبرر للهجوم على الصهيونية وإسرائيل مع الحرص المستمر على التصفيق بشكل روتيني للحروب في العالم الإسلامي، فقال ما نصه: (إنَّه من غير المشقة ملاحظة الأصول الدينية المحددة للكثير من الملحدين الجدد)[1].

وهذا يتطلب منَّا أن نبذل قصارى جهدنا وإمكاناتنا الفكرية والمادية في مواجهة موجة الإلحاد الجديد، والخطر الكبير بكل السُبل والوسائل، فهو خطر يتعلق بمصير الأفراد، والمجتمعات والدول الإسلامية، لا سيما في بلدي العراق، فالمبادرة المبادرة بالأنفاس وبالأقلام والأفكار، والأقوال الموجهة وبالسلطة الحازمة قبل أن يتحول هذا الخطر إلى ظاهرة في مجتمعاتنا.

ويرى البعض أنَّ بداية الإلحاد الجديد كانت في العام: (2006م)، ففي هذا العام، ظهر في الغرب تغيرًا جديدًا في مفهوم الإلحاد أطلق عليه مصطلح: (الإلحاد الجديد)، الذي لم يكتفِ بالأسلوب الفلسفي المنطقي، ونظرته للأمور نظرة ماديَّة، بل إنَّه رُفض رفضًا شديدًا التعايش بين الإلحاد والدين، فضلًا عن ذلك لم يكتف بإنكاره للألوهية والمفاهيم الدينية، وطرحها للعلم التجريبي والتحليل العلمي، بل زاد على ذلك بتبني أسلوب الهجوم والسخرية من الدين والإيمان بالخالق –سبحانه وتعالى–[2].

وفي سبيل إنجاز هذا الهدف للملاحدة الجدد نلاحظ تكثيفًا للكتابة والتأليف في مجال الإلحاد العلمي، لا سيما بين عامي: (2004–2007م)، بل تجد هناك نظريات ودعوات ممزوجة بالطرح الكاذب المتستر بالأسلوب العلمي، والاستعانة بأحدث وسائل التكنولوجيا للوصول إلى هدفهم في زعزعة الإيمان وبوجود خالق لهذا الكون، بل كل جهدهم يصبُ في هدف أساسي لهم، وهو إيصال فكرة عدم وجود الإله [3]، تعالى الله عمَّا يعملون ويصفون.

ولاريب أنَّ هذه النزعة العدائية الجديدة المتمثلة بالإلحاد الجديد هي امتداد للإلحاد الذي تطور في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، فقد اتفق المؤرخون عامةً على أنَّ تنامي ظاهرة الإلحاد هو ظاهرة غربية حديثة، وأنَّها أُولى المجتمعات التي جاهرت ونادت إلى الرفض العام للألوهية[4].

> **الإلحاد الجديد: هو موجه إلحادية جديدة معادية تدعو إلى الإنكار والنفي المحض للخالق –سبحانه وتعالى– بحيل فلسفية وبنظريات مصبوغة صبغة علمية، ومغالطات منطقية؛ لإقناع النَّاس بفكرهم وإلحادهم، بُغية السيطرة على شعوب العالم التي ينتشر فيها الإلحاد.**

واستنادًا لبعض الدراسات الإحصائية؛ فإن انتشار الإلحاد في العالم بدء يتنامى بشكل خطير ومن هذه الدراسات الإحصائية ما قامت به أكبر المؤسسات الإحصائيــة في أوروبا، وهي مؤسسة: (يوريــا روميتر)، فقد ذكرت في سنة (2005م)، أن نسبة: (18%)، من سكان أُوروبا ملحدين فلا يؤمنون بوجود الإله الخالق، وأن نسبة: (27%)، يؤمنون بقوة روحانية، أو

(1) ينظر: مقالة بعنوان: (الملحدون الجدد» يتجنبون انتقاد اليهودية أو المشروع الديني لإسرائيل ويركزون على مهاجمة الإسلام فقط)، جريدة القدس العربي، بتاريخ: 2015/2/26م، الموقع الإلكتروني (https://www.alquds.co.uk).

(2) ينظر: وهم الإلحاد: د. عمرو شريف، ص16 ؛ ومحاضرة بعنوان:(نشأة الإلحاد المعاصر): د. عمرو شريف، لقاء تلفزيوني أجرته قناة الاستقامة الفضائية، الرابط الإلكتروني: (https://www.youtube. com/watch?).

(3) ينظر: الإلحاد للمبتدئين دليلك المختصر في الحوار بين الإيمان والإلحاد: د. هشام عزمي، ص359.

(4) ينظر: نفسية الإلحاد: د. بول سي فيتز، ترجمة: مركز دلائل، ص17، 112.

قوة وراء هذه الحياة[1].

> **بالرغم من مهاجمة الملحدين الأديان كالمسيحية بشكل عام، وللإسلام والمسلمين بشكل خاص، إلَّا أنَّ الملاحظ في خطابهم عدم تطرقهم لليهودية، ولا الصهيونية العالمية.**

فبعد العام (2006م)، وفي ضوء تتبعي لهذا التاريخ وجدت أنَّ هناك نشاطًا ملحوظًا في الدعوة إلى الإلحاد وعدائيته لا سيما للدين الإسلامي، فهذا الملحد ريتشارد دوكينز يعرض فلمًا وثائقيًا عن الإلحاد باللغة الإنكليزية[2]، وآخر مترجم للغة العربية بعنوان: (أصل كل الشرور- Root Or All Evils)، وعند مشاهدتي للفلم وجدته فلمًا طاعنًا في الدين، بل ويعده سببًا في كل الحروب، وفيه اعتداء وتهجم على الذات الإلهية: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾، [سورة الإسراء: الآية: 43].

وبعد هذا التاريخ بدأت حملة كبيرة للدعوة إلى الإلحاد وقد أخذت هذه الدعوة اشكالًا متعددة بتأليف الكتب والنشرات والمقالات، والمجلات ومواقع التواصل الاجتماعي، والموسيقى، الإلحادية والأفلام الوثائقية، والسينمائية، فهذا فلم شاهدته بعنوان: (الحافة – The Ledge)، أنتج في العام: (2011م)، ويدور الفلم بين مؤمن وملحد، يقول الملحد: (الله لا دليل على وجوده)، ثم يستطرد الملحد في هذا الفلم ويذكر بأنَّ من أسباب إلحاده هو أحداث الحادي عشر من سبتمبر[3].

ومع كل هذه المحاذير من التحول في فكر الإلحاد من الإلحاد الفلسفي إلى الإلحاد الجديد العدائي، فإنَّه يحتاج إلى دراسات مفصلة، عن أسباب ظهوره، وسبل مواجهته مواجهة شاملة، وهذا ما سأبينه في هذا البحث بتوفيق الله وفضله، فلا نكتفي بالرد أو النقد، أو التفسير، وبيان الأسباب، بل المواجهة الشاملة للإلحاد؛ كونه يدعو إلى إنكار الخالق –سبحانه وتعالى– فهم ينكرون أصل الأصول، وينكرون بذلك ما ثبت بالعقل، والحس، والفطرة والمنطق، والنقل.

إنَّ هذا التحوُّل في الإلحاد لم يكن وليد يوم وليلةٍ، بل جاء نتيجة مراحل من الانحطاط التي مرَّت بها المجتمعات الأوروبية؛ هذه المجتمعات التي كانت ترى نوعًا ما أنَّ الشذوذ الجنسي هو مرض وانحراف، وكانوا يعرِّفون الشاذ، بأنَّه: (هو الذي يمارس انحرافات، أو صور نشاط تناسلي ليس في اتفاق مع الثقافة، أو الأعراف العامة لمجتمعه)[4].

ثمَّ ذابت هذه المفاهيم وهذه الحساسيَّة بالتدريج نتيجةً لاتساع دائرة الشاذِّين والغارقين فيها من نُخب ساسة، وعوام النَّاس، وبدأوا باستبدال وصف الشُّذوذ الجنسي، بإضفاء صبغة العلمية الكاذبة عليه، فأنتجوا البحوث العلمية، والأفلام العلمية، وأسندوها بالخطاب الطبي لتقرير ذلك الانحراف وقبوله في مجتمعاتهم، بل تعدى الأمر إلى وصولهم للمثليَّة الجنسية، وظهور(حركة الفخر بالمثليَّة)[5]، وأطروها بالقوانين، وكتبوها

(1) ينظر: الإلحاد وسائله، وخطره، وسبل مواجهته: د. صالح بن عبد العزيز بن عثمان سندي، ص17.
(2) ينظر: فديو يوتيوب، بعنوان: (أصل كل الشرور– الجزء الأول)، ريتشارد دوكينز، 2006م، الرابط الإلكتروني: (https://www.youtube.com/watch?v=IU4USemrNR4&feature=share).
(3) look: movie:(The Ledge)، 92011-10-، Electronic link: (https://www.youtube.com/watch?v=fkhOLImItcQ).
(4) آثار ونتائج الانحرافات الفكرية– الإلحاد نموذجًا: أنور بن قاسم الخضيري، ص20.
(5) حركة الفخر بالمثلية (GAY PRIDE)، وهي حركة تدعو الشاذين المثليين للفخر والتباهي بميولهم الجنسية، واعتبارها أمر طبيعي، وإلى عدم الخجل منها، ينظر: كتاب [وهم] الإله: لريتشارد دوكنيز: ترجمة بسام البغدادي، ص7.

في دساتيرهم[1].

ويقول الدكتور محمد المهدي: (حيث تُبذل جهودا هائلة لجعل الجنسيَّة المثليَّة سلوكًا مقبولًا على المستوى الفردي والجماعي، بل قد يتجاوز بعضهم مسألة القبول إلى مسألة الفخر والخروج في مظاهرات علنية تفخر بهذا السلوك)[2].

فالإلحاد المعاصر والجديد والمتمثل بإنكار وجود الله —سبحانه وتعالى– وأنَّ المادة هي أصل الكون، والاعتقاد بالعلم التجريبي المبني على الفرضيات لا الحقائق، لم يعرف في تاريخ البشرية كظاهرة إلَّا في العصر الحديث في القرون الثلاثة الأخيرة، حيث ظهرت مذاهب وفلسفات تدعو إلى الإلحاد، وتجاهر في دعوتها بإنكار وجود الله —سبحانه وتعالى– بل إنَّ الإلحاد الجديد برز كظاهرة معادية للدين، وبكل ما يحمل من تعاليم ومبادئ، وأخذ الأمر يتسع لا سيما في زمن انتشار وسائل التواصل الاجتماعي[3].

المطلب الرابع: أبرز دعاة الإلحاد الجديد (Advocates of the new atheism):

تزامن مع بدأ موجة الإلحاد الجديد المعادي لكل ما هو دين سماوي، بروز ظاهرة العدائية على الإسلام والمسلمين، وقد رافق ذلك أنَّ الملاحدة بدأوا يؤلفون كُتبًا في الإلحاد ونقد الدين، ولقِّبوا بالملاحدة الجُدد، ومن أشهر دعاة الإلحاد المعاصرين (دعاة الإلحاد الجديد)، ما يأتي:

أولاً: ما يسمى بالفرسان الأربعة (أبرز دعاة الإلحاد):

في يوم (30 سبتمبر 2007م)، تقابل أربعة ملحدين مشهورين، وهم:(ريتشارد دوكينز، وسام هاريس، وكريستوفر هيتشنز، ودانيال دينيت)، في مقر إقامة هيتشنز في العاصمة واشنطن في نقاش خاص استمر لمدة ساعتين، وتم تصوير الفيديو وتسميته: (الفرسان الأربعة)[4].

استنادًا لبعض الدراسات الإحصائية؛ فإن انتشار الإلحاد في العالم بدء يتنامى بشكل خطير ومن هذه الدراسات الإحصائية ما قامت به أكبر المؤسسات الإحصائية في أوروبا، وهي مؤسسة: (يوريا روميتر)، فقد ذكرت في سنة (2005م)، أن نسبة:(18%)، من سكان أُوروبا ملحدين فلا يؤمنون بوجود الإله الخالق، وأن نسبة: (27%)، يؤمنون بقوة روحانية، أو قوة وراء هذه الحياة.

1- ريتشارد دوكينز: (Clinton Richard Dawkins) هو أكبر الفرسان الأربعة سنًّا وأكثرهم شهرةً وأنشطهُم في دعوته للإلحاد، مُتخصص في علم الحيوان وهو عالم الإحياء التطوريَّة، وهو معروف بآرائه الإلحادية، فقد عُرف ريتشارد بكونه مُلحدًا ومنتقدًا لمفهوم الخلق، والتصميم الذكي في كتابه: (صانع الساعات الأعمى)في عام: (1986م)، فحاجج ريتشارد دوكينز ضد تشبيه صانع الساعات، بأنَّ تعقيد المتعضيات الحيَّة دليلٌ على وجود خالق خارق فهو ينكر هذا التشبيه[5]، فيرى أنَّ الأديان خطر على البشرية، وليس هناك خالق أو هناك روح تبقى بعد فناء الجسد، وأنَّه لا معجزات، ومن أشهر كتبه الداعية للإلحاد وذات صبغة عدائية كتاب:([وهم] الإله)– جل الله في عُلاه[6].

(1) ينظر: آثار ونتائج الانحرافات الفكرية– الإلحاد نموذجًا: أنور بن قاسم الخضيري، ص20.

(2) مقالة بعنوان (الجنسية المثلية بين الوصم والتفاخر)، أ. د: محمد المهدي، أخر تحديث: 2019/9/9م، موقع مجانين الرابط إلكتروني (maganin.com/content. A).

(3) ينظر: الإلحاد الديني في مجتمعات المسلمين: د. صابر عبد الرحمن طعيمة، ص10–11.

(4) ينظر: مقاله بعنوان: (الإلحاد الجديد)، موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة، الرابط: (https://ar.wikipedia.org/wiki).

(5) ينظر: مقالة بعنوان(ريتشارد دوكينز)، موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة، بتاريخ: 16 مارس 2020م، الرابط الإلكتروني (https://ar.wikipedia.org/wiki).

(6) ينظر كتابه: [وهم] الإله: ريتشارد دوكنيز، ص16 ؛ وغاية حلم وهم الإله: أ. د. أيمن المصري، ص90–91.



والذي يظهر مدى خطورته في نشر الإلحاد هو من كثرة كتبه، وكذلك الجوائز الدولية التي تمنح إلى الملحدين كانت تحمل اسمه لشهرته، ففي عام: (2003م)، تمَّ إطلاق اسم دوكينز على جائزة تُمنح من التحالف الدولي للملحدين ضمن حدث سنوي تكريمًا لأيِّ ملحد له دورٌ كبير بالإلحاد من خلال نتائج أعماله في العام الواحد، وسميَّت الجائزة (جائزة ريتشارد دوكينز)، تبيانًا لجهود دوكينز[1].

ويشير الدكتور أيمن المصري، إلى شخصية ريتشارد دوكنيز، في كتابه: ([وهم] الإله) –جل الله في عُلاه– في موضوع فرضية الإله نجده يفتتح هذا الفصل بأقوال ساخرة من الدين، والإله الخالق –سبحانه وتعالى– ويستشهد بأقوال أحد رؤساء أمريكا السابقين، ومؤسس الحزب الديمقراطي (توماس جيفرسون)، وهو من رموز الماسونية الكبار في القرن التاسع عشر، ومن الذين فتحوا الباب على مصارعيه للجمعيات الماسونية ونفوذها في السيطرة على المؤسسات الأمريكية[2].

وهذا يظهر لنا دور الماسونية المستمر في نشر الإلحاد، ممَّا يجعل بلادنا الإسلامية لا سيما العربية منها على خطر عظيم فينبغي التنبه للمؤامرات التي تحاك ضد المسلمين لا سيما فئة الشباب وتحصينهم عقائديًا وفكريًا للوقوف في مواجهة هذا المد الإلحادي الجديد.

2- دانيال دينيت (Daniel Dennett 1942)م: هو أحد الفرسان الأربعة، ومن الملحدين الأمريكيين الجُدد مُتخصص بارز في الفلسفة وعلوم الإدراك، ومن أشهر ما كتب في نقد

(1) ينظر: مقالة بعنوان: (ريتشارد دوكينز)، موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة، بتاريخ: 16 مارس/2020م، الرابط الإلكتروني (https://ar.wikipedia.org/wiki).
(2) ينظر: نهاية حلم وهم الإله: أ. د. أيمن المصري، ص119.

الأديان كتابه (فك السحر الدين كظاهرة طبيعية)، و(تفسير الوعي)[1].

3-كريستوفير هيتشنز (Christopher Hitchens-2011م):

هو الإنكليزي أحد الفرسان الأربعة للإلحاد الجديد، مؤلف صحفي، اشتهر بهجماته العدائية على الدين، ومن أشهر كتبه في الإلحاد كتاب (الإله ليس عظيمًا) - تعالى الله عمَّا يزعمون[2].

4- سام هاريس (Sam Harris-1967م):

هو ساموبل بنجامين هاريس، ولد في لوس أنجلوس بولاية كاليفورنيا، وهو المؤلف والفيلسوف الأمريكي المشهور بكتبه الناقدة للدين يشار إليه كأحد (الفرسان الأربعة للإلحاد)، ينتمي إلى جمعية الأصدقاء الدينية، ودرس الفلسفة وعلم الأعصاب، ومن أقواله الإلحادية ما نصه: (كملحد أنا غاضب لأنَّنا نعيش في مجتمع لا نستطيع التحدُّث عن الحقيقة الواضحة دون الإساءة إلى 90% من السكان)، من كتبه:(نهاية الإيمان)، و(رسالة إلى أمة مسيحية) و(الإسلام ومستقبل الإلحاد)، وقد ركز في كتبه بشكل أساسي على علم الأعصاب، ونقد الأديان، وقد تُرجمت كتبه ومنشوراته لأكثر من عشرين لغة مختلفة[3].

ثانيًا: ومن دعاة الإلحاد الجديد من غير الفرسان الأربعة:

1- لورانس كرواس (Lawrence Croese):

متخصص في العلم الكوني، يرى أنَّه لا حاجة لخالق لإيجاده، ومن كتبه: (كون من لا شيء)[4].

وذكر أقوال إلحادية تؤكد إنكاره للخالق ففي مقدمة كتابه هذا، قال ما نصه: (وقد يبدو عالمنا من دون خالق أو غاية قاسيًا وبلا معنى، لكن هذا وخده لا يتطلب أن يوجد الله حقًّا)[5].

2- ستيفن هوكينج، (Stephen Hawking)[6]: هو العالم الفيزيائي الإلحادي، المتخصص في العلم الكوني والفلك، والفيزياء، ويُعد من دعاة الإلحاد الجديد، ولكنَّه يخالفهم في عدم إبداء العداوة ضد الأديان والمتدينين، وقد عارض غزو العراق عام (2003م)، وتكمن خطورته في مكانته العلمية المرموقة ويقبل كثيرٌ من النَّاس كلامه في المسائل الكونية والفيزيائية كحُجة، ومن أشهر كُتبه: (التصميم العظيم)، والذي عارض فيه أنَّ هذا الكون قد خلقه الله —سبحانه وتعالى- وادعى أنَّ هذا الكون بدأ بمفردة[7].

كما أنَّه طوَّر نظرية: اللا حدود للكون، والتي غيرت التصور القديم للحظة الانفجار الكبير عن نشأة الكون، ومن كتبه التي نشرها، كتاب: تاريخ موجز للزمن[8].

وخُلاصة القول بعد هذا البيان الذي تقدم في نشأة

---

(1) ينظر: نفسية الإلحاد: د. بول سي فيتز، ص 117.

(2) ينظر: مليشيا الإلحاد مدخل لفهم الإلحاد الجديد: عبد الله العجيري، ص26؛ ونفسية الإلحاد: د. بول سي، ص118.

(3) ينظر: نفسية الإلحاد: د. بول سي فيتز، ص 117؛ ومقالة بعنوان: (من هو سام هاريس - Sam Harris؟): 2020/2/25م، موقع أراجيك، الموقع الإلكتروني: (https://www.arageek.com/bio/sam-harris).

(4) ينظر: كونٌ من لا شيء: لورانس كراوس، ص17.

(5) المصدر نفسه.

(6) هو ستيفن هوكينج، ولد في عام 1942م، في بريطانيا، درس في جامعة أكسفورد، وهو عالم فيزيائي كوني ومؤلف وأستاذ جامعي متخصص في العلم الكوني والفلك، والفيزياء وعضوًا في جامعة كامبريدج عام 1979م، وإنَّه ألف ما مجمله 15 كتابًا ومنها: (تاريخ موجز عن للزمن) توفي في عام 2018م، ينظر: مقاله بعنوان: (ستيفن هوكينج): موقع ويكيبيديا، تاريخ 2020/5/27م، الرابط الإلكتروني: (https://www.google.com ar.m.wikiquote.org/wiki).

(7) مقالة بعنوان: تعرف على عالم الفيزياء البريطاني ستيفن هوكينغ: موقع الجزيرة نت، بتاريخ 2018/3/14م. الرابط الإلكتروني: (https://www.aljazeera.net/amp/encyclopedia/icons).

(8) ينظر: مقالة بعنوان: (رحيل عالم الفيزياء الشهير ستيفن هوكينج)، موقع مدار الساعة الإخبارية، 2018/3/14م الرابط الإلكتروني: (http://alsaa.net/article-42373).

في عام: (2003م)، تمَّ إطلاق اسم دوكينز على جائزة تُمنح من التحالف الدولي للملحدين ضمن حدث سنوي تكريمًا لأيِّ ملحد له دورٌ كبير بالإلحاد من خلال نتائج أعماله في العام الواحد، وسميَّت الجائزة (جائزة ريتشارد دوكينز)، تبيانًا لجهود دوكينز.

الإلحاد الحديد يوصلنا إلى حقيقة لا غُبار عليها وهي أنَّ الإلحاد الجديد هو منتوج أوروبي غربي، أو هو صناعه أوروبية غربية بامتياز، وأن هذه الصناعة تقف ورائها أيضًا دعاة غلاة اليهودية، لا سيما الماسونية اليهودية الإلحادية في العصر الحديث.

ثالثًا: ومن دعاة الإلحاد الجديد من العرب:

ذكر الدكتور عمرو شريف أنَّ الإلحاد لم يصل إلى المسلمين كموجة إلحادية بل وصل إلينا كفكر مادي بأنماطه المُختلفة، وظل الغرب في توجهاته ما بين إلحاد وإيمان إلى أن جاء عام (2006م) فلا ندري ما الذي حدث في العالم عام (2006م)، كأنَّ هناك مفتاح، أو زر تم إدارته فإذا بالعالم الفكري تملأهُ كُتب عن الإلحاد [1]، وسأذكر بعضًا منهم:

1- نـــوال السعـــداوي: ولدت في سنة (1931م)، محافظة الدقهلية، بمصر، عاشت متمردة على حياتها لا تؤمن بثوابت، تخرجت من كلية الطب سنة (1955م)، وهي شخصية داعية للتمرد والإلحاد، وهذا واضح من عنوانات كتبها، وهذا واضح من كتبها، منها: عن (المرأة والدين والأخلاق)، و(ملك وامرأة وإله) و(الإله يقدم استقالته في اجتماع القمة)، وقد هلكت في عام: (2021م)[2].

فكانت السعداوي تدعو إلى الإلحاد، والتمرد والإباحية، والانقلاب على كل الثوابت الدينية، ومن أقوالها الكفرية والإلحادية التي أنقلها من كتبها، أنَّها كتبت مسرحية، تقول فيها: (كان الإمام بطل المسرحية يظهر أحيانًا على شكل رئيس الدولة – السادات– وفي أحيان أُخرى يرتدي ثياب الرب الأعلى ويجلس على عرش السماء...)[3].

2- بســـام البغـــــدادي[4](Bassam AL-Baghdady): له كُتب إلحادية ومقالات ونشرات في قمة الإلحاد، بل قد تجاوز في إلحاده الملحدين في الغرب لا سيما في مقالات عدَّة، منها مقال بعنوان: (مقارنة بين عشتار إله الحياة والله إله الموت)، و(حوار مع الله)، حيث يتحدث بلهجةٍ ساذجة وساخرة، وألفاظ لا تستحق أن تذكر كونها صادرة عن مجنون، وقام بترجمة كتاب: ([وهم] الإله)، لزعيم الإلحاد الجديد ريتشارد دوكينز إلى العربية، وصدر الكتاب في بغداد[5].

فلو تتبعنا ترجمته لكتاب: ([وهم] الإله) لرتشارد دوكينز نجده عند تقديمه للكتاب يذكر أقوال إلحادية تجاوزت في حدَّتها وجرأتها حتى أقوال كبار الملحدين، بل تجاوزت أقوال ريتشارد نفسه [6]، ومن أقواله الإلحادية

(1) ينظر: محاضرة فديو يوتيوب: بعنوان: (نشأة الإلحاد المعاصر): د . عمرو شريف، قناة الاستقامة الفضائية، الرابط الإلكتروني: (https://www.youtube.com/watch?v=VU9O-9ndqE&feature).

(2) ينظر: مقالة بعنوان: هل نوال السعداوي ملحدة: كتابة دعاء،2021/3/22م، موقع محتويات، الرابط الإلكتروني: (https://mhtwyat.com) ؛ ومقالة بعنوان: المساهمون: نوال السعداوي، موقع هنداوي، الرابط الإلكتروني: (https://www.hindawi.org/contributors/84163053).

(3) الإله يقدم استقالته في اجتماع القمة: نوال السعداوي، ص16.

(4) هو: بسام سعدالله البغدادي، كاتب وناقد أديان، ومنظر عراقي ولد سنة 1977م، ببغداد، أكمل أكاديمية الفنون الجميلة جامعة بغداد سنة 1995م، تعرض لمضايقات وتهديدات هاجر على أثرها إلى السويد سنة: 1999م، اهتم بكتابة الشعر والقصة القصيرة ومقالات متعددة في نقد الاديان والفكر والفلسفة الإنسانية، ينظر: مقالة باسم(بسام البغدادي) مجلة الحوار المتمدن، محور العلمانية الدين السياسي ونقد الفكر الديني، بتاريخ: 2012/2/14م (http://m.ahewar.org/index.asp).

(5) ينظر: مقال بعنوان: (مقارنة بين عشتار إله الحياة والله إله الموت): بسام البغدادي، مجلة الحوار المتمدن، محور العلمانية الدين السياسي ونقد الفكر الديني، العدد (2337)، بتاريخ: 9/ 7/ 2008م.

(6) كتاب وهم الإله: ريتشارد دوكنز، ص2

في كتابه: (شيء لا تعرفه عن الله)، قال ما نصه: (كنت أريد شيء خارق للطبيعة أن يحدُث كي يكون فرصة لإيقاظ الملايين من البشر الضائعين في العالم المادي بعيدًا عن الله)[1].

ولا يفوتني أن أنوه في ضوء تتبعي للملحدين العرب وأقوالهم، وهو أنَّهم مجرد مقلّدين في أفكارهم للملاحدة الغربيين، فلم يضيفوا شيئًا إلَّا ترجمتهم للكتب الغربية، ولكل فكرة هابطة، فليس لهم فكر خاص بهم (فهم مجرد أتباع وعبيد للفكرة)، كما بيَّنا ذلك مع الملحد بسام البغدادي الذي أعلن إلحاده بشكل واضح في ترجمته لكتاب: ([وهم] الإله)، لريتشارد دوكنيز.

ويلاحظ من خلال ما بيَّناه عن الإلحاد الجديد وأبرز رموزه أنَّ هؤلاء الملاحدة الجُدد لهم أساليب مقزّزة جدًا في استدلالاتهم، ونجد فيها هشاشه ظاهرة، ومغالطات منطقية واضحة، وفيها جرأة على كل الثوابت والقيم التي يؤمن بها المسلم والمؤمن الحق لا سيما في طرح لأفكارهم الإلحادية، ومن ناحية أُخرى هم يتَّبعون أسلوبًا نفسيًا ويكون مؤثرًا أحيانًا في عرض أفكارهم لمن لم يكن مُتسلحًا بالعلم الشرعي الصحيح، والخطورة تكون أكبر لمن نشأ بعيدًا عن تعاليم الدين وثوابته، ومن هنا تكمن خطورة ترجمة كتبهم وطرحها في الأسواق لعوام الناس فإنَّ فيها خطرًا كبيرًا ينبغي التنبيه إليه.

واستخلاصًا لما سبق من أقول الملحدين، لا سيما العرب منهم، أمثال نوال السعداوي، وبسام البغدادي، فإنّي لم أجدها إلَّا أقولًا فارغة، وأقول لهم ومن على شاكلتهم، نحن على يقين أنَّكم لا تجدون السعادة في حياتكم، ولا الراحة، وإن تظاهرتم بغير ذلك، بل هو الشقاء الدائم، والضنك الذي تعيشونه وهذا حالكم أخبرنا عنه الإله الخالق في آياتٍ تُتلى، فقال الله —عز وجل–: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [سورة طه: الآية:124].

وعلاوة على ذلك فليس لكم مودةً تجدونها بين المؤمنين، قال الله —عز وجل–: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ الْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾[سورة المجادلة: الآية: 22].

وإنْ كان لكم وزنٌ شكلي مُخادع في بلاد الغرب، فلا وزن لكم بين المسلمين، ولا وزن لكم في الآخرة، قال الله عز وجل–: ﴿أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَزْنًا﴾[سورة الكهف: الآية: 105]، بل أنتم ومن سلك مسلككم في الأذلّين، قال الله —عز وجل–: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَآدُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُولَٰٓئِكَ فِى الْأَذَلِّينَ﴾[سورة المجادلة: الآية: 20].

> **الإلحاد الجديد هو منتوج أوروبي غربي، أو هو صناعه أوروبية غربية بامتياز، وأن هذه الصناعة تقف ورائها أيضًا دعاة غلاة اليهودية، لا سيما الماسونية اليهودية الإلحادية في العصر الحديث.**

فالحمد لله ربِّ العالمين بأن خلقنا موحدين، ومعظِّمين لخالقنا —سبحانه وتعالى– ومتبعين ومناصرين لنبينا وأسوتنا سيدنا محمد —صلى الله عليه وسلم– خاتم الأنبياء والمرسلين والمبعوث رحمة للعالمين، ومعتزين بإسلامنا وفخورين في دفاعنا عن ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وعن كتاب ربنا —سبحانه وتعالى– الذي هو هدىً وموعظة لنا ولغيرنا، قال الله —عز وجل–: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ

(1) شيء لا تعرفه عن الله: بسام البغدادي، ص23.

لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾[سورة آل عمران: الآيتان: 138-139].

• المبحث الثاني:
أسباب انتشار الإلحاد في العالمين الغربي والعربي وسُبُل مواجهته :

إنَّ الإلحاد ليس انحرافًا فكريًا حادثًا فحسب، بل هو ممَّا زاغت به قلوب فِئام من البشر قديمًا تعود إلى عصور ما قبل الميلاد، إلَّا أنَّ هذا الانحراف وهذه الضلالة قد راجت في العصر الحديث، لا سيما في عصرنا الحالي في مطلع القرن الحادي والعشرين فاجتالت بعض النَّاس وصرفتهم عن الفطرة التي فطر الله النَّاس عليها[1].

وبعد أن بيَّنا نشوء الإلحاد الجديد فإننا يجب أن نتناول هذا الانحراف الخطير في تاريخ البشرية بموضوعية، وأن نحذر من تناوله بشكل سطحي، أو اختزال الأسباب بسبب، أو سببين؛ لأنَّ اختزال أسباب الإلحاد أمر يؤدي إلى صعوبة مواجهته، وتحديد سُبل العلاج له.

ولم تكن مشكلة الإلحاد بهذا الظهور والاتساع والحدَّة، إلَّا أنَّه في القرنين الماضيين اجتمعت عوامل عديدة صيَّرت الإلحاد والكفر بالله –سبحانه وتعالى– كظاهرة في المجتمعات لا سيما في المجتمع الأوروبي والأمريكي، ثم بدء الخطر ينتقل إلى مجتمعاتنا العربية والإسلامية.

وعند بيان نشأة الإلحاد بان لنا منها بعض أسباب ظهور الإلحاد في المجتمعات الغربية، والذي أخذ بالانتقال إلى المجتمعات العربية والاسلامية، وبيانها من الأهمية بمكان؛ لأنَّ تشخيص الأسباب وهي كثيرة يؤدي إلى معرفة سُبُل العلاج والمواجهة، وسنتناول ذلك في مطلبين، وكما يأتي:

المطلب الأول: أسباب بدء ظهور الإلحاد في العالم العربي:

المطلب الثاني: سُبُل مواجهة الإلحاد:

المطلب الأول: أسباب بدء الألحاد في العالم العربي:

يبقى التساؤل المطروح هو لماذا يتجه شبابنا إلى الإلحاد؟ لوجدنا أن البعض يختصر الأسباب إلى سبب واحد أو سببين اثنين، وهذا غير مقبول كون المشكلة كبيرة ومعقدة ومبنية على عوامل وأسباب متداخلة فيما بينها[2]، ويرجع تأثر نفرٌ من الناس بالإلحاد في العالم الإسلامي لا سيما العالم العربي إلى ما يأتي:

أولا: الأسباب العامة (أو المحورية) للإلحاد:

1- الهزيمة الحضارية للعالم الإسلامي أمام الاستعمار الغربي: فالهزيمة الحضارية التي سيطرت على كثيرٍ من الشباب أدَّت إلى انسلاخ بعض المسلمين عن عقيدتهم ودينهم، ولذلك يقال أن الاستعمار فاتح أبواب الإلحاد، أو هو أبو الإلحاد[3].

فظهرت هذه الهزيمة أبَّان الاستعمار الأوروبي للبلاد الإسلامية بعد سقوط الخلافة العثمانية وما رافقة من ظهور الإلحاد في الغرب، وحملات التنصير وحصر الدين الاسلامي بالعبادة، ومن ثم فرض الاستعمار على الدول الإسلامية بالقوة نظم الحكم والقوانين الوضعية بإقرار القانون الفرنسي، أو البريطاني في العقوبات، والتدخل في رسم سياستها الخارجية ونظامها والاقتصادي وأبعادها عن منهجها الأصيل المستمد من القرآن الكريم وسنة النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–[4].

2- ظهور الأحزاب الشيوعية واليسارية في العالم العربي: فبعد سقوط الخلافة العثمانية وانهيارها بعد

(1) ينظر: بحث بعنوان(الإلحاد الأسباب والعلاج): أ. د. خالد بن عبد الله المصلح، ص7.
(2) ينظر: كتاب سابقات: أحمد يوسف السيد، ص24.
(3) ينظر: الإلحاد الأسباب والعلاج: أ. د. خالد بن عبد الله المصلح، ص8 ؛ وميشيا الإلحاد مدخل لفهم الإلحاد الجديد: عبد الله بن صالح العجيري، ص23.
(4) ينظر: الاستعمار والإسلام: أنور الجندي، ص5-6، 27.

الحرب العالمية الأولى، فكان الغاء الخلافة في سنة: (1924م)، قدكسر الباب وسرَّع بولادة أحزاب شيوعية ومعظمها مال إلى العمل السري لتستنسخ لنا الفكر الشيوعي بلباس عربي فلسفي، فظهرت بأيدولوجية غريبة عن المجتمع الإسلامي العربي، ومن هذه الأحزاب الحزب الشيوعي الفلسطيني(1919م)، المهيمن عليه من قبل اليهود، والحزب الشيوعي المصري، والحزب الشيوعي السوري، والحزب الشيوعي العراقي، وكان للحزب الشيوعي العراقي في سنة (1947م)، موقف خالف فيه كل توجهات المسلمين، وذلك بحشده لمظاهرة أعلن فيها تأييده لقرار تقسيم فلسطين[1].

3- ظهور الأحزاب العلمانية التي تدعو للفصل بين الدين والحكم: وتزامن مع هذه الأحزاب الشيوعية ولادة أحزاب علمانية لا سيما في ستينات القرن العشرين، لتنقل لنا تجربة فصل الدين عن السياسة في الغرب، كي تصل إلى الحكم والسياسة بعيدًا عن تشريعات الدين الإسلامي[2].

4- بعض الملاحدة تستروا بالواجهات الوطنية والقومية وإظهار الغيرة على الوطن لكنه يطعن في الدين، وما أن يصل إلى مناصب عالية في السلطة حتى تراه يبث سمومه في الطعن في الدين[3].

5- بعض القوانين في الدول الإسلامية تصوغ موادها القانونية بعبارات فضفاضه، بحيث لا يجد الملحد أي قيد فيها ليعلن إلحاده بحرية والدعوة إليه دون خوف أو رادع، كذلك لا نجد عقوبات لتارك الدين والمرتد عنه، أو لمن يتعدى على الذات الإلهية، أو الأنبياء، أو القرآن والكتب السماوية[4].

فمن الحكمة للدول الإسلامية اليوم أن تحافظ على عقيدتها، وتمنع طيش من ألحد تحت رايتها فالملحد في العصور الماضية لم يتجرأ أن يعلن عن إلحاده بسبب قوة الأحكام الصادرة عنها، أمَّا اليوم فقد ظهر الإلحاد وأصبح لهم قنوات ومواقع ومقاهي، ومراكز ثقافية، فينبغي التنبه لخطورة هذا الأمر قبل فوات الأوان.

6- تخلي الدول الإسلامية والعربية عن روْعة الأنظمة الإسلامية السياسية والاجتماعية لا سيما النظام الاقتصادي الإسلامي المبني على الجوانب الأخلاقية والواقعية، وأن لا يكتفي بالتنظيم السطحي الظاهري إسلاميًا وفي حقيقته هو مخالف لتعاليم الدين القويم الذي فقد المسلمون التمسك الحقيقي به[5].

والهزيمة الاقتصادية في البلاد الإسلامية متنوعة، الأمر الذي سبب بظهور فوارق بين أبناء المجتمع الإسلامي، وظهور الظلم الاقتصادي الذي وقع على الفقراء والمساكين، فظهرت مشكلة الفقر التي هي سبب من أسباب ظهور الإلحاد، قال الله —عز وجل- :﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾[سورة الحشر: من الآية: 7].

> **الهزيمة الحضارية التي سيطرت على كثيرٍ من الشباب أدَّت إلى انسلاخ بعض المسلمين عن عقيدتهم ودينهم، ولذلك يقال: إن الاستعمار فاتح أبواب الإلحاد.**

7- ظهور حركات المستشرقين التي تعتبر المصنع الرئيسي للشبهات والطعون والتشكيك بثوابت الدين،

(1) ينظر: الأحزاب الشيوعية واليسارية في العالم العربي: د. أحمد ماجد، مجلة البيان، ص99، 115 ؛ والإلحاد الأسباب والعلاج: أ. د. خالد بن عبد الله المصلح، ص7.
(2) ينظر: الغزو المعرفي والفكري للبلاد الإسلامية: د. سامي عطا الجيتاوي، مجلة البيان2014م، ص117.
(3) ينظر: الإلحاد أسبابه طبائعه مفاسدة: للإمام محمد الخضر حسين، ص23.
(4) ينظر: المصدر نفسه، ص22.
(5) ينظر: المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية: عبد الله بن حمد الشبانة، ص108، 111.

وكانوا يستعملون لهذا الهدف أدوات كثيره فزادوا من الدس في الدين وزيادة الطائفية بين المسلمين، وركزوا على المدارس والجامعات في شتى البلاد الإسلامية [1].

ثانيًا: الأسباب الشخصية (خاصة بالشخص الملحد):

2- ثنائية القابلية للاستهواء والتأزم: فالاستهواء عُرِّف، بأنَّه: (استعداد الشخص لتقبل فكرة مع عدم وجود الأسباب الكافية لتقبلها) [2].

فالقابلية للاستهواء هو أن الشخص يتقبل المعلومة، أو الفكرة ويثق بها مع عدم وجود أدلة منطقية لتقبلها، بمعنى وجود قابلية في الشخص للشكوك والإلحاد، ثم يقع في أزمة فيتأثر بهذه المعلومات والأفكار التي سمعها مسبقًا، وهذا الأسلوب بحسب اطلاعي هو ما يركز عليه الملحدون الجدد في طرح أفكارهم، فهم يروجون الأفكار بطريقة تدعو إلى الاستهواء.

3- الجفاف الروحي: عدم الشعور بالراحة مع العبادة، أو بلذة العبادة، وكثرة المعاصي مع جفاف الروح، وقسوة القلب فلا يتأثر بالقرآن الكريم، ولا تؤثر فيه الأحاديث والمواعظ والعبر، وهذا أغلبه بسبب الغفلة، والبعد عن الله —سبحانه وتعالى– والبعد عن اتباع سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم– ونفور الطاعات، واقتراف المعاصي [3].

فبسبب هذا الجفاف أو الخواء الروحي يكون عرضة للانحراف ومن ثم للإلحاد، قال الله —عز وجل–: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [سورة الكهف: الآية: 101].

3- السطحية الفكرية وغياب الهدف: فاعتلال الفكر، وغياب العقل، وضبابية المنهج، أي: عدم استيعاب المنهج الرباني الذي ارتضاه الله –سبحانه وتعالى– لنا وفقدان الهدف، وهذا ما يعرف بالسطحية الفكرية وغياب الهدف [4].

فمن أسباب الإلحاد هو اختلال الفكر فيبدأ يقرأ بطريقة عشوائية، ويظن أنه يفهم في كل شيء فيتأثر بكل ما يقرأ ويسمع من نظريات وشبهات فيقع في الإلحاد.

4- التسرع والاندفاع: فالمتسرع، أو المندفع:(هو الذي يتخذ القرار في لحظة دون تمهيد مسبق) [5] ومن ذلك التعميم المتسرع، هو أن الشاب حين يرى بعض المتدينين يفعلون شيء مخالف، أو منحرف عن تعاليم الشريعة الإسلامية يعمم الحكم على كل المتدينين، ثم يندفع ويعمم الحكم على الديانة الإسلامية، فعن أبي هريرة — رضى الله عنه– أن رسول الله —صلى الله عليه وسلم– قال:(إذا قال الرجلُ: هلكَ الناسُ فهو أهلكُهُم) [6].

5- تسلط الشهوات وعدم كبحها، ومحاولة الهروب من وخز الضمير:

فإنَّ تسلط الشهوات مع قلة الخوف من الله —سبحانه وتعالى– وغياب الوازع الإيماني الذي يضبطها بالحلال والحرام، قد يكون سببًا في الانحراف والإلحاد للتخلص من التعاليم والضوابط التي جاءت في الشريعة الإسلامية، فنجد المُلحد، ومن سار في خطوات الإلحاد يتباهى بالتلذذ بالمتع والشهوات المحرمة [7].

(1) ينظر: الاستعمار والإسلام: أنور الجندي، ص20–21.

(2) المشكلات السلوكية لدى التلاميذ مرتفعي ومنخفضي القابلية للاستهواء، ص18.

(3) ينظر: مقالة بعنوان: الخواء الروحي: د. مراد ياخريصة، موقع الألوكة الشرعية، بتاريخ 2012/2/15م، الرابط الإلكتروني: (https://www.alukah.net/sharia/038446//#relatedContent).

(4) ينظر: مقالة بعنوان: السطحية وغياب الهدف: أ. د. سارة عبد المحسن جلوي، موقع لها أون لاين بتاريخ: 2003/8/17م، الرابط الإلكتروني: (https://www.lahaonline.com/articles/view/6219.htm&ved).

(5) التصلب وأسلوب الاندفاع التربوي المعرفيان وعلاقتهما بالسلوك الإجرامي للطالب: ياسين بلاح، ص46.

(6) صحيح مسلم: (كتاب البر والآداب، باب: النهي عن قول هلك الناس)، 2024/4، حديث رقم: (2623).

(7) ينظر: منهج القصة القرآنية في تهذيب الشهوات (رسالة ماجستير): أحمد عبد القادر حسن قطناني، ص28–29؛ وآثار ونتائج الانحرافات الفكرية (الإلحاد نموذجا): أنور الخضري، ص19.

ينتج ممَّا تقدم ما يسمى بإلحاد الشهوة، فيتبنى الإلحاد ويدعو إليه رغم أنَّ الداعي أمّيّ بالدين، بل لا يهتم بالفكرة الدينيّة من الأصل، ولا يناقش الأفكار من أساسها، إنّما هو صاحب هوى متبع[1].

وإذا عُدنا إلى هذا السبب سنجد أن القرآن الكريم قد ذم أصحاب الشهوات غير المباحة في آيات كثيرة، فقال الله —عز وجل–:﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [سورة مريم: الآية: 59] فكان الوعيد الشديد لمن أضاع الصلاة، فكيف بمن ألحد وأنكر وجود الخالق — سبحانه وتعالى– بقصد إشباع شهواته المحرمة لا غير.

6– الاضطرابات والهزيمة النفسية والقلق والوسواس: فالإيمان بالله الخالق —سبحانه وتعالى– هو طبيعة الفطرة للنفس البشرية، فالإيمان غذاء الروح، وطبيعة هذه الحياة، ولذا فإن الملحد إنسان غير طبيعي بسبب ما يحمله من الحيرة والانعزال واليأس، فالفكر الإلحادي يمثل شذوذًا فكريًا، وخروجًا عن إجماع العقلاء[2].

فالملحد يستمر معه اليأس والحيرة الوسواس على شكل تخيلات تشككية حتى تصل به إلى الوساوس في العقيدة، وتسمى بالاضطرابات المعرفية[3]، وإن الاضطرابات والهزيمة النفسية هي أول بداية الفشل والانحراف، وهي سهم مسموم متى أصاب إنسان أرداه قتيلًا [4]، ولما كان الإلحاد اعتقاد جهلاني قائم على أساس عدم وجود إله خالق فإنه لا يقدم للإنسان شيئًا للخروج من القلق والحيرة والاضطرابات النفسية[5].

ثالثًا: الأسباب الاجتماعية للإلحاد:

1– العزلة الاجتماعية: ينظر المشكلات السلوكية سببها العزلة الاجتماعية، فكثير من الباحثين يرون أن العزلة والوحدة قد تؤدي إلى مشاكل واضطرابات نفسية أخرى حتى عدها بعض الباحثين أساسًا لكل المشاكل والاضطرابات والانحرافات التي يقع فيها الشخص[6].

2– الطبيعة الحدية للمجتمع: فالحدية في التعامل مع المخالف لها دور في التمرد والانحراف، فطبيعة المجتمع العربي التي لا تقبل الاختلاف، والتي تقوم على اللون الأبيض والأسود ولا وجود للرمادي بينهما تجعل الإنسان في بعض الأحيان يتجه للإلحاد كتعبير منه عن التمردِ على ذلك المجتمع[7].

3– انتشار النوادي الليلية: كنوادي الأنتراكت، والروتراكت، والروتاري التي هي غطاء للماسونية الإلحادية العالمية لإنشاء جيل يخدم الصهيونية المعادية للإسلام والمسلمين[8].

فانتشار النوادي الليلة وما فيها من نشاطات مريبة، وانحرافات أخلاقية وإباحية لإفساد جيل الشباب، واستدراجهم للتخلص من قيود الدين وتعاليمه، فمن أسباب الإلحاد هو رغبة ضعيف الدين والعلم إشباع رغباته وشهواته دون قيود الدين.

4– كبت الأسئلة: ففي القرون الوسطى كان البحث والسؤال عن ماهية الكون، وحركة الشمس والقمر والكواكب من البحوث والأسئلة التي يعتبر الخوض فيها كفر وإلحاد[9].

---

(1) ينظر: مقالة بعنوان: (ظاهرة الإلحاد ومسؤوليّة علماء الأمّة): مجاهد مأمون ديرانيّة، بتاريخ: 29/ 7/ 2019 م موقع منتدى العلماء، الرابط الإلكتروني: (https://www.msf-online.com).

(2) ينظر: العقيدة الإسلامية في ضوء العلم الحديث: د. سعد الدين السيد صالح، ص84 .

(3) ينظر: تصنيف الاضطرابات النفسية والسلوكية: منظمة الصحة العالمية– المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، ص73.

(4) ينظر: قوة الثقة بالنفس: ارنولد كارول، مكتبة الهلال– القاهرة (د: ط. ت)، ص297.

(5) ينظر: آثار ونتائج الانحرافات الفكرية (الإلحاد نموذجا): أنور الخضري، ص18.

(6) ينظر: المشكلات السلوكية لدى التلاميذ مرتفعي ومنخفضي القابلية للاستهواء: محمد مسعد عبد الواحد، ص39.

(7) ينظر: فديو يوتيوب، حلقة بعنوان: (سيكولوجية الملحد 1): طارق الحبيب، برنامج بيني وبينكم، بتاريخ 2013م، الرابط الإلكتروني: (https://www.youtube.com/watch?v=ml9hfuDwlDc&feature).

(8) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: د. مانع بن حماد الجهني، 1/ 532 550، 553.

(9) ينظر: الكبت تحليل نفسي: وليم شتيكل، وسيجموند فرويد، ترجمة: علي السيد حضارة، ص7.

5- اضطهاد المرأة: فيقال لها إذا أصبحت ملحدة ستكون لك الحرية التامة ولا أحد يعتدي عليك فظهرت حركات للتمهيد لذلك باسم حركة تحرير المرأة وأول ما ظهرت في مصر ثم انتشرت لباقي الدول العربية، فأخذت هذه الحركات تدعو إلى السفور، وتحرير المرأة من أحكام الشريعة الإسلامية وتقليد المرأة الغربية في كل شيء[1].

من أسباب الإلحاد هو اختلال الفكر فيبدأ –أي الملحد– يقرأ بطريقة عشوائية، ويظن أنه يفهم في كل شيء فيتأثر بكل ما يقرأ ويسمع من نظريات وشبهات فيقع في الإلحاد.

بينما هناك من يشهد من بينهم من أن الإسلام هو من رفع وأعلى شأن المرأة فلما تخلت المرأة عن الإسلام أصبحت سلعة رخيصة، وأن تخلف المرأة ونقصان شأنها حدث لمخالفتها للإسلام لا بسبب الإسلام، وتأمل ما يقوله المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون: (... ثم جاء الإسلام وحسَّن حال المرأة، وكان أول دينٍ رفع شأنها، ومنحها حقوقًا إرثية لا تجد مثلها في القوانين الأوروبية، وأمر بمعاملتها بأحسن ممَّا في تلك القوانين)[2].

6- تخلف الأمة: إنَّ الهزيمة الفكرية لدى الشباب، والإعجاب بالغرب والافتتان بتطورهم الفكري والعلمي، عوامل استغلها الملحدون فبدأوا يبثون في الشباب شبهاتهم بأنَّ الأمة الاسلامية متخلفة، وأن التخلف هو بسبب الدين، فحاولوا قطع صلة الأمة بالقرآن الكريم والسنة، ونعت من يتمسك بهما بالرجعية والتأخر[3].

7- تمزق الأمة وتفرقها: فنجد الدول الاسلامية متمزقة متفرقة بينها الاقتتال والاختصام، والأحزان تحيط بواقع الأمة الإسلامية المعاصرة، وتجد الإسلاميين مشتتين متنافرون لا يجمعهم منهج واحد ولا فكر واحد وهذا السبب نعيشه اليوم بوضوح[4].

فالأمة تمر بأخطر مرحلة في تاريخها فبعضها في اقتتال فيما بينها كما هو شأن اليمن والسعودية والإمارات، وليبيا ومصر، بل نجد التمزق والاقتتال في داخل البلد الواحد، وهذا واضح في سوريا ولبنان، وقبل ذلك في العراق وأفغانستان.

8- المشاكل الاجتماعية والنفسية تنشئ الإلحاد النفسي: فالإلحاد النفسي وهو إلحاد ناتج في كثير من الأحيان بسبب الغضب، وردّة الفعل لما يصيب الإنسان من مصائب وابتلاءات، فكلّما زاد البلاء زادت قوّة ردّة الفعل، كما هو مقرّر في العلوم النفسيّة في أنّ الظروف المتطرفة تولد استجابات متطرّفة[5].

رابعًا: الأسباب المعرفية للإلحاد:

لم يكتفِ أعداء الإسلام بالغزو العسكري لبلاد الإسلام بل انتهجوا غزوا فكريًا متسترين وراء واجهات مختلفة كالإنسانية، والمحبة، والحوار بين الأديان، وحوار الحضارات، ونشر كتبهم من خلال الترجمة، وهذه الكتب فيها كثير من دعاوى الإلحاد[6].

انحراف الهدف الأسمى للتربية التعليم دينا وعقيدة وشريعة ومنهج حياة وعلم، فإنَّ أول أهداف التعليم هو تحقيق العبودية لله –سبحانه وتعالى– فهناك خلل في فساد التصور، وإهمال لواجب التميز، وقتل لروح الأصالة في بعض علوم التعليم في الدول العربية والإسلامية، فاتجهت بعض الدول إلى علمنة مناهج التعليم، فمن غير

(1) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: د. مانع بن حماد الجهني، 453/1.
(2) حضارة العرب: د. غوستاف لوبون، ترجمة: عادل زُعَيتر، ص10.
(3) ينظر: من عوامل تخلف الأمة تحريف المصطلحات عن معناها الشرعي في السنة النبوية: د. محمد القضاة، ص336.
(4) ينظر: رسالة في الحث على اجتماع كلمة المسلمين ونبذ التفرق والاختلاف: الشيخ: عبد الرحمن السعدي، ص22؛ ومقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم: محمد العبده، وطارق عبد الحليم، ص8.
(5) ينظر: مقالة بعنوان:(ظاهرة الإلحاد ومسؤوليّة علماء الأمّة): مجاهد مأمون ديرانيّة، بتاريخ: 2019/7/29م موقع منتدى العلماء، الرابط الإلكتروني: (https://www.msf-online.com/).
(6) ينظر: الغزو المعرفي والفكري للبلاد الإسلامية: د. أحمد محمود السيد، مجلة البيان، ص31.

اللائق أن لا نجد في مناهجنا في جميع الاختصاصات ما يدعو إلى الاهتمام بالتربية الإسلامية بل نجد في بعض التخصصات ما يدعوا إلى نظريات إلحادية كنظرية التطور[1].

فلابد لجميع تخصصات التعليم أن تهتم بترقية روح الإنسان والاهتمام بصلة الطالب بخالقه لأنه بدون هذه الصلة سيتخرج لنا أطباء ومهندسون وإداريون واقتصاديون ماديون لا صله لهم بالله خالقهم — سبحانه وتعالى- أو بدينهم الذي ارتضاه لهم، وما نراه اليوم من الفساد الإداري والأخلاقي في المجتمع هو نتيجة للبعد عن الدين وتعاليمه العظيمة، ومن الأسباب المعرفية لظهور الإلحاد، ما يأتي:

1- ضعف الجهود في نقد الإلحاد ومواجهة الملحدين: في ضوء اطلاعي وبحثي وجدت كتب كثيرة تعرف الإلحاد وتبين أسبابه وخطورته لكني لم أجد إلا القليل من الكتب من تواجه أو ترد أو تناظر الملحدين وتحاججهم.

2- عدم تجديد أساليب الخطاب الدعوي العقدي: ومن ذلك استخدام بعض الدعاة لعبارات كلامية قديمة للبرهنة على وجود الله لا يفهما العوام، لا سيما جيل الشباب المعاصر.

3- الخطباء والدعاة الأفاضل رغم وفرتهم، لكن قلة من يحاور ويواجه الملحدين: وهذا واضح في مجتمعنا فنادرًا ما نجد خطيبًا، أو داعيةً ممّن يتصدى ويواجه ويتحاور مع المشككين، أو الملحدين ويجيب عن أسئلتهم بأسلوب مناسب.

4- انتشار النظريات الإلحادية في العصر الحديث والمعاصر والترويج لها: فبالرغم من انتشار النظريات في وسائل الإعلام والجامعات والترويج لها بأسلوب مؤثر، فالمُلحد اليوم يُجادل وفق نظريات يؤمن بصحتها رغم الثغرات العلمية الكثيرة فيها، وبالمقابل من يتصدَّر للدعوة تجده قليل الاطلاع على هذه النظريات العلمية ودراستها لمواجهتها بأسلوب علمي مقنع.

5- زيادة نسبة الجهل وضعف الوعي الديني العقدي: فبالرغم من زيادة عدد الجامعات والمعاهد والمدارس وفشو القلم إلا أن غالبية الشباب تجده يجهل كثير من ثوابت دينه وعقيدته، ممَّا يجعله فريسة سهلة للوقوع في شبهات وانحرافات الإلحاد[2].

6- التبشير والمبشرون من قبل المستشرقين بواجهات علمية ومعرفية: فقد سعى المستشرقون في طمس كل ما هو من شأنه أن يظهر الحضارة الإسلامية بالمظهر اللائق الذي تستحقه، وكل ما تميزت به من تشريع وحكم وعلوم وتقدم وإدارة وفنون ورسوا في ذهن الإسلامي والعربي أنَّه لم يكن لهم نصيب في العلم بل كان التخلف والجمود والمجتمع البدوي[3].

خامسًا: الأسباب الدينية:

فإن الإلحاد المعاصر والجديد ظهر كرد فعل للانحرافات العقدية، وللمفاسد الكبيرة التي كانت موجودة في الديانة النصرانية ومنتشرة في أوروبا، فإذا طبقنا هذه الأسباب والتي تقدم بيانها على عالمنا الإسلامي فقد نجد أن الممهدات لظهور الإلحاد في مجتمعاتنا قد تكون موجودة؛ فالمُعتقدات الفاسدة والمنحرفة، والمخالفة للفطرة، والمنطق السليم موجودة في العالم الإسلامي، لا سيما عند بعض الفرق الإسلامية التي بيَّنا بعضهًا منها في مفهوم الإلحاد بشكل عام.

فنَقد هذه الانحرافات والأفكار الفاسدة، ونقد هذه المعتقدات المخالفة، ونشر الدين الحق، والعقيدة الصحيحة المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وبفهم الآل والأصحاب —رضوان الله عليهم-

(1) ينظر: الاستعمار والإسلام: أنور الجندي، ص215.
(2) ينظر: مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم: محمد العبده، وطارق عبد الحليم، ص8.
(3) ينظر: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 21/2.

يُعد محورًا مهمًا في معالجة الإلحاد ومواجهته قبل ظهوره، ويمكن بيان أهم أسباب الإلحاد الدينية في العالمين العربي والإسلامي، بما يأتي:

1- الغلو الذي كان عند اليهود والنصارى يتكرر عند بعض الفرق الإسلامية:

فقد عالج القرآن الكريم الغلو ومن الشواهد القرآنية في ذم الغلو والتنطع في الدين قول الله –عز وجل– :﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾[سورة المائدة: الآية: 77]، وهذا خطاب من الله –سبحانه وتعالى–، ذكره لنبيه محمد –صلى الله عليه وسلم– بأن يقول للغلاة من النصارى وغلوهم في المسيح، فتجاوزوا فيه بالغلو إلى الباطل، فقالوا:(هو الله)، أو(هو ابنه)، ولكن قولوا: (... وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَابْنُ أَمَتِهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ...) [1]، ولا تتبعوا في عيسى ابن مريم أهواء قوم قد ضلوا من قبل، أي: اليهود، فقد ضلُّوا، وأضلوا كثيرًا من الناس[2].

وإنَّ الغلو هو أحد أسباب التوجه إلى الإلحاد؛ فالغلاة الزنادقة والخوارج أساءوا للدين، وسفكوا الدماء ونشروا الرعب وصدوا الناس عن الدين، وكذا الحال في كل الفرق المغالية في الدين.

وجدير بالذكر أن نذكر بما مرَّ في البلاد الإسلامية من ظهور الخوارج الذين غالوا في الدين، ولم يرَ النَّاس منهم إلا القتل والتعذيب للفقراء والبسطاء، بل للملتزمين بالدين المعتدل، تحت حُجج وأفهام معكوسة للشريعة الإسلامية السمحاء، فأهلكوا البلاد والعباد ممَّا كان له أثر كبير على عوام النَّاس على الدين والشريعة الإسلامية، بل كان لظهورهم سببًا لاتجاه بعض ضعيفي الإيمان إلى الإلحاد.

2- التفرق في الدين وكثرة الفرق الاسلامية: فلو قرأنا في الفرق الإسلامية؛ كالجهمية، والمعتزلة والخوارج، والمرجئة، وكثير من فرق الزنادقة، لكان الأمر يحتاج إلى رسالة أو أطروحة؛ لأنَّ الدافع لهذا التفرق والاختلاف في فهم الدين، وفي تفسير النصوص لم يكن دافعًا نقليًا بقدر ما هو دافع عقلي له آثار عكسية في ظهور التفرق والاختلاف بين طوائف الأمة؛ بل هو ينبوع الغواية الفكرية[3].

3- انتشار الشرك بالله وعدم افراد الله بالعبادة: فقد كان من أسباب الإلحاد الرئيسة في الغرب لا سيما في أوروبا هو انتشار الشرك، وظهور عقيدة التثليث، وهذا السبب انتقل إلينا لا سيما في العصر الحديث من ظهور بوادر الشرك والانحرافات العقدية الكبيرة بصرف أنواع كثيرة من العبادات لغير الله الخالق المتصرف بهذا الكون، وقد جاء التحذير من الشرك في القرآن الكريم وفي سنة النبي الهادي من هذه الآفة الخطيرة الماحقة للدين، ومن الآيات التي تحذر من الشرك قول الله –عز وجل –:﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[سورة الزمر: الآية: 65]. وقوله –عز وجل–:﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾[سورة الشورى: الآية: 21].

ومن الأحاديث، حديث أنس –رضي الله عنه– قال ذكر رسول الله –صلى الله عليه وسلم– الكبائر–أو سُئل عن الكبائر– فقال: (الشرك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين فقال ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قال قول الزور أو قال شهادة الزور، قال شعبة وأكثر ظني أنه قال: شهادة الزور)[4].

(1) صحيح البخاري(كتاب الأنبياء، باب قوله { يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم})، 3/1267، جزء من حديث رقم:(3252).
(2) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن: أبو جعفر الطبري، 10/487.
(3) ينظر: ينبوع الغواية الفكرية: عبد الله بن صالح العجيري، ص13.
(4) صحيح البخاري:(كتاب الآداب، باب عقوق الوالدين من الكبائر)، 5/ 2230، حديث رقم: (5632).

وأمَّا الشرك الأكبر فلا نزاع في أنه كفر، وهو أعظم الذنوب والمعاصي على الإطلاق، وإنما قُرنت به بقية المعاصي المذكورة في الأحاديث على سبيل التشنيع، ولفت الانتباه إلى عظم جرمها[1].

وقد ذكر ابن القيم –رحمه الله تعالى– ما وقع في زمانه من الشرك بالله ، قال: (وهذا هضم للربوبية وتنقُّص للإلهية، وسوء ظن برب العالمين، وذكر أنهم إنما ساووهم بالله في العبادة كما قال تعالى عنهم وهم في النار: ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ۞ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۞ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾[سورة الشعراء الآيات:96-99].

4- ضعف التربية الإسلامية: فإنَّ للإلحاد مُهيئات، فنشأة المسلم في بيئة بعيدة عن الالتزام والمعرفة بأصول دينه، وأركان إيمانه وإسلامه، لا ريب فإنَّ مثل هذا يكون عرضه للتأثر بأي شبه تعرض عليه لا سيما شبه الملحدين، فينحدر في هاوية الإلحاد.

> **الإلحاد المعاصر والجديد ظهر كرد فعل للانحرافات العقدية، وللمفاسد الكبيرة التي كانت موجودة في الديانة النصرانية ومنتشرة في أوروبا، فإذا طبقنا هذه الأسباب والتي تقدم بيانها على عالمنا الإسلامي فقد نجد أن الممهدات لظهور الإلحاد في مجتمعاتنا قد تكون موجودة؛ فالمُعتقدات الفاسدة والمنحرفة، والمخالفة للفطرة، والمنطق السليم موجودة في العالم الإسلامي.**

5- دراسة فرق وعقائد كثيرة دون التركيز وبيان العقيدة الاسلامية الصحيحة: فإنَّ المسلم في المراحل الجامعية الأولية يبدأ بدراسة فرق عقدية كثيرة، والتركيز عليها في أقسام العقائد في كليات العلوم الإسلامية، وكثير منها منقرضة في زماننا، أو أن تأثيرها ومخاطرها ضئيلة، دون بيان العقيدة الصحيحة والأساس والذي ينبغي أن لا يختلف عليه اثنان، والتي هي عقيدة كل الأنبياء، وخاتمهم النبي محمد –صلى الله عليه وسلم–.

فقد أيقن أعداء الإسلام أن السبيل الوحيد للقضاء على الإسلام المتمثل بعقيدته الحيَّة في قلوب المسلمين هو بالسعي لتشويه هذه العقيدة، ومحاولة تحريفها، والتشكيك بها، والسعي الحثيث لقطع صلة المسلمين بربهم وبدينهم الذي ارتضاه لهم، ولهذا نرى إصرارهم على نشر الإلحاد بين المسلمين.

6- إهمال دراسة تاريخ الإلحاد، والتيارات الإلحادية المعاصرة، والتعريف بخطورتها والتحذير منها كونها خطر محدق بالفرد، والمجتمع والدول[2].

7- دراسة الطالب للملل والنحل لا سيما في بعض الأقسام الشرعية دون أن تجد هناك منهجًا واضحًا لدراسة العقيدة الإسلامية الربَّانية التي بُعث الأنبياء والرسل لأجلها، فدراسة الطالب لبعض النِّحل كالبوذية والهندوسية دون أن تكون له عقيدة صلبة لمواجهة هذه النحل قد يؤدي به للانحراف والإلحاد.

فضلًا عن عدم وجود مقارنة واضحة لتمييز الدين الإسلامي عن بقية الملل المحرفة والنحل الباطلة لبيان عظمة الدين الإسلامي على سائر الملل والنحل، وأنقل هنا ما ذكره العالم غوستاف لوبون، عن مقارنته للإسلام بالأديان السابقة، فيقول: (وتشتقُّ سهولة الإسلام العظيمة من التوحيد المحض، وهذه السهولة سِرُّ قوة الإسلام، وإدراكه سهلٌ خالٍ ممَّا نراه في الأديان الأخرى، ويأباه الذوق السليم، غالبًا من المتناقضات والغوامض...)[3].

(1) ينظر: الإيمان بين السلف والمتكلمين: أحمد بن عطية بن علي الغامدي، ص55.
(2) ينظر: المخاطر التي تهدد الدين؛ الزندقة والإلحاد والغلو والجمود والتقليد، وازدراء الدين: مصطفى أحمد سيسي، ص3.
(3) حضارة العرب: د. غوستاف لوبون، ص125.

8- مطالعة الكتب الإلحادية: فاطلاع بعض الشباب لا سيما طلاب الجامعات على مؤلفات الملحدين وفيها ما فيها من الدَّس والتشكيك والإلحاد العلني، فلا يلبث أن يتأثر بقراءته لتلك الكتب فيخرج إلى الجحود والإلحاد[1].

9- غياب الوازع الديني، وقلة التفقه في تعاليم ومقاصد الشريعة الإسلامية: فغياب فقه مقاصد الشريعة لدى المسلم من تحريم جرائم القتل، والزنا، والسرقة، وأكل أموال الناس بالباطل، والربا مع ضعف الالتزام، فتتغلب الشهوات على النَّفس فيخرج إلى الإلحاد الذي يبيح له كل ما هو محرم دون قيود[2]، يقول دوكينز، وهو أبرز دعاة الإلحاد: (إنّ الإلحاد يؤثّر في نحو منهجيّ بالنَّاس لفعل الأمور السيئة، وهو بيان مُذهل وساذج ومُحزن بعض الشيء)[3].

فإنَّ الشهوات واستباحتها أمرٌ خطير، وسببٌ لقيام جذور الشبهات والدعوة إليها، وصولًا لتبني الإلحاد.

10- من أسباب الإلحاد هو هجر القرآن الكريم، قال الله –عز وجل- :﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾[سورة الفرقان:الآية:30]، والغفلة عن الأذكار- أذكار المسلم اليومية- وسائر الأدعية لا سيما أدعية الثبات، وأفراد الله –سبحانه وتعالى- بالوحدانية، قال الله –عز وجل- :﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [سورة غافر:الآية:60].

ومن استعراضنا لأسباب الإلحاد في العالمين الغربي والعربي تظهر لنا بوضوح أهمية معرفة الأسباب في توصيف الحالة وتحديد المشكلة، فمعرفة الكم الكبير لأسباب الإلحاد يجعلنا نتعامل مع مشكلة الإلحاد وخطورتها بموضوعية وبجدية أكثر.

كما أنَّ معرفة أسباب الإلحاد مهم للابتعاد عن تسطيح الظاهرة الإلحادية، والاتكال على اضمحلال هذه الظاهرة للظروف والوقت، بل لابد من بذل قصارى وقتنا وجُهدنا لمواجهتها، فمعرفة الأسباب حتمًا ستؤدي إلى معرفة السُبُل والأساليب النافعة في مواجهة الإلحاد كلا بحسب تخصصه.

المطلب الثاني: سُبُل مواجهة الإلحاد:

كلما قيض الله –سبحانه وتعالى- للحكومات الإسلامية وقادتها رجالًا ودعاة صادقين في إظهار دور الدين الإسلامي في إصلاح المجتمع الإسلامي أفرادًا وجماعات، وكلما تظافر علماء الأمة والدعاة في الدعوة للحق الذي معهم، وقدرتهم على مواجهة الملحدين والمنحرفين بالحكمة والحُجة القوية كلما طُهرت الأمة من هذا الانحراف الخطير المتمثل بأعلى صوره وهو الإلحاد.

ويمكن أن تتم المواجهة الشاملة بسُبلٍ عدة، وما هذا البحث إلا سبيلًا واحدًا في هذه في المواجهة الشاملة، وإليكم أهم هذه السبل لمواجهة الإلحاد:

السبيل الأول: ترسيخ الحضور القرآني بتدبر آياته:

إنَّ القرآن الكريم أُنزل ليهدي الضآلين، ويثبت المؤمنين ويزيدهم إيمانًا، قال الله –عز وجل- :﴿لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾[سورة إبراهيم: الآية: 102]، والتثبيت للنفوس لا يتحقق إلا حينما ينتقل القارئ من مجرد القراءة اللفظية إلى عوالم التدبُّر، فالقرآن أُنزل للتدبُّر، قال الله –عز وجل- :﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب﴾[سورة ص: الآية: 29]، وفنّ التدبُّر يكتسب باليقين التام في أنَّك مع القرآن الكريم حيٌّ وبدونه ميّت، وبه مُبصر وبخلافه أعمى، وبه مهتدي

(1) ينظر: الإلحاد أسبابه طبائعه مفاسده: الإمام محمد الخضر حسين، ص9.
(2) ينظر: الإلحاد أسبابه طبائعه مفاسده: الإمام محمد الخضر حسين، ص9.
(3) وهم دوكينز: ليستر إدغار ماكغرث، جوانا كوليكان ماكغراث، ص80.

وبدونه ضآل[1].

السبيل الثاني: يجب بيان وترسيخ العقيدة الإسلامية الصحيحة في نفوس المسلمين:

من أهم سبل المواجهة للإلحاد المعاصر والجديد وأولها هو في بيان العقيدة الإسلامية الأصيلة وترسيخها في نفوس المسلمين؛ فالعقيدة الصحيحة تُعد قوة أساسية في مواجهة الإلحاد المعاصر والجديد، تلك العقيدة التي لا يتأثر من يعتقد بها بالشبهات التي يثيرها أهل الإلحاد.

فحتى غير المسلمين فهموا أنَّ قوة عقيدة المسلم هي سبب انتشار الإسلام، فهذا جورج سارتون[2]، يرى أن سبب انتشار الدين الإسلامي هو عقيدة التوحيد التي جمعت قلوب النَّاس[3].

> **أيقن أعداء الإسلام أن السبيل الوحيد للقضاء على الإسلام المتمثل بعقيدته الحيَّة في قلوب المسلمين هو بالسعي لتشويه هذه العقيدة، ومحاولة تحريفها، والتشكيك بها، والسعي الحثيث لقطع صلة المسلمين بربهم وبدينهم الذي ارتضاه لهم، ولهذا نرى إصرارهم على نشر الإلحاد بين المسلمين.**

السبيل الثالث: امتثال أحاديث النبي —صلى الله عليه وسلم– وتدبُّرها، والالتزام بسننه اليومية:

إنَّ المواظبة على أحاديث النبي —صلى الله عليه وسلم– وامتثالها والمحافظة على أذكار المسلم اليومية، والتي منها هذا الذكر، رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد —صلى الله عليه وسلم– رسولًا، فعن العباس بن عبد المطلب —رضي الله عنه– أنَّه سمع رسول الله —صلى الله عليه وسلم– يقول: (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا)[4]، فهو بمثابة الرد الفعلي والعملي على الإلحاد والملحدين في إنكارهم للإله الخالق —سبحانه وتعالى–.

والاستمرار بالأدعية التي كان يدعو بها النبي —صلى الله عليه وسلم– نحو دعاءه اليومي بالثبات على دينه، فقد ورد في الحديث عن أنسِ بن مالك —رضي الله عنه– قال: كان رسول الله —صلى الله عليه وسلم– يكثر أن يقول: (اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ)، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَخَافُ عَلَيْنَا؟ وَقَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ بِمَا جِئتَ بِهِ، فَقَالَ: (إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِن أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ يُقَلِّبُهَا)[5].

السبيل الرابع: تقديم رؤى نقدية صلبة للمواجهة، وعدم الاكتفاء بالرد، أو النقد:

المنتصر للموقف الديني والمواجه للإلحاد ينبغي أن لا يكون انهزاميًا يكتفي بالدفاع فقط والرد على شبهاتهم، بل يجب أن يواجه، وأن يكون صلبًا مرتكزًا على عقيدة صلبة يستحضر في مواجهته للملحدين، قول ربنا —عز وجل–: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[سورة إبراهيم: من الآية:10]، فالقضية تتعلق مع الملحدين بإنكارهم لأم اليقينيات وأصل الأصول، وهو إنكارهم لوجود الخالق —سبحانه وتعالى–[6].

---

(1) ينظر: فن التدبر في القرآن الكريم: د. عصام بن صالح العويد، ص23.

(2) جورج سارتون :(George Sarton) واسمه الكامل جورج ألفريد ليون سارتون، ولدَ في بلدة جان في بلجيكا في سنة: 1884م، وهو مؤرخ بلجيكي مؤسس علم تاريخ العلوم، ودرس الصيدلة فتخرج في عام 1906م، له كتب منها: (حياة العلوم)، و(العلم والأدب عند العرب)، توفي سنة 1956م، ينظر: المستشرقون: نجيب العقيقي، ص1006-1007.

(3) ينظر: الإعلاء الإسلامي للعقل البشري: د. بليغ حمدي إسماعيل، ص79، 89.

(4) صحيح مسلم: (كتاب الإيمان، باب ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا)، 62/1، حديث رقم: (34).

(5) سنن ابن ماجه: (أبواب الدعاء، باب دعاء رسول الله –صلى الله عليه وسلم–)، 9/5، حديث رقم:(3833)، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: (حديث صحيح).

(6) ينظر: ميليشيا الإلحاد: عبد الله صالح العجيري، ص 147.

السبيل الخامس: التحذير من التيارات الضالة المنحرفة:

فهناك كثير من الفرق الضالة البائن انحرافها كالدهرية، والبابية[1]، والبهائية[2] والقاديانية[3]،(الأحمدية)، وغيرها من الفرق الباطنية الهدامة، فهي فرق مبغضة للدين الإسلامي ويمتلكون قنوات بعضها في بريطانيا لبثّ الفتنة منها، وهم يدعون للإلحاد في صفوف النَّاس لتحقيق أهدافهم الخبيثة، وهي النيل من الإسلام والمسلمين[4].

السبيل السادس: نشر العلم لمواجهة الغلو والتطرف في الدين، وممَّا أحدثة الغلاة:

الغلو في اللغة مجاوزة الحد[5]،كما عرَّفه ابن حجر(رحمه الله تعالى): (هو المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد، وفيه معنى التعمق)[6].

ومن الشواهد على الغلو ممَّا ذكره القرآن عن أهل الكتاب، قوله –عز وجل– :﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾[سورة المائدة: الآية:77]، وقد جاء التحذير من الغلو في أحاديث النبي –صلى الله عليه وسلم– ومنها ما رواهُ عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ)، قالها ثلاثًا[7]، وقد بيَّن الإمام النووي(رحمه الله تعالى)، معنى هلك المتنطعون، فقال: (أي: المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم)[8]، وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما– قَالَ: قال رسولُ الله –صلى الله عليه وسلم– غَدَاةَ الْعَقَبَةِ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ:(...يُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّما أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ)[9].

وتتم معالجة الغلو، ومنه فكر الخوارج بمواجهة الجهل بالدين، وذلك بطلب العلم الشرعي بفهم العلماء ورثة الأنبياء، فالعلم بالدين هو أفضل السُبل لمعالجة ومواجهة الغلو ومكافحته، فضلاً عن معالجة الأسباب الأخرى للغلو؛ كالفقر، والتعصب، والظلم، وسوء التربية[10].

السبيل السابع: ضرورة متابعة الوالدين، أو أولياء الأمور لأبنائهم:

أهمية المتابعة اليومية للوالدين لأبنائهم ليس فقط بمعرفة أصحابهم المستخدمين للإنترنت، بل ومتابعة ما يتصفحونه من مواقع وبرامج باستمرار، وزرع الثقة بين الوالدين وبين الأبناء؛ (الابن والبنت)، فوسائل الإعلام المتنوعة، ووسائل التواصل السريعة، والانشغال بالحواسيب لها دور في توسيع الفارق والهوة بين فكر الوالدين وفكر المراهقين، فينبغي فهم الأبناء فهمًا عميقًا، وبناء علاقة صداقة وحُب معهم فلا يكون الأب استبداديًا ولا متساهلًا، ولا من الذين لا يبالون، بل لابد أن يكون الأب حازمًا مع الحرص والحُب بتكرار النصح وتعليمهم المبادي الإسلامية التي يسيرون عليها في حياتهم مع استمرار المراقبة والمتابعة[11].

(1) البابية: هم أصحاب ميرزا علي محمد الملقب بالباب؛ المولود سنة 1235هـ، وقد أظهر شنائع كثيرة، فزعم ارتفاع فرضية الصلوات الخمس، وفرضية الحج، ثمَّ ادَّعى النبوة والرسالة، وأن الله أوحى إليه بكتاب (البيان)، وقد هلك مؤسسها سنة: 1265، ينظر: البابية والبهائية تاريخ ووثائق: ص9،12، 34 ؛ وتبسيط العقائد الإسلامية: ص307.

(2) البهائية: نسبة إلى البهاء واسمه حسين علي نوري لمازندراني، ولد عام 1817م، ولقب بالبهاء لأنه يدعي حلول الله بنوره في أول أمره بخلافة الباب (البابية)، ثم تدرج إلى مرحلة المهدوية ثم النبوة والرسالة ثم الربوبية والألوهية، وقد دان البهائيون لكل خليفة بعد البهاء وعبدوه مثل عبادتهم للبهاء، ينظر البابية والبهائية تاريخ ووثائق: د. عبد المنعم أحمد النمر، ص75 ؛ وتبسيط العقائد الإسلامية: حسن محمد أيوب، ص307.

(3) القاديانية: نسبة إلى: مرزا غلام أحمد القادياني ولد في(قاديان) سنة 1252هـ، فرقة مرقت عن الإسلام بادعاء صاحبها النبوة، وقالوا بالحلول والتناسخ، وزعم أن مدينة قاديان ومسجدها تماثل مكة ومسجدها، وحرم الجهاد ضد الإنكليز، هلك مؤسسها سنة: 1326هـ، ينظر: القاديانية: د. عامر النجار، ص7 ؛ وتبسيط العقائد الإسلامية: حسن محمد، ص310.

(4) ينظر: الإعلاء الإسلامي للعقل البشري: د. بليغ حمدي إسماعيل، ص23 – 24.

(5) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري (باب: الواو والياء، فصل الغين، مادة: غلا)، 6/ 2448.

(6) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني، 13/ 278.

(7) صحيح مسلم: (كتاب: العلم، باب هلك المتنطعون)، 4/2055، حديث رقم: (2670).

(8) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: يحيى بن شرف النووي، 16/220.

(9) سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط: (أبواب المناسك، باب: من أين ترمى جمرة العقبة)، 4/ 228، حديث رقم (3029)، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: (إسناده صحيح).

(10) ينظر بحث بعنوان: الجهل بالدين والغلو: د. نور الدين مختار الخادمي، ص25.

(11) ينظر: هكذا تُربي!: د. مصطفي أبو سعد، ص37، 42.

من أهم سبل المواجهة للإلحاد المعاصر والجديد وأولها هو في بيان العقيدة الإسلامية الأصيلة وترسيخها في نفوس المسلمين؛ فالعقيدة الصحيحة تُعد قوة أساسية في مواجهة الإلحاد المعاصر والجديد، تلك العقيدة التي لا يتأثر من يعتقد بها بالشبهات التي يثيرها أهل الإلحاد.

السبيل الثامن: تجديد أساليب الخطاب الديني الإيجابي:

وأقصد بالتجديد الإيجابي لأنَّ هناك دعوات للابتعاد عن الشريعة، وأنَّها غير صالحة، أو الاكتفاء بالقرآن الكريم دون السنة النبوية المطهرة، فهذه دعوات ضالة مُضلة، وما أعنيه هنا الخطاب الديني الإيجابي الذي يحافظ على الثوابت، ولا يدعو للتغيير في الجوهر، بل التغيير في الطرح والأسلوب وهنا لابد من التجديد في مسألة أساليب الخطاب الديني لا سيما المتعلق بالعقيدة ليكون متناسبًا في استدلالاته للمرحلة التي نُعاصرها، وكي يجد الباحث عن الحق جوابًا لكل تساؤلاته التي يطرحها لا سيما في زمن انتشار الشبهات التي تثار في مسائل العقيدة، فلئن كان في السابق عدم التركيز على مسائل اثبات وجود الخالق —سبحانه وتعالى– باعتباره مسألة وجوده مسألة فطرية فعلًا، رغم أنَّ القرآن ناقش ذلك وبرهن على وجوده —سبحانه وتعالى–، بآيات كثيره منها قوله —عز وجل–: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾[سورة الطور: الآية: 35]، إلَّا أنَّ أهل هذا الزمان اختلفوا عن أهل الزمان السابق، فبعضهم تغيرت فطرهم، وتأثروا بما عرضه الملحدون من نظريات عبر أجيال متلاحقة فنشأ جيل متأثر بالفكر التطوري الداروينيي، فالتركيز على مسائل توحيد الألوهية دون توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات أمرٌ يحتاج إلى إعادة نظر فينبغي الاهتمام بأدلة وجود الله —سبحانه وتعالى– وبيانها بيانًا مصحوبًا بالاستدلال بالبراهين الواضحة الجلية[1].

السبيل التاسع: تفعيل دور المشايخ والأئمة الفضلاء في الجوامع والمساجد وخارجها:

وذلك بتفعيل دورهم في بيان أسباب الإلحاد وخطورته، وكيفية مواجهته، كما أنَّ على الأئمة والخطباء أن يواكبوا التطور الحاصل في وسائل التواصل الاجتماعي في مواجهة الإلحاد، وتفعيل الدعوة الإلكترونية للأئمة والخطباء عبر الإنترنت .

السبيل العاشر: على وزارات الأوقاف في الدول الإسلامية تهيئة دعاة متخصصين ومتمكنين في الرد على الشبهات ومواجهة الإلحاد، وخير مثال ما قام به عدد من المشايخ الفضلاء والدعاة في نقد ومواجهة الإلحاد منهم الداعية الإسلامي الهندي الدكتور ذاكر نايك فإنَّ له كثير من المناظرات والمحاضرات في نقد وتفنيد ومواجهة الإلحاد، ففي إحدى مناظراته ومواجهاته مع الملحدين في نهاية الثلث الأول من العام: (2017م)، بلغ عدد المشاهدات أكثر من (15) مليون مشاهدة[2].

ومن هؤلاء الدعاة المؤثرين أيضًا الدكتور إياد قنيبي، ففي ضوء حلقاته واسعة الانتشار، والتي كتب الله —سبحانه وتعالى– لها القبول، بدأ يتصدى للشبهات والانحرافات العقدية، وأخيرًا حرر حلقات

(1) ينظر: مليشيا الإلحاد مدخل لفهم الإلحاد الجديد: عبد الله بن صالح العجيري، ص132.

(2) ينظر: مناظرة بعنوان: (أشرس مواجهة بين ملحد أمريكي عبقري وأشهر شيخ في العالم): للدكتور ذاكر نايك بتاريخ: 2017/4/24م، الرابط الإلكتروني: (https://www.youtube.com/watch?v=SmZlSIhNSH8).

في مواجهة الإلحاد لا سيما في الرد على برامج الدحيح المصري الذي يدعو إلى الإلحاد بطرح زائف مصبوغ بصبغة علمية كوميدية من خلال حلقاته واسعة الانتشار.

السبيل الحادي عشر: عمل ورش وندوات في كافة الجامعات العلمية والإنسانية:

أهمية عقد هذه الورش والندوات في كافة الجامعات سواء العلمية منها، أو الإنسانية لبيان خطورة الإلحاد المعاصر والجديد لطلبة العلم، وفي كل عام لمواكبة أي تطور في فكر الإلحاد لمواجهته.

السبيل الثاني عشر: المبادرة بتأسيس منتديات ومواقع إلكترونية للمواجهة والرد على المشككين:

دعوة أقسام علوم القرآن في كليات الآداب والتربية، واقسام العقيدة في كليات الشريعة للمبادرة سريعاً لتأسيس منتديات ومواقع إلكترونية لمواجهة الإلحاد والرد على الأسئلة التشكيكية التي يطرحها أعداء الإسلام.

السبيل الثالث عشر: تظافر مختلف الاختصاصات الشرعية والإنسانية والعلمية في مواجهة الإلحاد:

فالتأكيد على تظافر جهود كل المختصين سواء بالشريعة، أو في مختلف العلوم الأخرى في مناقشة ما تقدم من أسباب نشوء الإلحاد، والبحث عن العلاج والمواجهة الشاملة، وأن لا يقتصر الأمر فقط على المختصين بالعلوم الشرعية؛ لأنَّ الإلحاد له علاقة بالنظريات العلمية وبعلوم الأحياء والفيزياء، والفلسفة، وعلم النفس، وعلماء التربية والتعليم، وعلوم خلق الأرض (علماء الجيولوجيا)، وخلق السماء وغيرها من العلوم ذات العلاقة[1].

السبيل الرابع عشر: ضرورة إنشاء مراكز رسمية لمواجهة ونقد الإلحاد في كل بلد إسلامي:

وهذه المراكز تكون تابعة لوزارتي التعليم العالي والبحث العلمي، والأوقاف الإسلامية؛ فتقوم هذه المراكز بإقامة دورات تدريبية لتخريج طلبة علم متخصصين في نقد ومواجهة الإلحاد، قد أنشأت مثل هكذا مراكز؛ كمركز براهين، ومركز تكوين، ومركز يقين لنقد ومواجهة الإلحاد، وهذا الأخير قد درست فيه لمدة عشرة أشهر وتخرجت منه بعلوم قيمة لمواجهة الإلحاد.

السبيل الخامس عشر: مطالبة وزارتي التربية، والتعليم العالي والبحث العلمي في الدول الإسلامية لا سيما في بلدنا العراق بمراجعة الكتب المنهجية التي تُدَّرس في مناهج وزارة التربية، وفي قسمي علم الاجتماع وعلم النفس، والغاء الكتب التي تدعو إلى النظريات الداروينية وغيرها من النظريات التي تُشكك في وجود الله –سبحانه وتعالى– وتشكك في أصل خلق الإنسان.

فمثلًا في الكتاب المنهجي لمادة الأحياء للصف السادس الأحيائي، ما نصه: (من الأمور المُسلَّم بها أنَّ جميع الكائنات الحيَّة قادرة على إنتاج كائنات جديدة تُشبهها ...) [2]، فهذه العبارة ينبغي أن تصحح إلى عبارات تقرُّ بوجود الخالق –سبحانه وتعالى– فما المانع لو كتبت بهذه العبارة: (إنَّ الله –سبحانه وتعالى– خلق جميع الكائنات الحية، وقدر فيما بينها التكاثر بالتوالد ليستمر النوع)، فلو تم تتبع المناهج الدراسية لوجدنا كثير من هذه العبارات التي تستوجب التعديل أو التصحيح أو الحذف.

السبيل السادس عشر: ينبغي للوزارات في الدول الإسلامية الإعلامية والثقافية فضلًا عن الوزارات الأمنية متابعة الكتب والمنشورات والمطويات التي تدعو إلى الإلحاد ومحاولة سحبها من المكتبات ووضع قوانين لمنع اصدارها، ومعاقبة من يروج لها كونها تتعارض مع الإسلام، وتدعو إلى هدم الدين الإسلامي، وتتعارض مع الدساتير التي قامت عليها الدول الإسلامية.

السبيل السابع عشر: التوجيه إلى تطبيق الدول الإسلامية للأحكام الشرعية التي استنبطها علماء الأمة من القرآن

(1) ينظر: مليشيا الإلحاد مدخل لفهم الإلحاد الجديد: عبد الله بن صالح العجيري، ص131.

(2) ينظر: علم الأحياء: لجنة من المؤلفين، وزارة التربية العراقية، مطبعة النيزك، ط/7، 1440هـ2019-م، ص88.

الكريم والسنة النبوية في القضاء على هذا الداء الخطير ومواجهة الإلحاد، وذلك بالرجوع إلى كلام فقهاء الأئمة في حكم الملحد وسُبل مواجهته، أو معاقبته؛ كونه ينكر أصل الأصول ومقدمة المقدمات وهو إنكاره لوجود الله ومعرفته —سبحانه وتعالى–.

السبيل الثامن عشر: مواجهة نظريات الملحدين بالبرهان النظري والتجريبي الثابت والصحيح والاستفادة من ردود علماء الغرب في ردهم على الملحدين:

فالاستدلال برد النظريات الإلحادية كنظرية داروين وغيرها من النظريات الإلحادية بالتجربة والبرهان، ثم بيان أدلة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فمثلًا نظرية التطور تذكر العشوائية والصدفة والاحتمال والانتخاب الطبيعي للهروب من إثبات وجود الخالق —سبحانه وتعالى– فاختاروا هذه الألفاظ للتضليل، ففي أخر مناظرات الملحد المشهور(انتوني فلو)، أعلن فيها تأكيده على ما أعلنه قبله جيرالد شرويدر بالاعتراض على نظرية الصدفة، أو العشوائية، أو القردة[1].

> **ينبغي فهم الأبناء فهمًا عميقًا، وبناء علاقة صداقة وحُب معهم فلا يكون الأب استبداديًا ولا متساهلًا، ولا من الذين لا يبالون، بل لابد أن يكون الأب حازمًا مع الحرص والحُب بتكرار النصح وتعليمهم المبادي الإسلامية التي يسيرون عليها في حياتهم مع استمرار المراقبة والمتابعة.**

السبيل التاسع عشر: تشجيع وحث الطلبة في الجامعات العلمية والإنسانية لا سيما الدراسات العليا على الكتابة في نقد الإلحاد وسبل مواجهته، وأن لا نكتفي فقط بالرد، بل لا بد من الانتقال للمواجهة الشاملة كلًا بحسب تخصصه.

السبيل العشرون: التركيز على البحوث التي تتناول دلائل النبوة والإشارات العلمية في السنة النبوية الصحيحة في مواجهة الإلحاد، فهذا سبيل مهم في مواجهة الإلحاد كوننا في عصر العلم، وقد افتتن كثير من أبناء الأمة الإسلامية في هذا العصر بالعلم، فربط هذه العلوم وبيان أسبقية السنة النبوية في التحدث عنها يُعد من أنجع السبل في مواجهة الإلحاد.

السبيل الحادي والعشرون: الاهتمام ببحوث الإعجاز القرآني في مواجهة النظريات الإلحادية:

فهذا هو سبيل النبي محمد —سبحانه وتعالى– الذي انطلق من معجزة القرآن الكريم في مواجهة المشركين والكافرين والمنكرين والمعاندين، لقوله —عز وجل–:﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾[سورة الفرقان: الآية: 52]، فينبغي أن نتأسى به —صلى الله عليه وسلم– في الانطلاق من كل أوجه الإعجاز القرآني؛ اللغوي والبلاغي والتشريعي والإخباري والنفسي(التأثيري)، والعلمي في مواجهة الإلحاد.

وهذه السبيل خطر لي أبّان كتابتي لرسالة الماجستير[2]، بضرورة الكتابة في الأعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية لمواجهة الإلحاد، فكان لي هذه فقد وفقني الله لكتابة أطروحة دكتوراه وهي بمثابة مشروع مواجه للإلحاد والملحدين بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وبينتُ فيها عور نظرياتهم الإلحادية وأقوالهم البعيدة كل البعد عن الفطرة التي فطر الله —سبحانه وتعالى– النَّاسَ عليها، مُستدلًا بآيات الإعجاز العلمي.

وأخيرًا أقول: مهما نرى ونسمع من حالة الاستضعاف للأمة وتكالب الأعداء عليها فإنَّ ذلك لا يعذرها من

(1) ينظر: مليشيا الإلحاد: عبد الله بن صالح العجيري، ص134.

(2) في العام 2016م اتممت رسالتي للماجستير والموسومة بعنوان: الإعجاز العلمي في سورتي الأنبياء وفصلت ودوره في الدعوة إلى الله وزيادة الإيمان (دراسة موضوعية): جامعة تكريت–كلية التربية للعلوم الإنسانية–قسم علوم القرآن، 2016م، وقد حازت على أعلى تقدير في تاريخ القسم.. الامتياز مع التوصية بطباعتها لأهميتها.

مواجهة الباطل ورده، لا سيما الإلحاد الذي هو أعلى صور الانحراف، فحالة الاستضعاف التي تمر بها الأمة اليوم لا تعني ترك إنكار المنكر بالكلية، وحينما أتأمل قول الله –عز وجل–: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾[سورة غافر: من الآية:28]، فقد قال قولته، وهو يكتم إيمانه، فكيف بحالنا اليوم وهذه الجامعات والصروح العلمية الكبيرة، فضلًا عن وجود الوسائل المتنوعة للمواجهة مع الملحدين لدعوتهم أولًا للحق المُبين، ولمواجهة من أصرَّ منهم على الباطل ثانيًا، كون الدعوة إلى الله هي مسؤولية الجميع.

• الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الأعمال الصالحات، وبتيسيره وعونه تُقضى الأهداف والمهمات وبفضله تتحقق المقاصد والغايات، والصلاة والسلام على سيّد البريَّات، نبيُّنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الفصل والميقات، أمَّا بعد:

فبعدَ رحلة مجهدةٍ ماتعةٍ قضيتُها بين صفحات المصادر والمراجع، ومتون العلم، والمقالات والمجلات، أصل فيها إلى نهاية الرحلة والمطاف في ختام بحثي الموسوم بـ(الإلحاد الجديد في المجتمعات الغربية والعربية مفهومه ونشأته وأسباب ظهوره)، ورأيتُ أنْ أختمه بخُلاصةٍ لأهم النتائج وأبرزها، والتوصيات التي توصلت إليها، وكما يلي:

أولًا : أهم النتائج :

1– بيَّنت الدِّراسة أنَّ التحريف الذي طرأ على التوراة والإنجيل، هو من الأسباب الرئيسة التي أدت إلى التناقض بينهما وبين معطيات العلوم العلمية الصحيحة، فنتج عن هذا التناقض بذر البذور الأولى للألحاد لا سيما عند العلماء الغربيين.

2– من نتائج الدِّراسة أنَّها بيَّنت أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور الإلحاد في العصر الحديث والمعاصر في الغرب ومنها الاضطهاد الكنيسي الذي طال العلماء، ووقف بوجه أي تطور علمي.

3– بيَّنت الدِّراسة دور الماسونية العالمية وخطرها في العصر الحديث في الدفع باتجاه الإلحاد لا سيما في المجتمعات الإسلامية كي يسهل لهم السيطرة عليها.

أولًا : أهم التوصيات: فضلًا عن سبل مواجهة الإلحاد التي بينتها بمطلب مستقل فأوصي بالآتي:

1– أُوصي بضرورة دراسة الإلحاد من حيث جذوره ونشأته وإفراد ذلك بدراسة تأريخيه واقترح على طلبة العلم في أقسام التاريخ العنوان الآتي (الإلحاد؛ مفهومة، جذوره ونشأته وأسبابه –دراسة تاريخية).

2– أوصي بإفراد كل أوجه الإعجاز القرآني بدراسات مستقلة لبيان دورها في مواجهة الإلحاد الجديد.

3– أدعو إلى غلق كل المواقع الإلحادية أو التي تنشر الشذوذ والرذيلة على وسائل التواصل الاجتماعي فهناك مواقع كثيرة على الفيس بوك، وتويتر، وقنوات اليوتيوب والتيليجرام وغيرها، ومعاقبة المروجين لها.

> **من سُبُل مواجهة الإلحاد مواجهة نظريات الملحدين بالبرهان النظري والتجريبي الثابت والصحيح والاستفادة من ردود علماء الغرب في ردهم على الملحدين.**

4– أدعو وزارات الأوقاف في البلدان الإسلامية لا سيما في بلدي العراق إلى إنشاء مراكز تخصصية علمية لمواجهة الإلحاد ومحاورة الملحدين، ونقض أفكارهم وتفنيدها، والإجابة على اسئلتهم، أو أسئلة من تأثر بهم من أبناء جلدتنا.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسّلام على خير الأنام سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الأبعاد الدولية للأزمة الأوكرانية وتداعياتها على المنطقة العربية

بقلم: طلعت رميح[1]

تقترب الحرب الروسية على أوكرانيا، والأزمة الدولية الكبرى الناشبة بشأنها، من الوصول إلى نقطة تقاطع قد تسمح بالوصول إلى وقف إطلاق النار، كما تتوارد مؤشرات على تفاوض يجري بين الولايات المتحدة وروسيا وأوروبا، للوصول إلى نهاية لتلك الجولة من الحرب، والأغلب أن يكون الحل المتاح، هو حدوث حالة تقاسم جغرافي للأرض الأوكرانية دون اتفاق معلن- كأمر واقع- في تكرار لطريقة توقف الصراع (والحرب) التي جرت على الأرض الأوكرانية في عام (2014م)، أو أن تترك مدافع الطرف الرافض، تطلق النيران حتى تنصهر- كما يقول بعض العسكريين - هذا إن لم تتوسع الحرب وتصبح حربًا مباشرة بين روسيا والناتو، وهو احتمال ضعيف التحقق ومدمر للجميع.

وسواء جرى احتمال الحل التفاوضي، أو ظلت الأعمال الحربية سارية، بوتائر منخفضة في فصل الشتاء — كأمر واقع- انتظارًا لتصاعد جديد في فصل الربيع القادم، فعالم ما بعد حرب/ وأزمة أوكرانيا، لن يكون كما كان قبله، إذ تخطت تاثيرات الحرب حالتها الموضعية على الأرض الأوكرانية، وطرفي الحرب المباشرين، وامتدت فعالياتها لتصبح أزمة دولية، امتدت آثارها إلى مختلف أنحاء العالم، وإذ جرت وقائعها بعد جائحة كورونا وآثارها الكبيرة، فقد أصبح العالم مختلفًا على نحو كبير عمّا كان.

لقد حدثت تغييرات كبرى في التوازنات الدولية، بمختلف مكوناتها الإستراتيجية (العسكرية والسياسية والاقتصادية بل حتى الفكرية)، وتغيرت الأوزان النسبية لدول كبرى ومتوسطة، إذ ضعفت قدرة بعضها على التاثير في القرار الدولي، فيما زادت قدرات أخرى، وهناك دول تقلصت معالم استقلالها والعكس لدى دول أخرى، وجدت في الأزمة فرصة للتخلص من قيود فرضت عليها منذ الحرب العالمية الثانية.

كما حدث تغيير كبير في نمط إدارة العلاقات الدولية، إذ انتهت حالة السيولة التي عاشها العالم خلال السنوات الأخيرة، وحلت محلها سياسة المحاور الصراعية وبناء التحالفات المتعادية وإشاعة أجواء الاستعداد للحروب، وهي حالة ستصبح أشد وضوحًا مع التصاعد الجاري في الصراع بين الولايات المتحدة والصين.

(1) كاتب ومحلل سياسي من مصر.

كما تجسدت ملامح صراع دولي متوسع، للتحول من وضعية الهيمنة الأمريكية على القرار الدولي إلى حالة تعدد الأقطاب، وهي حالة تجري ليس فقط على أساس التعدد السياسي وامتلاك عوامل القوة، بل أيضًا وفق نمط من التعدد الحضاري.

وفي ظل اتساع حدة وشدة تأثير تلك التغييرات، تطرح التساؤلات حول مدى تأثيرها على منطقة الشرق الأوسط بأزماتها وتناقضاتها، وبشكل خاص على المنطقة العربية، باعتبارها الأكثر هشاشة بسبب أزماتها الحادة وحالة التفكك التي تعاني منها، كما تطرح تساؤلات حول التفاعلات المتوقعة مستقبليًا، في ظل تنامي الصراع بين الحليفين الروسي والصيني من جهة والدول الغربية وحلفائها من جهة أخرى.

ولعل الأسئلة الأكثر أهمية، هي تلك التي تدور حول ما إذا كانت الدول العربية والإسلامية، قد أمسكت بالقضايا الإستراتيجية –خلال تفاعلها وحركتها تجاه التغييرات الدولية– بما يحقق مصالحها المستقلة، وما إذا كانت وضعت خططًا للتعامل مع القضايا والتحديات التي تواجهها في رسم سياستها المستقبلية.

• توصيف الحرب والأزمة

لقد تقررت هذه الحرب منذ انتهاء جولة الصراع التي أفضت إلى ضم روسيا لشبه جزيرة القرم، في عام (2014م)، إذ رفضت الولايات المتحدة وأوروبا الاعتراف بالقرار الروسي، وبدأت في تطوير القدرات العسكرية الأوكرانية.

كما تحددت طبيعة الصراع والأزمة، وأبعادها الدولية، قبل بدء روسيا هجومها العسكري على أوكرانيا في شباط/ فبراير (2022م).

لقد سبق إطلاق روسيا لآلة الحرب، خلاف عميق بين روسيا من جهة، وحلف الناتو بقيادة الولايات المتحدة من جهة أخرى، ولم تكن قضية أوكرانيا سوى أحد ملفات الصراع لا محوره الوحيد.

كانت روسيا تطالب بما وصفته "الضمانات الأمنية"، وملخصها تعهد حلف الناتو بعدم التوسع والتمدد والاقتراب من حدود روسيا، وعدم ضم أوكرانيا إلى الحلف، وكان رد الناتو مراوغًا، إذ أطلق الحلف بيانات وإعلانات سياسية، مفادها أن الحلف مفتوح أمام من يريد الانضمام، وأن اتخاذ مثل هذا القرار تحكمه قواعد وأسس تتعلق بإرادة أعضائه والقواعد المنظمة لانضمام الدول.

وهو ما قابلته روسيا بالإعلان، أن موقف الناتو بقيادة الولايات المتحدة، يهدد أمنها القومي، وأن أوكرانيا ستكون نقطة انطلاق لخطة غربية تستهدف تقويض وجود الدوله الروسية، كما قابلته بالعودة للتشديد على رؤيتها بضرورة إنهاء السيطرة الغربية على القرار الدولي وإعادة تشكيل "النظام" الدولي لينتقل من الهيمنة المنفردة للولايات المتحدة، إلى عالم متعدد الأقطاب، وأكدت روسيا على رؤيتها التي وردت في خطاب الرئيس الروسي الحالي فلاديمير بوتن، أمام مؤتمر ميونيخ عام (2007م)، إذ شدد على ضرورة الالتزام بنظام عالمي متعدد الأقطاب.

وهكذا، أصبح العالم جاهزًا لولوج أزمة دولية – قبل إطلاق العمليات العسكرية– تتعلق بالأوضاع الإستراتيجية في أوروبا وبالعلاقات بين روسيا وحلف الناتو، وبطريقة صناعة القرار الدولي وضرورة إشراك الدول الكبرى — ومراعاة مصالحها– عند اتخاذ القرارات الدولية.

وما إن أطلقت روسيا هجومها العسكري على أوكرانيا، حتى اتضحت الملامح الأوسع لصورة

الأزمة، وأصبح العالم أمام حرب موضعية بين روسيا وحلف الناتو– الذي وقف خلف أوكرانيا– وأمام أزمة وصراع دولي، لإعادة تشكيل التوازنات الدولية وتغيير طريقة صناعة القرار الدولي.

وقد أطلقت روسيا عملياتها العسكرية دون أن تعلن الحرب على أوكرانيا، واكتفت بالقول إنها أطلقت عملية عسكرية خاصة – لتأكيد محدودية تدخلها العسكري– لمواجهة المجموعات النازية في أوكرانيا والدفاع عن مواطنين يحملون الجنسية الروسية ويتحدثون لغتها، وهو ما أضاف بعدًا حضاريا لتلك المواجهة والحرب، سيكون لها ارتدادات دولية هامة على صعيد نمط بناء الدول، إذ تسجل روسيا انتقالًا إلى حالة الدولة — الأمة بالمعنى الحضاري، بديلًا لحالة الدولة — الأمة (أو الدولة الوطنية) التي يرتبط وجودها وأمنها القومي، بقضية الحدود والأجواء والمياه الإقليمية.. إلخ.

وفي المقابل، فقد وسعت الدول الغربية مضمون واتجاهات الصراع، ليصبح مواجهة شاملة بين الناتو والغرب وروسيا، تحت عنوان منع إعادة سيطرتها على دول أوروبا الشرقية ووقف محاولتها تغيير الحدود في أوروبا، وقواعد "النظام" الدولي.

لقد صدرت إعلانات سياسية قاطعة من حلف الناتو، بعدم التدخل المباشر في الحرب، مع التأكيد القاطع على الاستعداد للحرب دفاعًا عن كل شبر من أراضي دول الحلف، وتحرك الحلف لدعم أوكرانيا عسكريًا عبر إمدادها بالمال والسلاح والمتطوعين غير النظاميّين وبالتقارير الاستخبارية، والأهم إن صعد الحلف الأزمة لتصبح أزمة دولية، إذ سعى لعزل وخنق روسيا ماليًا واقتصاديًا وسياسيًا وثقافيًا، على الصعيد الدولي.

فقد جرى فرض أقصى العقوبات على روسيا حتى قيل إنها العقوبات الأقسى عبر التاريخ، وجرى تكثيف الضغوط على دول العالم للالتزام بتلك العقوبات، التي وصلت حد التهديد بسحب حق النقض–الفيتو–الذي تتمتع به روسيا في مجلس الأمن الدولي.

> **لعل الأسئلة الأكثر أهمية، هي تلك التي تدور حول ما إذا كانت الدول العربية والإسلامية، قد أمسكت بالقضايا الإستراتيجية –خلال تفاعلها وحركتها تجاه التغييرات الدولية– بما يحقق مصالحها المستقلة.**

وزاد من تأثيرات الحرب والأزمة، أن بدأت الولايات المتحدة حالة تصعيد حادة مع الصين، ولقد بدأت تشكيل تحالفات مع دول جوار الصين لإضعاف تنامي قوتها وصعودها وانطلاقها لتصبح قوة دولية منافسة للولايات المتحدة، بهدف إشغالها في محيطها بل حتى حصارها، كما صعدت من دعمها لانفصال تايوان، ولقد جرى الربط جليًا بين أزمة أوكرانيا والصراع مع الصين، حين جرى الحديث عن عدم إهانة روسيا في الحرب— كما قال كيسنجر– حتى لا تندفع لتعميق التحالف مع الصين، التي تراها الولايات المتحدة المنافس الحقيقي، باعتبارها القادرة اقتصاديًا وماليًا وسياسيًا وتكنولوجيًا على تغيير النظام الغربي المسيطر على العالم، وهو ما وضع الصين في قلب الأزمة.

وضمن هذا السياق من التغييرات في العلاقات الدولية، جرى نقل الصراع والضغوط إلى الشرق الأوسط والمنطقة العربية التي كانت قد استثمرت في وضع السيولة الدولية السابقة وعمّقت علاقاتها مع الصين وروسيا. لقد بدأت الولايات المتحدة

محاولة تغيير توجهات سياسات بل حتى أزمات تلك المنطقة؛ لتأمين تحولها لمواجهة الصين وروسيا ضمن إطار الإستراتيجية الأمريكية.

وبذلك أصبحت للحرب أبعاد متعددة، فهي حرب موضعية على الأرض الأوكرانية تخوضها روسيا تحت عنوان عملية عسكرية خاصة، وتعلن أنها تستهدف تحرير ناطقين بالروسية وحاملين لجنسيتها، وللسيطرة على مناطق الشرق الأوكرانية. وتخوضها أوكرانيا دفاعيًا للحفاظ على سيادة الدولة والأرض.

بما يجعلها حربًا ذات طابع حضاري من قبل روسيا، وحربًا سياسية وعسكرية للدفاع عن الأرض والسيادة – وفق القواعد المعتمدة في الأمم المتحدة– من جانب أوكرانيا.

وهي حرب تهاجم فيها روسيا الأرض الأوكرانية بالاعتماد على قوتها وقوات شبه نظامية ممثلة في مرتزقة شركة فاغنر، فيما يخوضها الجيش الأوكراني دفاعيًا مدعومًا من حلف الناتو على الصعيد العسكري والاقتصادي والسياسي وتسانده مجموعات مرتزقة من دول غربية عديدة.

وهي حرب وأزمة ذات أبعاد وأهداف إستراتيجية؛ تخوضها روسيا سعيًا لتغيير نظام الهيمنة الغربي والوصول إلى حالة تعدد الأقطاب، ويخوضها الغرب للحفاظ على الهيمنة على الوضع والقرار الدولي.

وباعتبارها سابقة جديدة في أوروبا منذ الحرب العالمية الثانية، لتعديل حدود دولة بالقوة من طرف دولة أخرى، فهي حرب روسية لتعديل الحدود، وهي في المقابل حرب وأزمة أوروبية لمنع حدوث متوالية تعديل الحدود، بما يفجر أوروبا المليئة بالمتناقضات القومية والصراعات الحدودية.

وهي حرب تخوضها روسيا هجوميًا على الصعيد العسكري ودفاعيًا على الصعيد الإستراتيجي، وإن انتصرت روسيا في معركتها الهجومية –العسكرية– دون الانتصار على الصعيد الإستراتيجي (الدولي) تكون قد انتصرت تكتيكيًا، فيما هزمت إستراتيجيًا. وتخوضها أوكرانيا دفاعيًا في المرحلة الأولى وهجوميًا في المرحلة الثانية، على الصعيد العسكري، فإن حققت انتصارًا على الأرض، تكون قد هزمت روسيا كليًا.

وهي حرب يخوضها الغرب دفاعيًا على الصعيد العسكري – غير المباشر على الأرض الأوكرانية– وهجوميًا على الصعيد الإستراتيجي سياسيًا واقتصاديًا ودبلوماسيًا.

> **زاد من تأثيرات الحرب والأزمة، أن بدأت الولايات المتحدة حالة تصعيد حادة مع الصين، ولقد بدأت تشكيل تحالفات مع دول جوار الصين لإضعاف تنامي قوتها وصعودها وانطلاقها لتصبح قوة دولية منافسة للولايات المتحدة.**

• اتجاهات حركة الصراع ومجالات إدارة الأزمة

لقد مثلت إدارة الحرب نموذجًا جديدًا للقدرة على الجمع بين "الأسلحة والمؤثرات الجديدة" – كالحرب السيبرانية واستخبارات الأقمار الصناعية واستخدام الطائرات المسيرة – في إدارة الإستراتيجيات العسكرية، والأدوات التقليدية القديمة التي ساد استخدامها في الحروب السابقة، وهو ما جعل الحرب حالة اختبار تراقبها جميع الجيوش والخبراء العسكريين في العالم بدقة بالغة.

ومثلت إدارة الأزمة التجربة الأولى للصراع الدولي –بين دول كبار– بعد التداخل الاقتصادي

والاجتماعي وتوسع انتقال السلع وتدفق رؤوس الأموال وحرية تدفق المعلومات والأخبار والأفكار، من خلال ما وصف بالعولمة التي اخترقت كل الحدود.

وقد أظهرت الأزمة الجوهرَ الحقيقي للعولمة، باعتبارها طريقة لتعميق السيطرة الغربية على العالم، إذ جرى فرض العقوبات على روسيا شاملة فصلها خارج كل النظم والآليات التي جلبتها العولمة في إدارة العلاقات الاقتصادية دوليًا.

كما كشفت الأزمة، استمرار الحركة الغربية على الخط الإستراتيجي الشامل للصراع، الذي خطته الولايات المتحدة (والغرب عمومًا- مع تفاوت الانغماس) لوقف تمدد النفوذ والدور والمصالح لكلٍ من الصين وروسيا من إقليميهما باتجاه بقية الجغرافيا الدولية، هذا الخط الإستراتيجي الممتد من الهند إلى باكستان وأفغانستان مرورًا بالعراق وسوريا وصعودًا إلى أذربيجان وإرمينيا، وصل الآن إلى أوكرانيا، وتمدد إلى دول البلطيق في شمال الكرة الأرضية، بعد طلب فنلندا والسويد الانضمام لحلف الناتو.

وأكدت الأزمة أن الحلف الإنجلوساكسوني لا يزال يواصل استخدام أدوات قوته للحفاظ على النظام الذي تم تاسيسه خلال الحقبة الاستعمارية الغربية لتحقيق السيطرة على العالم. لقد تصدرت الولايات المتحدة وبريطانيا إدارة الحرب والأزمة، وأعمال الحشد والتعبئة وممارسة الضغوط على دول العالم، وهي من قامت بتسليح أوكرانيا وتمويل ميزانياتها، وهو وضع أصبح أشد وضوحًا مع تنامي بناء التحالفات العدائية ضد الصين.

وكان لافتًا أن أوضحت روسيا منذ البداية أنها توفر الغطاء النووي للمعركة العسكرية التي تجري في حال تحولها إلى حرب يشنها الغرب على روسيا، إذ أعلن الرئيس الروسي رؤية واضحة لموازين القوى بين الناتو وروسيا، ووضع خطًا إستراتيجيًا قاطعًا مفاده إذا تدخل الناتو في الحرب في أوكرانيا بقواته، فلن يكون لروسيا إلا استخدام السلاح النووي.

وقد بدا واضحًا أن الحرب والأزمة تجري في اتجاهات ومجالات إستراتيجية عديدة، يمكن تلخيصها في الآتي:

على الصعيد العسكري:

يمكن تقسيم مراحل العمليات العسكرية وتطوراتها إلى مرحلتين:

-المرحلة الأولى من الحرب:

لقد تعمدت روسيا عند بداية إطلاق عملياتها العسكرية، إضفاء قدر كبير من عدم الوضوح حول خططها العسكرية، واختارت التعمية على أهداف تحركات قواتها غير أنها أعطت إشارات على توجهاتها، إذ سبقت تحرك قواتها بالاعتراف الرسمي بمناطق في شرق وجنوب أوكرانيا، كجمهوريات مستقلة.

بدأت القوات الروسية هجومها العسكري بالسير صوب العاصمة الأوكرانية، وهو ما بدا أمرًا مستغربًا حيث لم تعلن روسيا الحرب ولم تسحب اعترافها بالنظام القائم.

وقد غلب على حركة القوات الروسية ميل استعراضي – إذ استغرقت القوات وقتًا طويلًا — وبدا واضحًا أنها تتجنب وتتحاشى دخول أو احتلال المدن. اكتفت القوات بالبقاء في أطراف العاصمة حين وصلت إلى حدودها الإدارية، ثم انسحبت فجأة. وفي ذلك لم يصدر لا تصريح ولا تفسير من القيادة الروسية، رغم ما صبّه الإعلام الغربي من تفسيرات واتهامات بضعف القوات وقلة وارتباك الدعم

اللوجيستيكي. وجرت تفسيرات أخرى تصف ما جرى بإثبات قدرة روسيا على إسقاط النظام إن أرادت. وقيل: إن القوات استهدفت دفع القوات الأوكرانية المتمركزة في الشرق للتحرك للدفاع عن العاصمة، قبل أن تتحرك هي للهجوم في الشرق.

وفي المقابل، اعتمدت القوات الأوكرانية مبدأ عدم الاشتباك المباشر مع القوات الروسية المتقدمة نحو كييف أو حتى المنسحبة، وهو ما أدى لعدم وقوع أية معارك برية كبرى. لقد سارت القوات الروسية على الخطوط الخارجية بين المدن، فيما اكتفت القوات الأوكرانية بأعمال تعرضية أقرب إلى حرب العصابات على أطراف المدن.

> **أكدت الأزمة أن الحلف الإنجلوساكسوني لا يزال يواصل استخدام أدوات قوته للحفاظ على النظام الذي تم تاسيسه خلال الحقبة الاستعمارية الغربية لتحقيق السيطرة على العالم.**

وخلال تلك المرحلة كان الحديث عن الدعم العسكري الغربي خافتًا أو في بدايته الحذرة، فيما كان الحشد السياسي والتصعيد الاقتصادي وفرض العقوبات منطلقًا كقطار جامح.

–المرحلة الثانية من الحرب:

يمكن القول، بأن عودة القوات الروسية من كييف، وتحول العمل العسكري الروسي للتركيز على المنطقة الشرقية من أراضي أوكرانيا، كان بمثابة المرحلة الثانية من الحرب.

كما جرى تركيز العمليات الحربية للقوات الروسية لتحقيق السيطرة على المناطق الشرقية (لوجانسيك ودونيسك) ومقاطعتي خيرسون وزباروجيا في الجنوب، وهو ما كان مقدمة لإجراء الاستفتاءات في تلك المناطق، للإعلان عن ضمها لأراضي روسيا، وهو ما جرى –هو الآخر– مترافقًا مع رفع درجة الاستعداد النووي.

وكان لافتًا في تلك المرحلة أن ترافق ذلك، مع تغيير لأوضاع القوات الروسية على الأرض، إذ قامت بالانسحاب من مقاطعة خاركيف (وهي خارج الأراضي التي جرى ضمها للأراضي الروسية) ومن نحو (30%) من أراضي مقاطعة خيرسون (وهي ضمن الأراضي التي جرى ضمها). وإن بدأت القوات الروسية اعتماد إستراتيجية دفاعية في المناطق التي سيطرت عليها وضمتها.

وهكذا، إذ شهدت المرحلة الأولى من الحرب، اعتراف روسيا بتلك الأقاليم كجمهوريات مستقلة، فقد شهدت الثانية ضم تلك الأقاليم للأراضي الروسية.

وما كان خطيرًا في هذا الأمر، أن جرت عملية الضم دون إكمال الجيش الروسي سيطرته على كامل الأرض التي جرى ضمها في دونيتسك، وهو ما أثار احتمال استخدام القوات الروسية للسلاح النووي، تحت عنوان الدفاع عن "أراضٍ روسية".

على الصعيد السياسي:

قبل إطلاق الحرب بدا واضحًا أن الغرب كان يدفع روسيا دفعًا لإطلاق العمليات العسكرية، وهو ما وصف بالدفع المستهدف، جر روسيا للسقوط في مصيدة استنزاف سياسي واقتصادي وعسكري وعلى صعيد دورها الدولي. غير أن تمايزًا ظهر في المواقف بين دول أوروبا الغربية –خاصة فرنسا وألمانيا– والولايات المتحدة وبريطانيا، وبين أوروبا الغربية عمومًا، وأوروبا الشرقية.

لقد ظهرت ألمانيا وفرنسا في موضع الساعي للحوار السياسي مع روسيا، فيما كانت الولايات المتحدة

وبريطانيا – ومن خلفهما دول أوروبا الشرقية- في موضع الدافع نحو الحرب.

كما كان واضحًا أن دولًا كبرى في العالم لا تحبذ الذهاب إلى الحرب، وتنظر للولايات المتحدة وبريطانيا باعتبارهما من يدفع نحو الحرب، كما هو حال الصين والهند ودول عديدة حول العالم.

وبعد دوران آلة الحرب، حدثت تغييرات في المواقف.

لقد ظلت فرنسا وألمانيا على موقفيهما فعليًا، غير أن الدولتين وجدتا نفسيهما أمام احتمال الانعزال في داخل التحالف الغربي، بما غير مواقفهما على نحو ما عسكريًا وبشكل أكبر على صعيد المشاركة في العقوبات.

> **يمكن القول، بأن عودة القوات الروسية من كييف، وتحول العمل العسكري الروسي للتركيز على المنطقة الشرقية من أراضي أوكرانيا، كان بمثابة المرحلة الثانية من الحرب.**

وقد اتضح فيما بعد أن المانيا رأت فيما يجري فرصة مهمة لتعديل أوضاعها أو لإضعاف القيود التي فرضت عليها بعد هزيمتها في الحرب العالمية الثانية، وهو ما تجلى في الإعلان عن إعادة بناء جيشها وتطويره، مع الإعلان عن سعيها لتصبح القوة العسكرية الأولى في أوروبا، وأن جيشها في طور الإعداد ليصبح قوة قادرة على الدفاع عن أوروبا. وفي ذلك، ظلت فرنسا في موقع الساعي لوقف الحرب، فرغم تطبيقها للعقوبات ورغم إمدادها لأوكرانيا ببعض الأسلحة، فإنها رأت موقفًا أمريكيًا ساعيًا لإضعاف أوروبا من جهة، ورأت في الجهة الأخرى تحولًا ألمانيًا أقلقها على صعيد التوازنات العسكرية والسياسية في داخل أوروبا.

وعلى صعيد الموقف الصيني، فقد بدا لافتًا أنها اتخذت موقفًا متمايزًا عن روسيا. لم تقف الصين مع الغزو العسكري الروسي، وكانت تعلن موقفًا عامًا يرفض استخدام القوة العسكرية، وكان موقفها هذا يصدر مترافقًا بتوجيه انتقادات للموقف الغربي، وبدا أن تركيزها الأول في المواقف ينصب على التفرقة بين حالة أوكرانيا وحالة تايوان، وقد تحركت الصين على نحو عميق لمساندة الصمود الاقتصادي الروسي، ولم تُبد التزامًا بالعقوبات الغربية رسميًا ووصفتها بالعقوبات الأحادية، وقد وصف موقف الصين بالحياد، فيما شددت دومًا على أن مفتاح حل الأزمة الأوكرانية في أيدي واشنطن والناتو، وطالبتهما باتخاذ إجراءات عملية لحل الأزمة باعتبارهما المتسببين فيها.

وعلى صعيد الموقف الهندي، فقد بدا واضحًا، أنها لم تلتزم بالعقوبات المفروضة على روسيا إذ واصلت التعاون معها دون أن تدعم حربها على أوكرانيا.

لقد راعت الهند ارتباطها التاريخي والاقتصادي والعسكري بروسيا منذ زمن الاتحاد السوفيتي. كما راعت علاقاتها المتنامية مع الولايات المتحدة في مواجهة الصين، إذ سبق أن انضمت الهند إلى تحالف أكواد الذي يضم إلى جانب الهند كلًا من الولايات المتحدة واليابان وأستراليا، وهو ما تطلب اتخاذ موقف شديد الدقة والحساسية في إبداء المواقف بشأن هذه الأزمة.

وعلى الصعيد العالمي، فقد انقسمت مواقف الدول؛ وإذ وقفت الدول الغربية في موقف العداء، فلم يقف معها صراحة إلا الدول الخاضعة لهيمنتها المطلقة كحال اليابان وكوريا الجنوبية (مثلًا)، فيما أظهرت معظم دول العالم موقفًا داعمًا لروسيا بطريقة

ضمنية في مواجهة العقوبات، دون أن تدعم غزوها واحتلالها لأوكرانيا. لقد رفضت غالبية دول العالم عمليات عزل روسيا، وشهدت موسكو زيارات من قادة في العالم مثلت تحديًا لعملية العزل. غير أن أغلبية دول العالم لم توافق ووقفت ضد العدوان الروسي وشن الحرب على أوكرانيا، وكان أكثر ما أوضح طبيعة التوازنات السياسية الدولية هو تصويت الأمم المتحدة.

لقد صوتت الجمعية العامة للأمم المتحدة على قرار بالأغلبية يدعو روسيا إلى سحب قواتها العسكرية فورًا من أوكرانيا، وجاء التصويت دالًا، إذ اعتمد القرار بأغلبية (141) دولة، وعارضته (5) دول فقط، هي: روسيا وسوريا وإريتريا وبيلاروسيا وكوريا الشمالية، فيما امتنعت (34) دولة عن التصويت.

على الصعيد الاقتصادي:

كان الاقتصاد عنوانًا بارزًا في تلك الحرب والأزمة، ويمكن القول؛ بأن العولمة الاقتصادية كانت الضحيه الأولى والأكبر.

وإذا كان الغرب قد اتخذ إستراتيجية استنزاف لروسيا، في مجال الحرب والسياسة، فقد كان العنوان الاقتصادي هو الأشد وضوحًا ومباشرة وتاثيرًا في حالة الاستنزاف، والأشد تاثيرًا على النتائج.

لقد جرى فرض آلاف العقوبات الاقتصادية على روسيا، وشملت العقوبات الغربية منع روسيا من التصرف في أرصدتها الخارجية الدولار واليورو، كما شملت التحول عن استيراد الغاز الروسي ووضع سقف سعري للنفط المصدر عبر السفن، وشملت فصل أغلب البنوك الروسية عن النظام المصرفي – سويفت– وتجميد أموال رجال الأعمال الروس بالخارج ووقف تصدير التكنولوجيا الغربية إليها، ومنع السفن الروسية من دخول الموانئ الأوروبية والغربية ووقف التأمين عليها –بما يمنع دخولها الموانئ في معظم دول العالم– ومنع دخول الطيران المدني الروسي الأجواء الغربية، ووصل الأمر حد منع الفرق الرياضية والفنية وتقليص منح التأشيرات للروس.. إلخ.

وقد اعتمدت روسيا في المقابل، سياسة اقتصادية تقوم على التعامل مع العقوبات كوضع يستمر لفترات طويلة، وفي ذلك بدأت السعى إلى انقسام السوق العالمي. ولقد تحركت نحو حلفائها ومن رفضوا عزلها اقتصاديًا، للتعامل بالعملات الوطنية –خارج إطار الدولار واليورو– كما بدأت حراكًا مع الصين لتشكيل منظومة مالية موازية لنظام سويفت الغربي. وبدأت حركة تصنيع وتطوير تكنولوجي في داخلها لمواجهة حرب التكنولوجيا.

وفي مواجهة الحملة في أوروبا تحت عنوان إنهاء التبعية للغاز الروسي؛ تحركت روسيا في عدة اتجاهات؛ تحركت باتجاه الشرق وخاصة الصين والهند لضمان تعويض صادراتها من الغاز، وتحركت نحو تركيا لجعلها مركزًا لتصدير الغاز إلى أوروبا أو غيرها.

وكان اللافت في أمر العقوبات وتأثيراتها أن عانت الاقتصادات الأوروبية –كما عانت روسيا–إلى درجة إفلاس أعداد كبيرة من الشركات وإلى دفع الحكومات دعمًا ماليًا للشركات الصغيرة وحتى للمواطنين لتوفير القدرة على مواجهة ارتفاع أسعار الطاقة، كما تفجرت خلافات بين أوروبا والولايات المتحدة بشأن أسعار الغاز وأعمال تمويل الحكومة الأمريكية للشركات، وصلت حد اعتراض علني من فرنسا وألمانيا على محاولة الولايات المتحدة استغلال الضائقة الأوروبية الاقتصادية– الناتجه أصلًا عن الضغوط الأمريكية– بعد قطع الغاز الروسي، إذ

ضاعفت الولايات المتحدة أسعار غازها المصدّر إلى أوروبا، كما هددت أوروبا بحرب تجارية مع الولايات المتحدة بعد إقرارها حزم دعم لشركاتها.

وقد بدأت أوروبا التوجه نحو دول أفريقيا ودول أخرى مثل أذربيجان وقطر لاستيراد الغاز، والأهم في هذا التغيير أن أوروبا ستعيد ترتيب العلاقات الإستراتيجية ودورة المصالح والنفوذ باتجاهات جديدة بما سيكون له انعكاسات مستقبلية في إدارة علاقاتها الدولية.

صوتت الجمعية العامة للأمم المتحدة على قرار بالأغلبية يدعو روسيا إلى سحب قواتها العسكرية فورًا من أوكرانيا، وجاء التصويت دالًا، إذ اعتمد القرار بأغلبية (141) دولة، وعارضته (5) دول فقط.

• تغييرات كبرى في بيئة العلاقات الدولية

أنتجت الحرب والأزمة، تغييرات جوهرية في بيئة العلاقات الدولية، كان حدوثها يحتاج لسنوات طوال، وتلك إحدى السمات الأساسية للحروب.

انتهت مرحلة سيولة العلاقات الدولية التي كانت سمة بارزة خلال السنوات العشر الأخيرة، وحلت محلها سياسة المحاور الصراعية المتضادة —وبات العالم أقرب إلى حالة انقسام كبير– وتوسعت الاستعدادات للحروب ووصل الأمر حد وقوع العالم تحت التهديد والخوف من اندلاع حرب نووية، وبات ممكنًا الحديث عن صراعات كبرى خلال مسيرة التحول نحو العالم متعدد الأقطاب.

ويمكن اختصار أبرز المتغيرات في بيئة العلاقات الدولية فيما يلي:

1– مغادرة مرحلة سيولة العلاقات الدولية

عاش العالم قبل الحرب حالة سيولة في العلاقات الدولية، وخلالها كان ممكنًا للدول الحليفة للولايات المتحدة — ومنها دول أوروبية بل حتى الكيان الصهيوني– أن تاخذ من الصين وروسيا ما تحتاج إليه من سلع مدنية وعسكرية، وأن تتبادل معها الاستثمارات المالية، وأن تعقد شراكات معها لإدارة موانئ، ولنقل التكنولوجيا دون أن تتعرض لضغوط أو عقوبات أمريكية أوروبية.

وقد أحدثت الأزمة تغييرًا حادًا وجوهريًا في تلك الحالة عقب إطلاق الولايات المتحدة وحلفائها الحرب السياسية والإعلامية والاقتصادية ضد روسيا، وصارت تضغط على مختلف دول العالم لوقف تعاملاتها المتعارضة مع تلك العقوبات الاقتصادية والسياسية والدبلوماسية، وتطالبها بطرد النفوذ الروسي من أراضيها، والمشاركة في حملة المطاردة، وإلا تعرضت للعقوبات هي الأخرى.

غير أن اللافت هنا، أن ظهرت مواقف دولية عديدة لا تؤيد العقوبات الغربية وترفض تنفيذها.

لقد اعترضت دول عديدة على قرارات العقوبات واعتبرتها عقوبات أحادية غير قانونية. لقد رفضت كل من الصين والهند وتركيا والبرازيل وجنوب أفريقيا والجزائر(كمثال) تنفيذ تلك العقوبات، كما تحركت دول (أوبك زائد روسيا) وفق مقتضيات مصالحها دون الانصياع للطلبات والضغوط الأمريكية.

وهكذا بات التعامل مع روسيا —والصين– أمرًا واقعًا تحت سيف العقوبات الغربية، وهو ما أنهى حالة سيولة العلاقات الدولية وأنتج حاله صراعية.

2– العودة للأحلاف والمعسكرات المتصارعة

وقد شهدت العلاقات الدولية تطورًا آخر، قلص ما بقي من مساحة السيولة في العلاقات بين الدول،

إذ جرت العودة إلى سياسة الأحلاف والمعسكرات المتناطحة. لقد جرى تصعيد العلاقات الصينية الروسية إلى درجة أعلى من التحالف وهو ما كان واضحًا في المجالين السياسي والاقتصادي. كما جرت تحركات تظهر درجة أعلى من التنسيق العسكري، ووصل الأمر حد قيام الطيران الإستراتيجي –من كلا البلدين– للقيام بمناورات مشتركة. فخلال وجود الرئيس الأمريكي في اليابان لتوثيق تحالف أكواد مع اليابان وكوريا الجنوبية وأستراليا، جرت مناورات عسكرية جوية صينية روسية مشتركة بالطيران الإستراتيجي كرسالة ورد روسي صيني على هذا الحلف. وتكررت المناورات من بعد، تزامنًا مع تصعيد الولايات المتحدة ضغوطها العسكرية على الصين في بحر الصين الجنوبي. لقد توسع مدى المناورات هذه المرة ليشمل الطيران فوق الجزر الصناعية التي أنشاتها الصين وتعترض الولايات المتحدة والدول الأخرى المتشطئة على إنشائها.

وفي المقابل، انضمت كل من فنلندا والسويد إلى حلف الناتو، وجرى ما يسمى بالدول السبع الكبرى اقتصاديًا –وهي هيئة لا تضم الدول الكبرى فعليًا إذ تغيب عنها الصين– ككتلة إيديولوجية وعسكرية في الضغط على روسيا.

كما شكلت الولايات المتحدة حلف أيكوس الذي يضم إلى جانبها كل من أستراليا وبريطانيا، وشكلت أكودا الذي يضم إلى جانبها كلاً من اليابان والهند وأستراليا.

وكان لافتًا أن جرى تطوير مواقف مجموعة ميثاق شنغهاي التي تضم روسيا والصين وكازاخستان، وقيرغيزستان، وروسيا، وطاجيكستان، وأوزبكستان، وأن جرى توسيع عضويتها ضمن إطار الفهم الإستراتيجي الراهن في روسيا والصين ببناء كتلة آسيوية موازنة مع التحالف الغربي، إذ انضم لها كل من أرمينيا وأذربيجان وبنغلاديش وروسيا البيضاء، والهند وباكستان وإيران.

كما تزايدت أهمية مجموعة بريكس التي تضم روسيا والصين والهند وجنوب أفريقيا والبرازيل، وزاد دورها في إدارة الاقتصاد الدولي، بعد أن أعلنت روسيا عن بدء دراسة دول المجموعة أن يجرى التبادل التجاري بينها بالعملات المحلية، دون المرور بالعملات الغربية خاصة الدولار. كما أعلن عن بدء بحث طلبات انضمام العديد من الدول من بينها، المملكة العربية السعودية ومصر والجزائر وتركيا.

ويمكن القول بأن الغرب قد طور تحالفاته بالارتكان إلى سيطرته وتاريخه، فيما قامت الصين وروسيا بتطوير تحالفاتها مع دول تصعد قدراتها وأدوارها حديثًا.

> **أنتجت الحرب والأزمة، تغييرات جوهرية في بيئة العلاقات الدولية، كان حدوثها يحتاج لسنوات طوال، وتلك إحدى السمات الأساسية للحروب.**

3– توسع صفقات السلاح والاستعدادات للحرب

ولقد زادت حالة الحرب والأزمة الأوكرانية، من زخم الاهتمام بالتطوير العسكري وإشاعة مناخ الحروب وعدم الاستقرار، فتوسعت حالات استعراض درجة تطور المعدات العسكرية والابتكارات الجديدة وتجارب الأسلحة. ولقد بدا أن الحرب الأوكرانية أصبحت ساحة تجارب للأسلحة الروسية والغربية، وهو ما ذكر بما جرى من تجربة روسيا لعديد من

أسلحتها الجديدة في الحرب والعدوان على الشعب السوري، وهذه المرة يجري اختبار كفاءة الأسلحة الروسية والغربية في مواجهة بعضها البعض.

وإذا كان دور الطيران المسير قد برز في تلك المرحلة –وقد أظهرت الحرب مدى أهمية التصنيع الإيراني والتركي– فكان الأشد تاثيرًا على المستوى الإستراتيجي ما حدث في الاستعراض والتجارب الروسية والأمريكية والصينية في مجال الصواريخ والطائرات الإستراتيجية.

وإذ تتفوق روسيا في مجال الصواريخ الفرط صوتية، فقد أعلنت الولايات المتحدة عن تجارب لإنتاج النوع نفسه من الصواريخ، كما أعلنت عن إطلاق طائرة إستراتيجية جديدة (بى رايدر21)، فيما أعلنت روسيا دخول "الصاروخ الشيطان" الذي يطلق (10) رؤوس نووية مجال الخدمة. كما أعلنت الصين عن إنتاجها أول حاملات طائرات نووية (وطنية)، وامتلاكها صواريخ جديدة وصفت بقاتلة حاملات الطائرات، لمواجهة تفوق الولايات المتحدة.

4– تهديدات بحرب نووية

وشهدت العلاقات الدولية تغييرًا خطيرًا أحدث هلعًا في مختلف أنحاء العالم. لقد هددت القيادة الروسية بإمكانية استخدام السلاح النووي، إذا تدخل حلف الناتو بقواته في الحرب في أوكرانيا، أو إذا جرت عملية تقويض لوجود روسيا (على قاعدة ما فائدة العالم إذا لم تكن روسيا فيه). وقد زاد انشغال العالم بهذا التهديد، بعد أن جرت مناورات إستراتيجية على طرفي الأزمة –روسيا والناتو– لاختبار جاهزية الردع النووي.

وهو ما أعاد التذكير بأزمة الصواريخ النووية في كوبا وتركيا خلال عام (1962م).

• تغييرات بارزة في توازنات القوى دوليًا

بانتهاء مرحلة سيولة العلاقات الدولية، والعودة إلى التخندقات والصراع الاقتصادي والسياسي وبالتلويح بالأسلحة النووية وتصعيد سباق التسلح، بدا العالم مختلفًا، وبدا أن تغييرات جرت وتجري في أوزان الدول وقدراتها وليس فقط تحيزاتها.

كان الأبرز أن تحول الاتحاد الأوروبي إلى وضعية ما قبل الحرب الباردة، أو عادت أوروبا كقوة ملحقة بالولايات المتحدة وهذه المرة أيضًا في مواجهة روسيا.

وإن شهدت العلاقات بين الدول في داخله تبدلات في توازنات القوة، إذ تحولت ألمانيا من قوة اقتصادية فقط إلى قوة عسكرية، طامحة أن تكون الأولى في أوروبا.

وعلى الصعيد نفسه فقد حدثت تغييرات في الوزن النسبي لكل من الصين والهند، إذ يسود التقدير الآن بأن الأولى هي الند والخصم الأول للولايات المتحدة وأن الثانية باتت قطبًا دوليًا. كما زاد الوزن النسبي لدول إقليمية، كما هو حال تركيا.

وأصبحت أستراليا واليابان قوتين إقليميتين بارزتين في آسيا.. إلخ.

وعلى الصعيد العربي فقد تزايد الوزن النسبي لكل من المملكة العربية السعودية والجزائر على الأقل.

1– تغييرات إستراتيجية في أوروبا

لعل أهم التغييرات التي حدثت في التوازنات الدولية هي تلك التي حدثت في أوروبا، التي يمكن وصفها بالخاسر الأكبر–تكتيكيًا على الأقل– في تلك الأزمة.

لقد ظهرت أوروبا في بداية الأزمة باعتبارها الطرف القادر على تقديم حلول للأزمة بين روسيا وأوكرانيا، ودون مشاركة الولايات المتحدة. وكان

ذلك طبيعيًا إذ كانت أوروبا الطرف الفاعل في عقد اتفاقيات إنهاء الصراع بين روسيا وأوكرانيا في أزمة (2014م)، إذ أدارت أوروبا المفاوضات بين أوكرانيا وروسيا التي انتهت إلى توقيع اتفاقية مينسك. ووقتها حرص الطرفان–الروسي والأوروبي– على أن لا تكون الولايات المتحدة طرفًا فيها. وعند بداية الأزمة الحالية أظهرت أوروبا الغربية مجددًا حرصها على التمايز عن الموقفين الأمريكي والبريطاني عبر الاستمرار في التواصل والتفاوض مع روسيا.

"إن الغرب قد طور تحالفاته بالارتكان إلى سيطرته وتاريخه، فيما قامت الصين وروسيا بتطوير تحالفاتها مع دول تصعد قدراتها وأدوارها حديثًا."

غير أن المواقف الأوروبية "المستقلة" بدأت في التراجع وإخلاء الساحة للموقف الأمريكي في إدارة الأزمة بمضي الوقت. ووصل الأمر أن فرضت الولايات المتحدة على أوروبا ما يضر بمصالحها، وكان واضحًا أن بدأت دول أوروبا في إظهار استجابات مختلفة بين دولها –وفي داخلها أيضا– خلال التفاعل مع مؤثرات الأزمة والحرب، وأن التوازنات والتفاهمات التي بُني عليها الاتحاد الأوروبي بدأت تتغير.

ويمكن إجمال محصلة التغييرات فيما يلي:

– انتشار القوات الأمريكية في شرق أوروبا

تحت عنوان الاستعداد لمواجهة روسيا أو تحت عناوين التخويف بأن روسيا ستتقدم مجددًا بعد أوكرانيا وأنها تخطط لاستعادة السيطرة على دول شرق أوروبا، جرى إرسال قوات أمريكية إلى دول شرق أوروبا، كما جرت عملية مبرمجة لاستبدال تسليح جيوش دولها من الأسلحة السوفيتية القديمة إلى نظم التسليح الغربية، عبر الدفع بكل ما لدى تلك الدول من أسلحة سوفيتية للاستخدام في معركة أوكرانيا.

وقد حققت الولايات المتحدة عبر نشر قواتها زيادة الضغط الإستراتيجي على روسيا من جهة، والفصل بين روسيا ودول أوروبا الغربية بجدار من قواتها العسكرية، من جهة أخرى. كما استهدفت إضعاف نفوذ ودور أوروبا الغربية في أوروبا الشرقية.

–عودة الوصاية الأمريكية على أوروبا

قبل اندلاع الحرب كانت أوروبا قد حققت خطوات أساسية في تحقيق استقلالها والخروج من تحت عباءة الهيمنة الأمريكية، وباتت تتطلع للتعامل بندية مع الولايات المتحدة، وظهرت مؤشرات على أن أوروبا في طريقها لبناء قطب أوروبي مستقل. لقد استثمرت أوروبا مرحلة انتهاء الحرب الباردة في بناء اقتصاداتها ووحدتها وفي بناء علاقاتها مع روسيا والصين لتحقيق مصالحها، حتى أن الصين أصبحت الشريك التجاري الأول لأوروبا وليس الولايات المتحدة. كما بدأت أوروبا في إدارة دورة تشكيل قوة عسكرية أوروبية منفصلة عن حلف الناتو.

وعقب اندلاع الحرب والأزمة تمكنت الولايات المتحدة من إضعاف القدرات السياسية والاقتصادية لأوروبا وإعادتها للهيمنة الأمريكية، بل أمسكت بالقرار في داخل الاتحاد الأوروبي، للحد من طموحات ألمانيا وفرنسا.

– تحولات في التوازنات بين الدول الأوروبية

قبل اندلاع الحرب والأزمة، كانت ألمانيا مكتفية بدور المحفظة الاقتصادية لأوروبا أو الدولة المسيطرة على ملف إدارة الاقتصاد الأوروبي،

فيما كانت فرنسا تتولى إدارة عوامل القوة الأمنية والإستراتيجية باعتبارها الدولة النووية الوحيدة في أوروبا بعد خروج بريطانيا من الاتحاد، وبحكم الدور العسكري الخارجي لفرنسا.

لكن تلك الأدوار بدأت تشهد تغييرًا الآن. لقد أعلنت ألمانيا عن خطة لبناء قوتها العسكرية على نحو يفوق أي قوة أوروبية أخرى (بما فيها فرنسا)، إذ أعلن المستشار الألماني عن تخصيص (100) مليار يورو لتطوير جيش بلاده وزيادة الإنفاق الدفاعي سنويًا ليصبح (3%) من الدخل القومي، كما أعلن أن جيش بلاده سيكون الأقوى في أوروبا وهو من سيتولى حماية أوروبا.

وقد أثار هذا التغيير مخاوف فرنسا بحكم تجاربها التاريخية، إذ لم تقو ألمانيا إلا وضعفت جارتها فرنسا.

> **أهم التغييرات التي حدثت في التوازنات الدولية هي تلك التي حدثت في أوروبا، التي يمكن وصفها بالخاسر الأكبر–تكتيكيًا على الأقل– في هذه الأزمة.**

– زيادة زخم الجماعات المتطرفة قوميًا ودينيًا

ولقد سرّعت الحرب والأزمة من الحراك (السياسي، الاجتماعي، الفكري) في داخل دول أوروبا. وزادت من زخم الحركات المتطرفة قوميًا ودينيًا– التي يطلق عليها الشعبوية أو اليمين الشعبوي–وهو ما بات يهدد بتفكك الاتحاد الأوروبي، بل حتى تفكك بعض دوله.

2– زيادة الوزن النسبي للصين ووضوح إستراتيجياتها

كان لافتًا أن زار الرئيس الروسي بكين والتقى بالرئيس الصيني قبل إطلاق الحرب على أوكرانيا وإن صدر عن اللقاء بيان يتحدث عن دخول العلاقات بين البلدين حقبة جديدة، وإن شراكتهما باتت شراكة "بلا حدود"، كما احتوى البيان على رؤى البلدين المشتركة بشأن أوكرانيا وتايوان، وعن رفضها الأحلاف العسكرية الأمريكية في آسيا ونشرها الأسلحة النووية والبيولوجية.

وإذ اندلعت الحرب والأزمة بعدها، فقد توقعت كثير من الدوائر أن تعلن الصين مواقف داعمة بالكلية للحرب الروسية في أوكرانيا، إلا أن الصين أخذت موقفًا متمايزًا، لم تؤيد الحرب، واكتفت بدور السند الاقتصادي والسياسي لروسيا في مواجهة الحملة الغربية.

ويمكن القول بأن الصين استفادت وحققت مكاسب هامة. لقد زاد الوزن النسبي للصين دوليًا بضعف روسيا وأوروبا وبشدة حاجة الطرفين لدورها. ولقد عززت الصين علاقاتها الاقتصادية مع روسيا خاصة على صعيد التجارة والنفط والغاز، بما يعزز اقتصادها ويفتح أبواب الاقتصاد الروسي أكثر أمام الاستثمارات الصينية، وهو تطور استفادت منه روسيا في تقليل آثار العقوبات الغربية عليها، فيما عادت الفائدة الأكبر لمصلحة الاقتصاد الصيني. كما حافظت الصين على استمرار علاقاتها مع أوروبا بل حرصت على الاستفادة من ضعف أوروبا لتعميق دورها الاقتصادي مع دول القارة، وهو ما يقلل تأثير ضغوط الولايات المتحدة عليها.

ويمكن القول بأن الصين خرجت مستفيدة على صعيد علاقاتها الدولية في مختلف أنحاء العالم، وأنها استفادت من الأزمة في دعم موقفها تجاه تايوان.

3– زيادة الوزن الدولي للهند

أصبحت الهند محورًا أساسيا في إدارة العلاقات والتوازنات الدولية نتيجة لهذه الأزمة، خاصة مع ارتباطها بالصراع الصيني الأمريكي. لقد جاءت الأزمة والهند في صعود اقتصادي بلغ أن أصبحت قبل بريطانيا في ترتيب الاقتصادات الدولية، فأضافت الأزمة قوة للهند بفعل سعي الأطراف المتصارعة الحصول على دعمها. وقد اعتمدت الهند موقفًا براجماتيًا يسمح لها بتطوير دورها ونفوذها الدولي. وضعت الأزمةُ الهندَ في موقف حرج على نحو ما، فهي في علاقات إستراتيجية تاريخية مع روسيا من جهة، وهي بحاجة في نموها وتطورها الحالي لاستمرار تطوير علاقتها مع الولايات المتحدة والغرب، وفي خلفية كل ذلك كان مؤثرًا على موقفها توتر علاقاتها وصراعها مع الصين.

اختارت الهند موقفًا براجماتيًا ويمكن القول مستقلًا. لم تؤيد الهند حالة الغزو العسكري الروسي غير أنها لم تنضم للعقوبات، وعملت على الاستفادة من رخص واردات الطاقة الروسية بسبب الأزمة، وهي تضامنت في جانب آخر مع الولايات المتحدة والغرب في الصراع مع الصين إذ انضمت إلى تحالف (أكواد) الذي يضم الولايات المتحدة واليابان وأستراليا، كما حافظت على وجودها ضمن مجموعة ميثاق شنغهاي ومجموعة البريكس.

وبذلك تمكنت الهند من تحويل الأزمة إلى فرصة إستراتيجية، لزيادة قدرتها وتأثيرها على الصعيد الإستراتيجي دوليًا.

4– السير نحو عالم متعدد الأقطاب

لقد أنتجت الحرب والأزمة تغييرات في توازنات القوة على الصعيد العالمي، لا تزال قيد التفاعل، إلّا أنّ عنوان الذهاب إلى بناء نظام دولي جديد قائم على تعدد الأقطاب قد شهد دفعة مهمة.

ولقد ارتبط تغيير التوازنات الدولية بالحروب الكبرى عبر التاريخ.

> **سرّعت الحرب والأزمة من الحراك (السياسي، الاجتماعي، الفكري) في داخل دول أوروبا. وزادت من زخم الحركات المتطرفة قوميًا ودينيًا– التي يطلق عليها الشعبوية أو اليمين الشعبوي.**

لقد دفع العالم ثمنًا باهظًا من أرواح البشر ومن مقومات الحضارة الإنسانية خلال الحرب العالمية الأولى، التي استهدف مشعلوها تفكيك الإمبراطوريتين العثمانية والروسية والسيطرة على مقدراتهما، ووقف محاولة ألمانيا الصعود إلى مستوى الدول الكبرى. كما دفع العالم الثمن أضعافًا، في حرب الانتقال من نظام دولي تسيطر عليه وتقوده بريطانيا وفرنسا إلى نظام دولي تسيطر عليه الولايات المتحدة من جهة والاتحاد السوفيتي من الجهة الأخرى. وكذلك دفع العالم ثمنًا للحروب بالوكالة التي جرت وقائعها في أفريقيا وأمريكا اللاتينية وآسيا. ومن بعد دفعت ثمن تحول العالم إلى حالة القطب الواحد. وكانت أفغانستان والعراق من دفع أسوأ الأثمان.

والآن؛ تأتي الحرب الأوكرانية في الاتجاه ذاته، وهي تقوم بدور فاتحة التغيير في التوازنات الدولية في ظل ظرف دولي خطر، إذ لم يعد ممكنًا خوض حرب عالمية كبرى إلّا باستخدام أسلحة الدمار الشامل، فإذا اندلعت حرب عالمية فلن تكون إلّا حربًا نووية.

وجوهر الحرب والأزمة الأوكرانية هو أن روسيا والصين خلفها –وهناك دول أخرى في العالم– تحاولان إنهاء الهيمنة الأمريكية المنفردة، وإحلال

نظام دولي متعدد الأقطاب.

غير أن المفهوم العام لفكرة العالم متعدد الأقطاب، لم يتبلور في صيغ واضحة حتى الآن. وربما المعنى الأوضح في ما هو مطروح حتى الآن، هو التركيز على إنزال الولايات المتحدة من هرم القمة العالمية وإفقادها هيمنتها وسطوتها على القرار الدولي إستراتيجيًا واقتصاديًا ودبلوماسيًا، وثقافيًا.

• الشرق الأوسط: تغييرات وتبدلات المواقف

كان طبيعيًا أن تنتقل تأثيرات الحرب والأزمة إلى منطقة الشرق الأوسط، باعتبار القرب الجغرافي والميراث التاريخي ولوجود أطراف الحرب والأزمة على أرض المنطقة، التي تعاني من هشاشة أوضاعها، حتى أصبحت الأكثر "استعدادًا" لتلقى التأثيرات.

وإذا كانت روسيا وأوروبا معنيتين بشكل مباشر بالحرب والصراع الجاري، وإذا كان الشمال الجغرافي المتمدد إلى اليابان والصين وكوريا في وضع الاشتباك مع الأزمة، فالشرق الأوسط، بطبيعة الجغرافيا والتوازنات والأدوار والصراعات والوضع التاريخي وهشاشة دوله، مثل منطقة تأثير مباشر من الأطراف الداخلة في الأزمة، زاد من معدلاتها وجود الولايات المتحدة وأوروبا وروسيا تاريخيًا والصين حديثًا في قلب المنطقة.

والحرب والأزمة تتحرك نزولًا من البحر الأسود إلى البحر الأبيض ومناطق الشرق الأوسط، حيث لا يمكن تحركها شمالًا وإلا اصطدم الناتو وروسيا. ومن يقف على بوابة البحر الأسود هو تركيا منفردة، بما يجعلها في قلب العاصفة.

وعلى شواطىء البحر المتوسط دول شرق أوسطية –ودول أوروبا الجنوبية– تعج علاقاتها بالصراعات والاشتباك المباشر، بدءًا من سوريا ولبنان إلى وجود الكيان الصهيوني وصولًا إلى الصراع في ليبيا. كما يستعر الصراع على الغاز والنفط من شرق البحر إلى جنوبه.

وأطراف الأزمة الرئيسيون، مشاركون – بل أطراف رئيسية أيضًا – في أزمات الشرق الأوسط وبعضهم ذو وجود عسكري على الأرض. فهناك السيطرة والهيمنة الأمريكية على القضية الفلسطينية، وهناك الوجود العسكري الأمريكي والروسي والفرنسي والبريطاني في سوريا، وهناك قوات أمريكية وقوات للناتو في العراق، وهناك وجود عسكري روسي وفرنسي وبريطاني في ليبيا.. إلخ.

ويضاف إلى ذلك أزمة البرنامج النووي الإيراني مع أوروبا والولايات المتحدة بمشاركة روسيا والصين، وجميعها متدخلة وضمن علاقات واشتباكات دول المنطقة.

> **تقوم الحرب الأوكرانية بدور فاتحة التغيير في التوازنات الدولية في ظل ظرف دولي خطر، إذ لم يعد ممكنًا خوض حرب عالمية كبرى إلّا باستخدام أسلحة الدمار الشامل.**

والنفط والغاز الذي مثل السلعة الإستراتيجية الأولى في تلك الحرب –بحكم تصدير روسيا لأوروبا وبسبب العقوبات– هو سلعه تتحكم فيها دول الشرق الأوسط والدول العربية بشكل خاص.

والمنطقة هي مركز مرور التجارة العالمية. وفي المنطقة دول تعتمد في غذائها على إمدادات الحبوب والأسمدة من روسيا وأوكرانيا.

وبين دول الشرق الأوسط حلفاء مباشرون لأطراف الأزمة والحرب، كما هو حال إيران وسوريا في

علاقتهما بروسيا، وكما هو حال الكيان الصهيوني بالنسبة للولايات المتحدة.

وقبل وبعد كل ذلك، فدول المنطقة ذاتها في حالة اشتباك، كما أن بعض دولها في حالة تفكك.

وقد تباينت المواقف بين دول في الشرق، وتعددت تأثيرات الأزمة على أدوارها ومصالحها أو خططها المستقبلية.

وإذ لم يكن هناك انحياز واضح –باستثناء سوريا وإيران– لروسيا، فقد تميزت مواقف دول الشرق الأوسط بالحسابات الدقيقة في مواقفها وتحديد خياراتها.

وقد عرضت الأزمة دول المنطقة إلى ضغوط لأسباب متعددة، بين من طُلب منه غربيًا الدخول في العقوبات وبين من طُلب منها إلغاء مشروعات مع الصين وروسيا، وبين من طُلبت منه إعادة تشكيل البيئة الإقليمية لحساب المصالح الغربية. غير أن الدول أبدت ردود فعل سياسية مختلفه ويمكن القول متعددة.

في الموقف التركي:

أخذ الموقف التركي مساحة واسعة من الاستقلال عن مواقف الأطراف المشتبكة، ويمكن القول بأن تركيا عمقت استقلالها كدولة من خلال طريقة التفاعل مع هذه الأزمة، وأنها قدمت النموذج والمثال في إدارة الأزمات بصورة مبنية على تحليل للظروف والتوازنات الدولية ولأهمية موقعها ودورها، وهي تمكنت من تحديد طريقة للاشتباك مع الأزمة وتحويلها إلى فرصة إستراتيجية لتحقيق مصالحها آنيًا ومستقبليًا.. إلخ.

لم تساند تركيا قرار الغزو والاحتلال الروسي، واعتبرته خروجًا على القانون الدولي، وهي سلحت القوات المسلحة الأوكرانية ضمن إطار فعاليات حلف الناتو. لكنها لم تتخذ مواقف وتحيزات الناتو، ولم تقف موقف العداء الشامل مع روسيا، وهي قدمت نفسها وسيطًا في العديد من قضايا الحرب والأزمة، التي تحقق مصالح دول كثيرة في العالم، بما جعلها قوة إقليمية بمواقف ذات طبيعة دولية.

لقد تفاعلت تركيا مع الأزمة بمنطق أقرب إلى استقلالية القرار وسعت للحصول على مكاسب وتحقيق مصالحها والأهم أنها لم تقف متلقية للضغوط، وهي تحركت لتمارس الضغوط ولتستخدم أوراقها للضغط على مختلف الأطراف، دون التعادي مع أي من الأطراف.

لقد استخدمت تركيا الضغط الغربي على روسيا لزيادة مساحة مصالحها معها، كما هو الحال في الحال في تنمية عائدات السياحة الروسية، وفي بناء المفاعلات النووية وفي استيراد منظومات أس (400)، ووصل الأمر حد الاتفاق مع روسيا لتكون تركيا مركزًا لتوزيع الغاز الروسي.

واستخدمت أوراق علاقتها مع روسيا، للضغط على الولايات المتحدة والناتو، كما هو الحال في وضع شروط تتعلق بوقف الدعم الغربي لمنظمات كردية تعتبرها تركيا إرهابية في مقابل موافقة تركيا على طلب السويد وفنلندا الانضمام لحلف الناتو.. إلخ.

وبين هذا وذاك، قدمت تركيا نفسها كوسيط موثوق من الطرفين المتحاربين، كما هو الحال في صفقة السماح بتصدير الحبوب الأوكرانية والأسمدة الروسية لدول العالم، التي بدأت تعاني من نقص الحبوب، ونتج عن هذا الدور تراجع أسعار الغذاء دوليًا.

• الكيان الصهيوني مهددات ومواقف جديدة

وضعت الأزمة الأوكرانية الكيان الصهيوني في مأزق أصاب سياساته بالارتباك السياسي على الأقل.

وهو ما اضطر الكيان لأخذ مواقف هي الأولى منذ إنشائه.

وضع الكيان الصهيوني في موازنة صعبة بين روسيا وأوكرانيا، إذ كلاهما خزان إمدادات بشرية للمهاجرين المستوطنين، فإن تحرك مع أو ضد، تأثرت الهجرة إليه.

ووجد الكيان نفسه في موضع اختبار خطر مع روسيا الموجودة بقواتها في سوريا على الحدود مع الكيان الصهيوني، وهو كان قد أمن القيام بقصف يومي للأراضي السورية عبر توافقات معها، تحت عنوان منع الإمدادات أو التمركز الإيراني في سوريا. فإن اتخذ موقفًا ضد روسيا في الأزمة، ألغيت التوافقات وقدمت أسلحة للنظام السوري تمكنه من وقف القصف. كما تخوف الصهاينة من تحول روسيا لتقديم أشكال من دعم المقاومة الفلسطينية، ومن حدوث تحولات تؤدي إلى تغيير معادلات التسوية التي فرضتها الولايات المتحدة على الإدارة الفلسطينية خلال انفرادها بالهيمنة على المنطقة.

وإذ كان الكيان الصهيوني هو في أول الأمر وآخره "دولة" ملحقة بالولايات المتحدة والغرب والناتو، فقد سجلت الأزمة حالة أولى من تأثير أزمة دولية على المواقف الصهيونية. لقد اتخذت القيادة الصهيونية مسافة من مواقف الولايات المتحدة وحلف الناتو، حتى أنها صوتت لغير صالح مشروع إدانة روسيا في الأمم المتحدة. وهي حالة أولى في تاريخ هذا الكيان الذي طالما لم يقم وزنًا للأزمات الدولية. كان الكيان قد اتخذ موقف الصمت خلال الحرب والعدوان الأمريكي على العراق بطلب من الولايات المتحدة، لكنه في حالة أوكرانيا اتخذ موقفًا عرضه لضغط من الولايات المتحدة وأوروبا.

ولقد أصدر الكيان إدانات وتغيرت مواقفه لمصلحة أوكرانيا بعد أسابيع من محاولة المشي على حبل دبلوماسي مشدود بين البلدين.

> **عرضت الأزمة دول المنطقة إلى ضغوط لأسباب متعددة، بين من طُلب منه غربيًا الدخول في العقوبات وبين من طُلب منها إلغاء مشروعات مع الصين وروسيا.**

• إيران الخيار الإستراتيجي الحرج

بدأت الحرب والأزمة فيما كانت إيران تواصل توثيق علاقاتها التحالفية مع روسيا والصين. وفي توقيت بدت فيه على مرمى حجر من توقيع اتفاق مع الولايات المتحدة وأوروبا للعودة إلى اتفاق البرنامج النووي الذي أوقف ترامب العمل به. والأهم أن كانت على مقربة من العودة إلى حالة تنسيق الحركة وتقسيم المصالح في الإقليم، مع الدول الكبرى.

كانت إيران قد رسمت خطوط حركتها الإستراتيجية بين القوى الدولية على نحو دقيق.

لقد تحالفت مع الولايات المتحدة خلال العدوان على أفغانستان والعراق، وطورت استفادتها وتعميق مصالحها الاستعمارية في العراق من بعد، خاصة حين جرت أحداث تنظيم الدولة.

وحين بدأت خطتها لإجهاض التغيير في سوريا، تحالفات مع روسيا، ودخلت حالة تضاغط إستراتيجي مع الولايات المتحدة، على النفوذ والمصالح في الإقليم، وتحركت في المسافة بين الولايات المتحدة وأوروبا وبين روسيا والصين.

ووفقًا لتلك المعادلة كانت في حالة هجوم وتوسيع استعمارها ونفوذها في الدول العربية، وهو ما يعرف في العلوم الإستراتيجية بإستراتجية السوبر. وهي استفادت في ذلك من حالة السيولة الدولية التي

كانت سائدة وقتها.

فجاءت الأزمة لتربك تلك المعادلات وتضع إيران في وضع الخيارات التي كانت تحاول تفاديها.

لم يعد ممكنًا لها أن تواصل إستراتيجية الحصول على مصالح إستراتيجية بالحركة بين الأطراف الدولية، وفق النمط السابق.

تحركت إيران في البداية إلى جانب روسيا، خاصة على صعيد إمدادها بالطيران المسير، الذي استخدم في الحرب على أوكرانيا، غير أنها وجدت نفسها في مأزق.

لقد تراجعت الولايات المتحدة في خطواتها للعودة للبرنامج النووي وغادرت أوروبا من مربع بحثها التفاوضي—بحثًا عن مصالحها- وتحركت نحو الموقف الأمريكي والصهيوني.

وقد وجدت الولايات المتحدة وأوروبا فيما يجري في إيران من احتجاجات -تتصاعد لتصبح ثورة - فرصة لزيادة الضغوط على إيران.

• الدول العربية ملامح مواقف جديدة وتحديات إستراتيجية

لقد زادت الأزمة من حجم الضغوط الدولية على المنطقة العربية خاصة الأمريكية منها. كما أثرت المواقف الإقليمية بدورها على المواقف العربية — سلبًا وإيجابًا. والأهم أن الدول العربية باتت أمام تحديات وفرص ذات طبيعة إستراتيجية.

كانت الدول العربية الفاعلة قد أبدت مؤشرات، قبل الأزمة، على إعادة تشكيل سياساتها، بعد تراجع القدرات الغربية من جهة، وتنامي مصالحها مع الصين وروسيا، من جهة أخرى. كما كانت واقعة تحت ضغط من التغييرات في التوازنات الإقليمية سواء ظروف الصراع مع إيران، أو حالة بروز تركيا كقوة إقليمية كبرى. والأخطر أن كانت في مواجهة دفع أمريكي لجعل الكيان الصهيوني مكونًا أساسيًا من مكونات نظام أمني إقليمي تحت القيادة الأمريكية.

> **إذ كان الكيان الصهيوني هو في أول الأمر وآخره "دولة" ملحقة بالولايات المتحدة والغرب والناتو، فقد سجلت الأزمة حالة أولى من تأثير أزمة دولية على المواقف الصهيونية.**

ومع اندلاع الأزمة بات مطلوبًا تحديد الخيارات العربية من الأطراف الدولية الداخلة في الأزمة.

وجدت الدول العربية نفسها في مواجهة محاولة أمريكية لتغيير اتجاهات حركة أزماتها وإعادة ترتيبها وفقًا لمقتضيات الاستراتيجيات الأمريكية. وفي مواجهة ضغوط غربية لصناعة أزمات جديدة، وتغيير اتجاهات حركة الاستيراد والتصدير في المنطقة، وحركة تصدير الاستثمارات، ووقف استيراد السلاح من الصين وروسيا. وهو ما ظهر في زيارة الرئيس الأمريكي للمنطقة.

وقد ظهرت المواقف العربية من أطراف وقضايا الأزمة الدولية على نحو غير معتاد —بالإجمال–قياسًا على السوابق، على الأقل بسبب طبيعة السطوة الغربية التاريخية في المنطقة.

لم تقدم عموم الدول العربية على الاستجابة الفورية للطلبات الأمريكية والأوروبية بالاندماج في خطط تطبيق العقوبات على روسيا، وهو ما ترافق مع إعلانات واضحة برفض غزو روسيا لأوكرانيا في المقابل.

لقد جمع الموقف العربي بين رفض احتلال دولة لأخرى، مع رفض الاستجابة للضغوط الأمريكية. ولذلك بدت المواقف العربية لافتة بالنسبة للولايات

المتحدة.

وبعدها تحولت الدول العربية لاتخاذ مواقف مقلقة ومربكة للولايات المتحدة وأوروبا. لم ترضخ الدول البترولية للطلب الأمريكي- الأوروبي، بزيادة منظمة (أوبك بلاس) إنتاج وضخ النفط، وصار الوضع مثيرًا للقلق بعد دعوة الرئيس الصيني لزيارة المملكة العربية السعودية لعقد ثلاث قمم —تمامًا مثلما حدث لترمب ومن بعده بايدن- أولها قمة صينية سعودية، وثانيها قمة صينية خليجية، والثالثة قمة صينية عربية.

ويمكن القول بأن تاريخ الانحياز الأمريكي ضد المصالح العربية، كان أحد أسباب المواقف الجديدة. فقد كان حاضرًا أمام الجميع احتلال الولايات المتحدة للعراق —وأفغانستان قبلها- والمواقف الأمريكية الداعمة عسكريًا واقتصاديًا للكيان الصهيوني في كل الإدارات الأمريكية الجمهورية والديموقراطية، كما كانت حاضرة الفظائع التي ارتكبتها القوات الأمريكية والصهيونية في مختلف دول المنطقة.

ولم يغب عن مواقف بعض الدول، التحالف الأمريكي مع إيران خلال الحرب والعدوان الأمريكي على العراق وأفغانستان، وكيف قامت الولايات المتحدة بمساندة وحماية الميلشيات الإيرانية خلال ارتكاب جرائمها ضد الشعوب العربية، وكان آخرها رفع صفة الإرهاب عن ميليشيات الحوثي في اليمن.

وقد أثر على المواقف العربية من جانب آخر، تنامي المصالح الاقتصادية مع التحالف الصيني الروسي، وهو ما كان جليًا في تحول الصين إلى الدولة الأولى في استيراد النفط، وقفزها لتصبح الدولة الأولى على صعيد التبادلات التجارية مع الدول العربية. كما نمت الواردات العسكرية العربية من الصين وروسيا -حسب أنواع تسليح الجيوش- وهو تطور جاء نتيجة لفرض الولايات المتحدة شروطًا لتصدير الأسلحة، من جهة، في مقابل عدم فرض الصين وروسيا أية شروط على صادرات أسلحتها.

وقد تنامت تقديرات عربية في الآونة الأخيرة باستهداف الولايات المتحدة الاستثمار في أدوار الميلشيات الإيرانية والتلاعب بالسياسة التسليحية وعدم توفير الأسلحة لبعض الدول العربية التي تواجه مخاطر تهدد أمنها القومي، كما هو الحال في خطر الحوثيين الذي وصل حد قصف محطات إنتاج النفط.

وزاد من وتيرة هذا التحول أن أصبحت روسيا عضوًا في (أوبك بلاس)، وبذلك أصبحت الدول العربية المنتجة للنفط بحاجة للتنسيق مع روسيا، باعتبارها من أكبر مصدري النفط والغاز في العالم.

كما أثرت على المواقف العربية السياسيات الأمريكية التدخلية في الشؤون الداخلية للدول، ومنها قضايا فجة، مثل قضايا الشذوذ الجنسي.

ومع كل ذلك، فقد تجددت حالة افتقاد الدول العربية لإستراتيجية مشتركة موحدة أو متناغمة، في هذا الصراع التأسيسي للوضع الدولي. وظهر جليًا مجددًا اعتماد تلك الدول للحلول الفردية في التعامل مع صراع يفوق قدرات أية دولة. بدا أننا مجددًا أمام استجابات متناثرة لا مواقف موحدة.

لم يظهر موقف عربي موحد من الأزمة، فقد حددت كل دولة خياراتها وفق مصالحها المنفردة. وهو ما أفقد الدول العربية فرصة استثمار الأزمة بطريقة أكثر فعالية لتحقيق مصالح أوسع وأعمق. بقت الدول العربية على حالها في إدارة الأزمات. ولذلك لم يظهر للمنظومة الإقليمية العربية دور فاعل في إدارة

الأزمة أو في الاستفادة الشاملة منها.

> **جمع الموقف العربي بين رفض احتلال دولة لأخرى، مع رفض الاستجابة للضغوط الأمريكية. ولذلك بدت المواقف العربية لافتة بالنسبة للولايات المتحدة.**

وكذلك غابت محاولات استثمار حالة الاضطراب الدولي وحاجة الدول الداخلة في الأزمة لفرض مصالح تحقق وضع عربي أفضل في التأثير على الأزمات العربية المستعرة.

ويمكن وصف الموقف العربي بالتحرك في التفاصيل لا التحرك وفق اتجاهات إستراتيجية. وفي ذلك فالأهم الآن هو التعامل مع التحديات الإستراتيجية المستقبلية التي فرضتها الأزمة، ومنها:

1– قضية الاندماج في النظام الإقليمي مع الكيان الصهيوني

لقد مارست الولايات المتحدة ضغوطًا شديدة على النظم العربية، لأجل تشكيل نظام أمني إقليمي مع الكيان الصهيوني تحت القيادة الأمريكية. ويقوم هذا النظام على الربط بين القوى البحرية والجوية العربية، والصهيونية تحت القيادة الأمريكية.

وقد جرى الترويج والضغط لبناء تلك المنظومة، تحت عنوان مواجهة إيران، وضد ما طرح بعض الدول العربية من تشكيل منظومة قوات عربية، وإذ تستهدف الولايات المتحدة تعميق دور وكيلها، فهذا الاندماج العربي المستهدف يشكل إخلالًا بكل معالم الاستقلال العربي، وينهي إمكانية البناء لقوة عربية مستقلة، وينهي إمكانية قيام النظم بأي دور في مواجهة الكيان الصهيوني.

ويتوقف نجاح الموقف العربي من الصراع الدولي في هذه المرحلة من استثمار الوضع الدولي، لإنهاء هذا المشروع المدمر.

2– قضايا بناء موقف مستقل مشترك

ويتوقف تقييم القدرة العربية على مواجهة هذا النمط من الصراع الدولي، على القدرة على حشد موقف عربي مشترك مستقل، حتى لا تتكرر تجربة تقسيم العرب بين طرفي الصراع الدولي خلال الحرب الباردة.

ويزيد من أهمية بناء الموقف المشترك المستقل، إن كلا الطرفين العربيين الذين انحازا لطرفي الحرب الباردة قد خرجا خاسرين.

بعد انهيار الاتحاد السوفيتي جرت عملية تصفية للنظم التي انحازت له في الصراع عبر ضغوط خارجية وأحداث داخلية ومن خلال فرض شروط اقتصادية وسياسية. ووصل الأمر حد العدوان العسكري لإسقاط النظم كما حدث في العراق وليبيا، من بعد.

وعقب انتهاء الحرب الباردة وانتفاء حاجة الولايات المتحدة لمواقف من انحازوا لها خلال هذه الحرب، تعرضت تلك النظم لضغوط مباشرة ولتحيزات أمريكية وغربية مع نظم أخرى معادية للنظم العربية، وكان النموذج الأشد وضوحًا هو ما جرى خلال إدارة أوباما، حين وقعت الاتفاق حول البرنامج النووي مع إيران، إذ منحتها الحرية المطلقة في القيام بأعمال التفكيك والتقسيم والاضطراب داخل الدول العربية.

وواقع الحال أن الدول العربية أمامها فرصة أوسع الآن لبناء موقف عربي مشترك.

الوضع الدولي الآن يتوفر فيه العديد من القوى الصاعدة وتتوافر فيه تمايزات داخل كل من المعسكرين اللذين يتشكلان الآن، وهو ما يتيح الفرصه لبناء مواقف

مستقلة، وفق صيغ أفضل، مما كان قائمًا خلال مرحلة صراع القطبين التي ضاقت فيها مساحات التحرك.

ومعيار هذا الموقف هو القدرة على استثمار الأزمة لتحقيق المصالح المستقلة.

3- تطوير المواقف في الأزمات العربية

ويواجه العرب تحديًا ثالثًا، يتعلق بالقدرة على استثمار وضع الأزمة الحالية لتحسين شروط حركتها في إدارة الأزمات العربية، وتقليل التدخلات الخارجية، فإذ يتصاعد الخلاف بين روسيا والكيان الصهيوني، فيجب أن تجري جهود عربية للاستفادة من هذا الخلاف على الأقل لإضعاف الضغوط الأمريكية على الشعب والمقاومة الفلسطينية، وإذ يرتبك التفاوض الجاري مع إيران —خاصة بعد انحيازها لروسيا- فيجب الضغط على الولايات المتحدة وأوروبا لتحسين التوازنات في الإقليم بشأن الاحتلال الإيراني في العراق وسوريا واليمن، وقد رأينا نموذج إدارة تركيا لأزماتها وكيف استثمرت في ضعف وحاجة الدول الأخرى. فإذ تنضغط أوروبا بسبب اشتداد حاجتها للنفط والغاز العربي، فيجب أن يكون هناك استخدام سياسي للإمدادات، وإذ تتصاعد أزمة تايوان والصراع الأمريكي الصيني فيجب الاستفادة من ذلك.

كما يمكن استثمار نمط القوة والاستقلال المتصاعد للقرار التركي، لإعادة بناء كتلة عربية إسلامية إقليمية قادرة على تغيير التوازنات الإقليمية الحالية، وقد بدأت بعض المؤشرات على درجة أفضل من العلاقات بين النظم العربية والنظام التركي، وهو تطور لا يزال بحاجة إلى الدقة في توجيه بوصلته، ولا يزال بحاجة لجهود تطوير، وتحديد خطوط واضحة للتوجهات وإدارة المصالح.

4- الاستفادة من البعد الحضاري في الصراع الدولي

لقد أدخلت الحرب والأزمة الأوكرانية البعد الحضاري إلى ساحة الصراع الدولي على نحو أشد وضوحًا، ولذلك، فالقضية الأهم والأكثر شمولية في إدراك العرب والمسلمين في التعامل مع الصراع الدولي الجاري، هو البعد الحضاري.

هذه الكتلة الضخمة عليها أن تتعامل مع ما يجري باعتباره حالة تحول تاريخي في الصراعات الدولية يمكن أن يصب في صالحها إن تعاملت مع ما يجري برؤية حضارية شاملة.

> **بقت الدول العربية على حالها في إدارة الأزمات. ولذلك لم يظهر للمنظومة الإقليمية العربية دور فاعل في إدارة الأزمة أو في الاستفادة الشاملة منها.**

لقد كشفت الأزمة عمق الصراع الجاري دوليًا حول الهوية، كما كشفت عن تحولات متنامية في الانتقال من فكرة الدولة الوطنية (القومية في الفهم الأوروبي والقطرية عن بعض القوى السياسية العربية) إلى فكرة الدولة الأمة بالمعنى الحضاري الإسلامي.

كانت الدول الغربية هي من أدخلت مفهوم الدولة الوطنية القائمة على الحدود ومن استبعدت البعد الحضاري في تشكيل الدول، وهو ما أسس لحركة تقسيم الدولة الإسلامية. الآن يتحول العالم نحو الفكرة الإسلامية في بناء الدولة الحضارة وهو ما يوفر فرصة أمام العرب والمسلمين.

5– تحدى امتلاك التقنية النووية

وقد أصبحت قضية امتلاك التكنولوجيا النووية قضية أساسية في الوضع الدولي الآن، لم يعد امتلاك التقنيات النووية ضرورة يفرضها امتلاك الكيان الصهيوني، وإيران —على الجانب الآخر–للتقنيات والأسلحة فقط، بل أصبح امتلاكها أحد ضرورات تحقيق الاستقلال في الصراعات الدولية.

> **أدخلت الحرب والأزمة الأوكرانية البعد الحضاري إلى ساحة الصراع الدولي على نحو أشد وضوحًا، ولذلك، فالقضية الأهم والأكثر شمولية في إدراك العرب والمسلمين في التعامل مع الصراع الدولي الجاري، هو البعد الحضاري.**

لقد أثبتت تجربة الحرب الروسية على أوكرانيا أن امتلاك السلاح النووي هو القادر على حماية وصون استقلال الدول المتوسطة والضعيفة، ولولا تخلي أوكرانيا عن سلاحها النووي طواعية بعد انفصالها عن الاتحاد السوفيتي –وهو ما تم برعاية أمريكية– ما كان لروسيا أن تهاجم أراضيها وتحتل أجزاءً منها.

ويمكن لدول عربية أن تستثمر في الصراع الدولي الجاري للحصول على تلك التقنيات، وهو ما يتطلب بناء خطة إستراتيجية لتوفير سبل حمايتها، أولًا.

6– تحدي الموقف من الحركة الشعبية

ويظل العامل الفاعل والضامن لمواجهة كل هذه التحديات، هو تحدي المواقف الرسمية من الحركات الشعبية، ومدى الانفتاح على أدوارها، إذ الحضور الشعبي المجتمعي هو شرط القدرة على مواجهة كل التحديات الخارجية، ذلك أن الحركات السياسية والشعبية هي الكتلة القادرة على منح الدول درجة الصمود والكفاءة الضرورية للدول، فضلًا عن أن لا إمكانية لدولة أن تحقق كفاءة في مواجهة تحديات إستراتيجية إلا ببناء مجتمع صحي.

التجديد الأصولي في الإمكانات والمداخل[1]

أ.د.الحسان شهيد[2]

• تمهيد

إن التجديد حالة طبيعية في العلوم، مادامت الحياة الإنسانية في تغير مستمر؛ لأن ذلك شرط استمرارها في وظيفتها، وأداء رسالتها المعرفية في وثاقة مع مواقع الوجود البشري، بإلحاق تغييرات تتناسب مع طبيعتها التأسيسية وقضاياها المعرفية، وحتى تستجيب لأسئلة العقل الإنساني ومتعلقاته الفطرية والروحية والمادية.

ولعل العلوم الآلية المنهجية المعتبرة في عداد العلوم المنتجة للمعرفة الإنسانية، أولى في هذا الاعتبار وأحق بهذا النظر، لملامستها جوانب فاعلة في التجديد، وعلم أصول الفقه على رأس هذه العلوم؛ الذي يفيد إرجاع النظر في مباحثه العلمية ومطالبه الأساسية في إجراء متحققات واقعية في جانبه العملي؛ المتمثل في فقه التكليف وتصريف الأحكام الشرعية.

تتقصد هذه الورقة "التجديد الأصولي، الإمكانات والمداخل" بحث إشكال التجديد الأصولي وإمكاناته بعرض قضاياه المعرفية والمنهجية؛ وقبل النظر في ذلك نذكر بأهم الأسئلة التي تشكل عمران هذه الورقة. وهي:

أولها: سؤال المفهوم

ثانيها: سؤال السياق

ثالثها: سؤال الأهمية

رابعها: سؤال المشروعية

خامسها: سؤال المعنى

سادسها: سؤال الإمكان

• أولًا: سؤال المفهوم

1- في مفهوم التجديد: التجديد لغة من جدّ يجدّ جديدًا، والجديد: نقيض الخَلِق، والخَلِق: القديم، فالجديد خلاف القديم[3]. وجدد الشيء يجدده: صيَّره جديدًا، أي: جعله جديدًا، أي: حول القديم فجعله جديدًا[4].

والجديد "هو خلاف القديم، وجدد فلان الأمر وأجده واستجده إذا أحدثه"[5].

(1) من بحوث المؤتمر العلمي الرابع لهيئة علماء المسلمين في العراق، ينشر بالتعاون مع القسم العلمي في الهيئة.
(2) أستاذ التعليم العالي في كلية أصول الدين في المغرب.
(3) مختار الصحاح: 47.
(4) لسان العرب: 79/3.
(5) المصباح المنير، أحمد المقري: 78.

والتجديد لغة: "تصيير الشيء جديدًا، وجدّ الشيء، أي صار جديدًا"[1].

أما من حيث الاصطلاح فكلمة التجديد اصطلاح حديث في بنائها الاستعمالي.

وقد وردت في القرآن الكريم ألفاظ لها اشتقاقات لغوية من فعل جد، جرى الاصطلاح فيها بحسب السياقات المختلفة.

– من قبيل جديد:

1– وذلك في قوله تعالى: ﴿وقالوا أئذا ضللنا في الأرض أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [السجدة: 10].

قال الإمام الطبري في بيان الآية وهو يصف القول على لسان المشركين: "منكرين قدرة الله على إعادتهم خلقًا جديدًا بعد فنائهم وبلائهم"[2]، وقال ابن كثير: "أي إننا لنعود بعد تلك الحال! يستبعدون ذلك"[3].

2– وقوله عز وجل: ﴿إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد﴾[إبراهيم: 19].

قال الطبري: "ويأت بخلق سواكم يطيعونه ويأتمرون لأمره وينتهون عما نهاهم عنه"[4]، وفيها قال القرطبي: "المعنى إن يشأ أن يذهبكم يذهبكم، أي يفنيكم، ويأت بخلق جديد أي أطوع منكم وأزكى"[5]، وقال ابن عاشور: "فهو تعالى لغناه عنهم وغضبه عليهم لو شاء لأبادهم وأتى بخلق آخرين يعبدونه فخلص العالم من عصاة أمر الله وذلك في قدرته ولكنه أمهلهم إعمالًا لصفة الحلم"[6].

– ومن قبيل جديدًا:

1– وقد ذكرت هذه اللفظة في آيتين متشابهتين وردتا في نفس السورة وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء آية 49و98].

قال الطبري: "فأجابهم جل جلاله يعرفهم قدرته على بعثه إياهم بعد مماتهم، وإنشائه لهم كما كانوا قبل بلاهم خلقًا جديدًا، على أي حال كانوا من الأحوال، عظامًا أو رفاتًا، أو حجارة أو حديدًا، أو غير ذلك مما يعظم عندهم أن يحدث مثله خلقًا أمثالهم أحياء"[7].

"فلم تخرج باقي الآيات عن هذا السياق العام الدال على الشيء الجديد المحدث سواء على مثال سبق أو من غير مثال"[8].

أما في الحديث النبوي الشريف فنجد من أهم مشتقات اللفظة:

– كلمة يجدد وذلك في قوله عليه الصلاة والسلام: (إن الله يبعث إلى هذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)[9].

– وكلمة جددوا في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الإيمان ليخلق في القلب كما يخلق الثوب فجددوا إيمانكم)[10].

وخلاصة القول ومفاده؛ بعد هذا الجرد اللغوي

(1) لسان العرب: 202/2.
(2) جامع البيان: 110/13.
(3) تفسير ابن كثير: 75/3.
(4) جامع البيان: 455/20.
(5) الجامع لحكام القرآن: 25/4.
(6) التحرير والتنوير: 287/23.
(7) جامع البيان: 463/17.
(8) الاجتهاد والتجديد في الفكر الاسلامي، سعيد شبار: 172.
(9) رواه أبو داود: (4 / 178) برقم: (4291).
(10) رواه أحمد: رقمه 8493 والحاكم: 285/4.

والاصطلاحي؛ فإن كلمة التجديد تفيد حصول حالات أربع:

الأولى: أن الأمر قد تقادم به الزمن ولحقته عوادي القدامة.

الثانية: أن الأمر محل النظر في حاجة ملحة إلى التجديد.

الثالثة: أن الحاجة الملحة إلى التجديد في الأمر كان من ورائها داع ضروري استدعى عملية التجديد.

الرابعة: أن التجديد قد يفيد في إعادة الأمر إلى ما كان عليه أو استبداله بما هو أحسن منه يحل محله في إنجاز المقصود.

"التجديد حالة طبيعية في العلوم، مادامت الحياة الإنسانية في تغير مستمر؛ لأن ذلك شرط استمرارها في وظيفتها، وأداء رسالتها المعرفية في وثاقة مع مواقع الوجود البشري، بإلحاق تغييرات تتناسب مع طبيعتها التأسيسية وقضاياها المعرفية، وحتى تستجيب لأسئلة العقل الإنساني ومتعلقاته الفطرية والروحية والمادية."

والتجديد ضد التقديم، مصاغ على سبيل تفعيل؛ أي جعل الشيء على صورة مغايرة في المآل لما هو عليه من صورة في الحال، والتجديد هو جعل القديم جديدًا، أي تغييره حتى يصير في مستوى الجدة المغايرة له للحالة السابقة، "وليس التجديد تغييرًا متنكرًا لكل تقليد، فيكون إفسادًا للفكر والقيم، وإنما المطلوب في التجديد تحرير الفهم من العقم، ووقاية الفكر من داء فقدان المناعة الشرعية المكتسبة، وإنما هو داء عضال يصيب العقل المفكر حين يخمد قدراته التحليلية والنقدية ويسلم ذاته لكل موجة تصيب منه الانفعال؛ وتستدرجه إلى مقاتله"[1]، ويدخل في هذا التغيير الموضوعي والمنهجي الذي تفهم منه الجدة معاني عدة:

1- التأصيل: أي إعادة الأمر إلى أصله وتحقيق الأصلي فيه من غيره؛ أي إرجاعه إلى مصدره الأول، وهو المعنى المشار إليه في الحديث الأول.

2- التكميل: أي تطعيمه بشيء هو في حاجة إليه حتى يكون في مستوى الجدة، ويدخل ذلك في ما أشير إليه من معنى التشغيل.

3- التنخيل: أي غربلته وتصفيته مما ليس منه ولا يليق بقاءه متصلًا به؛ لأنه يعوق سيره في سياق الجديد، وهذا من صلب المعنى المذكور في حديث تجديد الدين.

4- التشغيل: أي تفعيل العمل بالأمر المقصود، وتحريك الجوانب المعطلة فيه بقصد إخراجه من القدامة، وهو ما فهمه العلماء من الحديث السابق (فجددوا إيمانكم).

5- التبديل: أي استبداله بما هو أجدر منه في بلوغ المقصود وأحسن منه في تحقيق المطلوب، ومفهوم ذلك من قول الله تبارك وتعالى في الآية الكريمة ﴿إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد﴾[إبراهيم: 19].

فكيف يمكن فهم التجديد في علم أصول الفقه وفق هذا التخريج اللغوي والاصطلاحي، المتنوع المعاني والمتعدد الأبعاد لكلمة التجديد؟.

في مفهوم علم أصول الفقه

سنسرد أهم تعاريف علم أصول الفقه التي وضعها العلماء المختصون، ثم نتبع ذلك بتقويم عام يبصرنا بما نحن فيه من علاقة هذا العلم بالتجديد. وسأنتخب أقوى هذه التعاريف دلالة على المقصود

(1) الباراديغم العلمي الإسلامي، قيمه الثقافية وخصائصه الإبستيمية، إدريس نغش الجابري: 311، أعمال ندوة العلوم الإسلامية أزمة منهج أم أزمة تنزيل، ط1، 2010.

مراعين في ذلك التنوع المذهبي والأصولي في هذا العلم.

نبدأ بتعريف أصول الفقه عند القاضي أبي يعلى الفراء (ت: 458هـ) حيث قال: "عبارة عما تبنى عليه مسائل الفقه، وتُعلَمُ أحكامها به"[1]، وإلى الإتجاهِ نفسِهِ ذهب أبو الوليد الباجي (ت: 474هـ)، حين عَرَّفَ أصول الفقه بقوله: "ما انبنتْ عليه معرفة الأحكام الشرعية"[2].

وقد بدأت ملامح هذا التوجيه خلال العقود الأخيرة من القرن الخامس الهجري مع أبي الحسين البصري (ت: 473هـ) حينما عَرَّفَ أصول الفقه بأنه: "النظر في طرق الفقه، على طريق الإجمال، وكيفية الاستدلال بها، وما يتبع كيفية الاستدلال بها"[3].

ونحو هذا الفهم اتجه تعريف أبي حامد الغزالي (ت: 505هـ) في "مستصفاه" بقوله: "عبارة عن أدلة الأحكام، وعن معرفة وجوه دلالتها على الأحكام، من حيث الجملة لا من حيث التفصيل"[4].

وقد سلك الآمديُّ المسلك نفسَهُ في تعريفه بقولِهِ: "أصول الفقه هي أدلة الفقه، وجهات دلالتها على الأحكام الشرعية، وكيفية حال المستدل بها من جهة الجملة"[5].

ويقول الشاطبي رحمه الله: "وأصول الفقه إنما معناها استقراء كليات الأدلة حتى تكون عند المجتهد نَصْبَ عين، وعند الطالب سهلة الملتمس"[6].

ما ينبغي الإشارة إليه بعد هذا السرد الموجز لتعاريف علم أصول الفقه، هو أن علماء الأصول كانوا في منتهى الدقة والتحقيق في بيان المقصود من هذا العلم، فنجدهم يفرقون بحذر وانتباه بين علم أصول الفقه من جهة، وأصول الفقه من جهة ثانية، ومثال الأول يمكن أن نلحق به تعريف أبي الحسن البصري حيث صدر تعريفه قائلًا "النظر في طرق الفقه، على طريق الإجمال..." ومثال الثاني لنا أن نأخذ تعريف الغزالي أنموذجًا له إذ يقول: "عبارة عن أدلة الأحكام، وعن معرفة وجوه دلالتها على الأحكام...".

لذلك؛ فلا بد من التفريق بين الأمرين؛ لأن بينهما بونًا شاسعًا جدير بالاعتبار، سيفيدنا في معرفة المقصود به على سبيل التركيب الإضافي مع التجديد. كما سيتبن من خلال المبحث الموالي.

> **المطلوب في التجديد تحرير الفهم من العقم، ووقاية الفكر من داء فقدان المناعة الشرعية المكتسبة، وإنما هو داء عضال يصيب العقل المفكر حين يخمد قدراته التحليلية والنقدية ويسلم ذاته لكل موجة تصيب منه الانفعال؛ وتستدرجه إلى مقاتله.**

المقصود بالتجديد في علم أصول الفقه

واستفادة من التعاريف السالفة لعلم أصول الفقه ومصطلح التجديد؛ يمكن لنا بلوغ المعنى المقصود من التجديد في علم أصول الفقه؛ على هذا التركيب الإضافي للمصطلحين، وحينما نقول تجديد علم أصول الفقه، نقصد إلحاق فعل ما بما هو قديم أو موجود من النظر الأصولي ليأخذ سمات الجدة، فيصير بذلك جديدًا لم تألفه النفوس في صورته وتقبله العقول في مفاده، فهو

(1) العدة في أصول الفقه، لأبي يعلى محمد بن الحسين الفراء البغدادي، الحنبلي: 19/1.
(2) إحكام الفصول في أحكام الأصول، أبو الوليد الباجي: 175/1.
(3) المعتمد في أصول الفقه، أبو الحسن محمد بن علي الطيب البصري: 1403/1، 1983/5.
(4) المستصفى في علم الأصول، أبو حامد الغزالي: 5/1.
(5) الإحكام في أصول الأحكام، سيف الدين الآمدي: 21/1.
(6) الاعتصام، أبو إسحاق الشاطبي: 25/1.

لا يخرج عن المعاني الخمسة: المذكورة سلفًا في المعنيين اللغوي ورديفه الاصطلاحي للتجديد وهي:

1- التأصيل
2- التنخيل
3- التكميل
4- التشغيل
5- التبديل

أما المعاني الأربعة الأولى فواردة تجلياتها وإمكانات حصولها في النظر الأصولي، حسب ما تفصح عنه الشواهد التاريخية والعلمية؛ كما سيتبين في الفصول المقبلة، وأما المعنى الخامس أي التبديل أو التغيير؛ وإن وجد له أصل في المعنى اللغوي والاصطلاحي على وجه ما، فلا محل فهم له في ما نحن بصدده من حيث الإمكان، لأن تغير الأدلة أو القواعد لا ينسجم مع الطبيعة الخاصة للخطاب الشرعي المؤسس على مطلقية النصوص والأدلة.

اللهم إلا إذا قصد بذلك استبدال بعض القواعد والمبادئ المتغيرة والظنية بقواعد أخرى أكثر قطعًا وثباتًا؛ وفق النظر بالأصول العلمية، وكان هذا التبديل للأدلة والقواعد الأصولية المخصوصة والمتعينة من وراء قصده؛ إمكان إنتاج أفضل مما كان وأحسن منه في بيان المقصود بالخطاب الشرعي وتنزيله على واقع الإنسان.

ولما تعذر ذلك بالصيغة الكلية، ولم يكن بمقدور الأصوليين المتأخرين الجدد التأسيس لأدلة جديدة مغايرة تفي بالغرض، أعرضنا عن إثبات ذلك المعنى ضمن المعاني الاصطلاحية المرادة بالتجديد في علم أصول الفقه. وألحقنا الصورة المتاحة بالمعاني الممكنة كمعنيي التأصيل والتنخيل؛ لأنه "إذا تجاوز المقترح للتجديد أو واقع الممارسة حدود تلك الضوابط كان ذلك تغييرًا لا تجديدًا، والتغيير مرفوض، أما التجديد فمقبول بل مطلوب؛ لأن طبيعة الحياة والأحياء تقتضيه وتفرضه وهو سنة من سنن الله في الكون وفي الأحياء"[1].

لذلك فإذا ارتبط التجديد بالأصول فيعني ذلك إلحاق تغيير ما على مستوى الآليات والقواعد والأدلة غير الثابتة والقابلة للتغيير. وإذا ارتبط التجديد بالنظر في تلك الأصول والعلم بها ومعرفة أوجه إعمالها والاحتجاج بها فيقصد به التغيير على مستوى الفقه والفهم أو التطبيق والتنزيل، وعليه فإن طبيعة التجديد المطلوب تحدده مظان التجديد ومحاله المرغوب إعادة النظر فيها إما اعتبارًا أو فهمًا.

وقد عرّف بعض الدارسين التجديد في علم أصول الفقه بالآتي: "إعادة أصول الفقه إلى حالته المنهجية الطبيعية التي يستطيع معها الاستجابة لمقتضيات العصر ومتطلباته من حيث سلامة موازينه ومرونة رؤيته مع احتفاظه بأصالته وانضباطه"[2].

فإذا كان مفهوم التجديد الأصولي في بابه اللغوي بما يعنيه من تأصيل وتنخيل وتكميل وتشغيل وتبديل، فإن المفهوم الاصطلاحي يختلف عنه من حيث الاختصاص المجالي المناسب من حيث التأصيل والتنخيل والتكميل والتشغيل، أما مفهومه الاصطلاحي السياقي المتناسب مع الواقع المعاصر فقد تنضاف إليه معاني أخرى داخلة في المقصود وترتبط بما هو تفعيلي وتنزيلي يمس جانب العمل الذي لم يكن معتبرًا في سياق الإشكالات الأصولية في مراحل زمنية فائتة.

(1) التجديد في أصول الفقه، خليفة بابكر حسن، مجلة المسلم المعاصر، ع 126/125: 92.
(2) التجديد في أصول الفقه، خليفة لابكر حسن، مجلة المسلم المعاصر، ع 126/125: 93.

لذلك ووفقًا لهذا التقدير فنحن نرى التعريف الأصوب هو: "إعادة النظر في علم أصول الفقه ابتداءً من تأصيل الأصول حتى تكون قطعية، ومرورًا بتنخيلها كي تخلص علمية، وتعليل النظر بها حتى تظهر قاصدة، وتكميل نقصها لتصبح وافية، وانتهاءً بتشغيلها حتى تصير مفيدة، وتنزيل أحكامها لتبدو عملية". ذلك ما نقصده بتجديد علم أصول الفقه، وهو مدار ما نود عرض تفاصيله ونظراته في الفصول المقبلة بإذن الله تعالى.

• ثانيًا: سؤال السياق

الشائع في الأدبيات الفكرية الأصولية والذائع بين المختصين أن مبتدأ الإشكال في تفتق مسألة التجديد الأصولي ينطلق من حصول أزمة وطروء خلل في واقع الأمة ونهضتها، وأن منتهى حله ومعالجته يتوقف عند ضرورة اللجوء إلى البنية المنهجية لعلم أصول الفقه، لتطوير النظر الفقهي حتى يستجيب لحل المشكلات النازلة وتتطور أوضاع الأمة على جميع الأصعدة.

> **تجديد علم أصول الفقه، نقصد إلحاق فعل ما بما هو قديم أو موجود من النظر الأصولي ليأخذ سمات الجدة، فيصير بذلك جديدًا لم تألفه النفوس في صورته وتقبله العقول في مفاده.**

أولًا هذا الافتراض غير مُسلّم، وغير مُتفق عليه وغير مُجمع عليه، كيف ذلك؟.

من قرر أن مظنة الإشكال في هذا السياق المفترض سلفًا مركوزة في علم أصول الفقه ابتداءً؟، ثم إن السياق العلمي يفترض حضور أربع مكونات مختلفة في هذا الصدد وليس مكونًا واحدًا؟ فلِمَ ألغيت الثلاثة وبقي الرابع ليتعين محلًا للإشكال ومظنة سؤاله ومحوره، بل اعتبر أصله؟.

إن السياق الإشكالي يفترض إمكانية حلول الخلل في المواقع الأربعة، أو في بعضها دون افتراض متعين أو احتمال مخصوص، وتتراوح هذه المواقع بين مكون الأمة ومكون الواقع ومكون النص ومكون المنهج. فمكون الأمة نريد به المكلف فردًا أو جماعة أو مؤسسات أو دولة، ومكون الواقع نقصد به الوضع الإنساني جملة بما فيه وضع الأمة والوضع العالمي على وجه الكلية. ومكون النص نعني به مصادر التشريع القانوني والإنساني عمومًا، ومكون المنهج نشير به إلى القواعد المعتمدة في فهم النص واستنباط الأحكام التشريعية.

وإذا ثبت لدينا وفق هذا التقرير المحدد لمحال الإشكال، فإنه لا يعدو أن يكون في واحد من هاته المكونات، أو في بعضها، أو في جميعها، ولكي نتمكن من محاصرة الموضوع وفهم المسألة ينبغي النظر في كل واحد من هاته المكونات على انفراد. ونبدأ بالأكثر بعدًا عن مظنة الإشكال حسب تقديرنا وننزل نحو الأقل بعدًا منها وفق الضرورة العلمية والسياق المنهجي:

أولًا: مكون النص: ما دام الأمر يتعلق بالتفكير في المجال التداولي الإسلامي المعتقد بخصوصية النص الشرعي، سواء كان قرآنًا أو سنة فليس هناك من يشكك في سلامته وقوته الثبوتية من هذه الجهة، أو إتيان الإشكال منها، إلا ما كان من نصوص الحديث التي قد يمكن الاستغناء عنها حالة حصول الضعف في جهتها. أما إذا كان الحديث من خارج السياق المعرفي الإسلامي فلا حاجة لنا للوضع الاعتباري للنص الشرعي لأنه غير معتبر فيه وغير مقدر. فيتحصل لدينا أن النص

الشرعي في هذا السياق المتفق عليه لا إشكال فيه من حيث أساس الابتداء و على قصد الانتهاء.

ثانيًا: مكون الواقع: إن حال الأمة ووضعها الاعتباري من جانب القوة والفعل الحضاريين مؤشران حقيقيان على مدى حضورها الإنساني، وإسهاماتها الثقافية في الواقع الذي تعيشه، لذلك فإن مكون الواقع المعيش يدفعنا إلى التساؤل حول إمكانية وجود الخلل في واقع الأمة بكل تجلياتها، لكن في نهاية الجواب حسب اعتقادنا؛ لا يمكن أن نحمل الواقع كل تبعات التراجع، أو بالأحرى التخلف عن الوفاء بالحاجات الثقافية والحضارية للأمة، لوجود تشابك كبير بينه وبين مكلفي الأمة أفرادًا وجماعات، وحصول تفاعل جدلي بينهما تتفلت معه حقيقة التعيين المخصوص للإشكال.

ثالثًا: مكون الأمة: قد يقول قائل إن تجديد المنهج جزء من مكون الأمة؛ لأن تفكيرها قاصر عن إنجاز رؤية تجديدية في المنهج المعتمد؛ أي أصول الفقه حسب السياق المفترض في حديثنا.

والجواب: صحيح أن الفكر والإنتاج المعرفي راجع إلى مكون الأمة وقدرات أفرادها على التفكير والعطاء، لكن حالة الأمة وواقعها ليس بالضرورة مرتبط بالمنهج المعتمد؛ لأن بناء الأمة وقيامها مرتبط بالتنشئة والتربية والبناء الثقافي المستمر الذي يتطلب وقتًا طويلًا وأجيالًا متوالية. فكيف نحمل الأمة نجاعة منهج ما أو عدم نجاعته؟، ثم لأن قوة المنهج القانوني والتشريعي لا يعكس بالضرورة حال الأمة من حيث قوتها وتقدمها.

لكن في مواجهة ذلك، قد تحمل الأمة قسطًا كبيرًا من المسؤولية المحصورة في تفعيل أفرادها للمنهج المعد وتنزيله على واقعها، لكسب ثمراته وفوائده العلمية والعملية حتى يتحقق الشهود الحكمي في مواقع الوجود.

رابعًا: مكون المنهج: رابع هذه المكونات الكبرى هو المنهج أي آليات توليد وإنتاج المسودات القانونية والتشريعية المعتمدة في التنظيم الاجتماعي، والتسيير العام للأمة بكل مؤسساتها، وقد يعبر عنه بعلم أصول الفقه باعتباره الآلية المنهجية التي يستند إليها الفقيه في البحث عن الأحكام الشرعية من الأدلة التفصيلية المبثوثة في القرآن والحديث. إلا أنه من الحيف أيضًا، ومن باب وضع الشيء في غير محله، أن ننسب تراجع الأمة إلى منهجها القانوني بالقصد الأصلي والسؤال الكلي، لأنه بين المنهج والمكلفين المؤسسين لمؤسسة الأمة علاقة جدلية وثنائية ترابطية، إضافة إلى العنصر الثالث الذي هو واقعها بكل تجلياته المحلية والإقليمية والعالمية وبما يكتنفه من قوى وتكتلات دولية.

• ثالثًا: سؤال الأهمية

تعتبر مسألة التجديد الأصولي من الإشكالات الخطيرة التي عرفها الفكر الإسلامي خلال الآونة الأخيرة، وذلك للاعتبارات الآتية:

الأول: لخطورة موضوع تجديد أصول الفقه من حيث ملامسته لأصول الخطاب الشرعي وأسسه العلمية وموضوع التجديد يقوم على مركزية العقل البشري.

الثاني: لعدم وضوح الرؤية وبيان التصور في عملية التجديد الأصولي، لحسبانه موضوعًا جديدًا من حيث معالجته وتحرير النظر فيه.

الثالث: للقيمة العلمية لأصول الفقه وبناء المعرفة الفقهية والنظر الاجتهادي على قواعده ومبادئه، وأن أي تغير أو تحول في بنيته الأصولية ستنعكس ضرورة على الإنتاج المعرفي الفقهي؛ وما يتكامل معها من

معارف أخرى سواء كانت نظرية أم تطبيقية.

يفترض عرض مسألة التجديد الأصولي خللًا في الوضع المستصحب في علم أصول الفقه عند القائلين بالإشكال العلمي، أو في أصول الفقه عند المائلين إلى الإشكال الأصلي في الأصول، الأمر الذي يتطلب إعادة النظر في ماهية هذا العلم وقواعده وآلياته العلمية في الاستنباط.

من الإشكالات العارضة في سياق الحديث عن التجديد الأصولي مسألة جانب التجديد هل يتم بصورة متعينة؛ أي بالفعل والقوة من قبل متخصصين في هذا الفن؟ أم أن التجديد في علم الأصول يتأتى بشكل تلقائي تاريخي دون تجنيد مسبق وتنظيم محكم وإرادة واعية؟ بمعنى آخر؛ هل عمليات التجديد التي نظر إلى ورودها عبر التاريخ حصلت على سبيل الإرادة العلمية للعلماء وبشكل منهجي؟، أم أن المسألة مجرد تراكم تاريخي لا يخضع لضوابط ثابتة وشروط محكمة؟.

> **إن حال الأمة ووضعها الاعتباري من جانب القوة والفعل الحضاريين مؤشران حقيقيان على مدى حضورها الإنساني، وإسهاماتها الثقافية في الواقع الذي تعيشه، لذلك فإن مكون الواقع المعيش يدفعنا إلى التساؤل حول إمكانية وجود الخلل في واقع الأمة بكل تجلياتها.**

نثير هذا الإشكال لمعرفة ما إذا كانت هناك منهجية متبعة عند العلماء في مسألة التجديد الأصولي للإفادة من تجربتهم العلمية وأنموذجهم المعرفي في ذلك؟، أم أن القضية لا تحتاج لكل هذا التجنيد والإستراتيجية في المنهجية والاقتصار على الاجتهاد الفقهي وفق القواعد المعمول بها؟ وسيتبين بعد ذلك أوجه الإجابة عن الأسئلة المعاصرة من خلال التفاعل بين الوقائع واجتهاد المجتهد والفقيه.

• رابعًا: سؤال المشروعية

بناءً على ما سبق، يمكن القول إن الارتهان إلى المراجعة العلمية والمنهجية لآليات النظر في تحسين وضع الأمة وتغيير واقعها ضرب من الوهم الذي يتبدد بمجرد فقه الواقع فقهًا مبيِّنًا لحقيقته ومدياته؛ بمعنى أن تغيير الأمة نحو الأفضل ينبغي أن يمر بتشخيص شامل وواقعي يراعي كل تلك المكونات الكبرى، حتى يمكن إدراك المداخل السليمة في ذلك التغيير.

مما يعني، في اعتقادنا أن البحث في التجديد الأصولي إذا لم يكن مسبوقًا بقراءة الواقع والكون وحال الأمة وتربية الأفراد على الثقافة السليمة، وتوعيتهم بالوعي الحضاري اللازم الذي يفقهون به الوضع الإنساني، ينبغي أن يكون على الأقل متوازيًا مع تلك الخطوات المسبقة حتى نصل إلى المستوى المطلوب من المسير، وإلا استهلكنا الوقت في النظر التجديدي دون جدوى ودون ملاءمة مع الثقافة المجتمعية التي قد تستوعب ذلك التجديد أو قد لا تستوعبه، لأنها في غيبوبة حضارية عن ذلك التجديد.

فيتأسس النظر التجديدي في علم أصول الفقه على فروض تمثل أسسًا ودعائم يستند إليها في تسويغ الفعل التجديدي لدى المختصين والمهتمين.

الأول: فرض مقصدي، ومفاده أن واقع الأمة بما يكتنفه من تراجع وثبات حضاري على مستويات متعددة، يتطلب إعادة النظر في الأسس المنهجية المستند عليها في إنتاج المعرفة القانونية والاجتماعية السلوكية، حتى تستعيد نهضتها وفعلها الحضاري.

فاعتبرت تلك المراجعة موجهة نحو آليات النظر الأصولية؛ أي علم أصول الفقه.

الثاني: فرض موضوعي، ويتأسس على الاعتبار التجديدي في موضوع لم يعهد فيه ذلك المطلب، بمعنى أن علماء الأمة لم يتداولوا موضوعًا اسمه التجديد الأصولي، لكن هذا الفرض المعاصر مع بعض رموز الفكر الإسلامي يثير التنبه إلى مدى صحة مقدمته ومدى إفضائها إلى نتيجة تناسبها.

الثالث: فرض علمي، ويقوم من أساسه على افتراض إمكانية ورود حالة تجديدية في علم أصول الفقه؛ لأن النشأة الإبستمولوجية لعلم أصول الفقه والقضايا المعرفية التي بحثها علماء الأصول، كلها كان مبدأ بعدها العلمي يرسو عند نشدان القطع في الأدلة والأصول مع الشافعي، وتوقفت عند الاستدلالات المنهجية على القطع مع الشاطبي. فهل ما يزال استصحاب النظر في الأصول بهذا الاعتبار واردًا.

الرابع: فرض منهجي، على احتمال صحة الفروض السابقة وإمكانات توقعها وورودها، يبقى النظر في تجديد علم أصول الفقه سرابيًا، وغير واضح، لذلك تعددت الأنظار بحسب المداخل المشخصة مداركها، فمن راءٍ أن المدخل المناسب في القواعد، إلى متجهٍ صوب المقاصد إلى مؤكدٍ على المجتهد، فما هو المبتدأ وأين المنتهى في عملية التجديد وفق هذا الفرض.

بناءً على هذا التأسيس المفترض يمكن معالجة هذا الموضوع بالتوقف عند أهم الإشكالات المرتبطة بمسألة تجديد علم أصول الفقه، والمداخل المقترحة بحسب الإمكانات التي تجيزها البنية المعرفية "الإبستمولوجية" لعلم أصول الفقه.

إن البحث في التجديد الأصولي إذا لم يكن مسبوقًا بقراءة الواقع والكون وحال الأمة وتربية الأفراد على الثقافة السليمة، وتوعيتهم بالوعي الحضاري اللازم الذي يفقهون به الوضع الإنساني، ينبغي أن يكون على الأقل متوازيًا مع تلك الخطوات المسبقة حتى نصل إلى المستوى المطلوب من المسير، وإلا استهلكنا الوقت في النظر التجديدي دون جدوى ودون ملاءمة مع الثقافة المجتمعية التي قد تستوعب ذلك التجديد أو قد لا تستوعبه، لأنها في غيبوبة حضارية عن ذلك التجديد.

- **خامسًا: سؤال المعنى**

بالنظر للاعتبارات المهمة والخطيرة لسؤال التجديد الأصولي تتوزع زوايا النظر التجديدي على تحرير الإشكال جوانب المعنى والقصد من التجديد المراد في السياق المتعين. وعليه يمكن تقسيم تلك الزوايا إلى ثلاث:

الأولى: التجديد من جانب الشاكلة

أما التجديد من حيث الشاكلة فالمراد به أن هذه الزاوية تثير عند المختصين طبيعة التجديد المعروضة كما تقدم، هل التجديد التلقائي التاريخي المتراكم؟ أو التجديد المنهجي المنظم المحكم الذي تجند له الإرادات والمؤسسات تقعيدًا وتنظيمًا؟، وغالب الأمر أن عقلية التجديد المعاصر تروم الطبيعة الثانية حسب الأدبيات المعاصرة الخاصة بالتجديد الأصولي.

الثانية: التجديد من جانب المقصود

وأما زاوية التجديد الناظر في المقصود منه، فإن

العقل الأصولي يكون أمام مفترق سبل لا يقوى على سلوكها إلا إذا حدد ذلك المقصود وذاك المراد؛ لأن مفهوم التجديد في العلوم على وجه التحديد له معان كثيرة، قد تكون لها تأثيرات علمية سواء على موضوع التجديد أو منهج التجديد، فينعكس كل ذلك على المقاصد المرجوة من نظرية التجديد ابتداءً، فالتجديد قد يعني في سياقه الاصطلاحي التأصيل وقد يعني التنخيل وقد يعني التشغيل وقد يعني التكميل، وبين هذه المعاني فسحة فروق لا ينبغي إغفالها عند القاصدين للتجديد. لكن يبقى الغرض الأسمى والهدف الأكبر هو ربط الصلات بين النص والواقع، حتى يتحقق التمثل الحكمي في مواقع الوجود يقول خليفة بابكر "لأن الغرض من تجديد أصول الفقه في النهاية هو إحكام تطبيق الأحكام الشرعية على الواقع الذي اعتورته كثير من المتغيرات التي قد تستوجب تجديد المنهج نفسه ليستوعبه ويستجيب لمتطلباته، موافيًا إياه بالحلول الناجحة والسريعة في الوقت ذاته"[1].

الثالثة: التجديد من جانب الموضوع

في حين تفتح لنا زاوية التجديد من جانب الموضوع البحث في أحد أعقد الأسئلة العارضة في إشكالية التجديد الأصولي، وهو مناط التجديد ومحله، فوقع لبس خطير بين الدعوة إلى التجديد في علم أصول الفقه والدعوة إلى تجديد أصول الفقه، وبين الجانبين من الفروق ما بين السماء والأرض؛ لأن النظر في علم أصول الفقه نظر في الأفهام العقلية الإنسانية المترتبة عن استثمار أصول الفقه، والنظر في أصول الفقه نظر في الأصول المصدرية ومراجعة لها، وهذا أمر في غاية الخطورة تأباه العقول السليمة المسلمة بالنقل.

إن مثل إشكال تجديد علم أصول الفقه، لم نقف على أثر له في الأدبيات الأصولية عند العلماء المتقدمين، ليس لأن تاريخ الأمة لم يعرف لحظات من الأفول والتراجع الحضاري؛ بل لأنهم لم يجعلوا للوضع الاجتماعي مع علم أصول الفقه وثاقة حتمية وعلاقة سببية بينهما؛ لأنهم يدركون أن المسألة أعمق وأعقد مما يتصور لبادي الرأي.

وعليه، فإن مثار إشكال تجديد علم أصول الفقه في الأوساط الأكاديمية المعاصرة ينطلق من ثنائية الأمة والنص، وتحديدًا الأصول المنهجية، لكن ذلك يمنحنا حق تساؤل مشروع، وهو: هل الأمة اليوم متراجعة أو بصيغة أخرى متوقفة عن الاستئناف الحضاري لأن علم أصول الفقه قاصر عن المواكبة الفعلية؟ أم أن علم أصول الفقه متوقف عن إنتاج المعرفة الفقهية المناسبة، ومعطل عن الإجابة على الأسئلة الاجتماعية والسلوكية؛ لأن الأمة لم تحفظ الضرورات التاريخية، ولم تف بالحاجات الإنسانية التي تهب لعلم أصول الفقه حياة التجدد والتطور؟.

ولعل حجية هذا الزعم تجد قوتها في مراجعة تاريخ علم أصول الفقه وقياس درجات ظهوره وقوته ومنازل أفوله وتقليده، ويمكن أن نمثل لذلك بمرحلة الشاطبي الذي أبدع إبداعًا لم يشهد مثيله تاريخ علم أصول الفقه تأصيلًا وتنخيلًا وتفعيلًا وتعليلًا، إلا أنه على الرغم من ذلك بقيت الأمة في أحلك ظروفها وأخطر مراحلها؛ بل عرفت هزائم متتالية في أندلس الحضارة، فأنت ترى أنه ليس هناك علاقة سببية من أسفل إلى أعلى بين تجديد هذا الفن مع نهضة الأمة، في حين قد يكون العكس صحيحًا، ونمثل لذلك أيضًا بمرحلة الشافعي حيث كانت الأمة في أوج عطائها الحضاري فأنجبت الرسالة مع

(1) التجديد في أصول الفقه، مجلة المسلم المعاصر، ع 125-126: 94.

الشافعي، وما استتبعها من مصنفات حقيقة بالتطور والتجدد.

هل الأمة اليوم متراجعة أو بصيغة أخرى متوقفة عن الاستئناف الحضاري لأن علم أصول الفقه قاصر عن المواكبة الفعلية؟ أم أن علم أصول الفقه متوقف عن إنتاج المعرفة الفقهية المناسبة، ومعطل عن الإجابة على الأسئلة الاجتماعية والسلوكية؛ لأن الأمة لم تحفظ الضرورات التاريخية، ولم تف بالحاجات الإنسانية التي تهب لعلم أصول الفقه حياة التجدد والتطور.

• سادسًا: سؤال الإمكان

إن إمكانات التجديد الأصولي تبدأ من إعادة صياغة علم أصول الفقه صياغة جديدة متناسبة مع الواقع والسياق الإنساني المعاصر، ولا أقصد بذلك الصياغة النظرية التدوينية بل الصياغة الواقعية التي تستجيب وتجيب عن الإشكالات العملية والفقهية، وهذا لا يتم في نظري إلا بجملة أمور، منها: ربط مسألة التجديد الأصولي بطرق التدريس والتلقين.

ويمكن القول إن تدريس علم أصول الفقه بالمنهجية السائدة لن يفيد في استثماره باعتباره علمًا لغيره، أو علمًا وسيليًا منهجيًا تم إنشاؤه بقصد تطوير الاجتهاد الفقهي، إنما سيراوح مكانه النظري والتجريدي كما حدث عبر تاريخه؛ إذ انتقلنا من أصول الفقه إلى علم أصول الفقه إلى علم علم أصول الفقه، أو ما يمكن تسميته بفلسفة أصول الفقه.

انظر مثلًا إلى كتاب البرهان للإمام الجويني، هل تراه كتابًا في أصول الفقه، أو بالأحرى كتابًا في علم أصول الفقه، كلا في اعتقادي هو كتاب في علم علم أصول الفقه، أي في فلسفة أصول الفقه؛ بل إن عنوانه البرهاني دال وصريح؛ لأنه في الوقت الذي كان من المفيد تحرير النظر العلمي في الطرق والمسالك المعتبرة في الاجتهاد الفقهي انتقل الجويني إلى النظر والبحث في الاستدلال على قطعية الأصول؛ بل إن الأخطر هو بحثه في طرق الجدل ومسالك الحجاج لحيازة القطع واليقين.

وقس عليه كتبًا أخرى ومصنفات قبله أو بعده كأصول الجصاص والتمهيد للباقلاني، وتحقيقات البرهان للمازري والأبياري، وهذه قضايا حققت فيها النظر والبحث ضمن كتاب يسر الله تعالى خروجه قريبًا.

إلى جانب هذا، وردفًا على عملية تنخيل علم أصول الفقه، أقترح كما اقترحت في كتابي نظرية التجديد مدخلًا لتكميل هذا العلم، ولا أقصد بهذا المدخل أن علم أصول الفقه نشأ وترعرع ناقصًا حتى نعمل على تكميل ذلك النقص الحاصل فيه، كلا؛ ليس هذا هو المقصود، وإن كنا لا نعدم إمكانية لذلك في حق منتجه ومبدعه من العقل البشري الذي وصفه الشرع بالنقص والقصور، إنما مرادنا من ذلك؛ أن هذا العلم مع تقادم الزمن وتطوره عبر السياق التاريخي وتطور الحياة الإنسانية؛ بظهور مستجدات كثيرة ومتسارعة بشكل غير مسبوق؛ ظهرت معها علوم كثيرة وتخصصات دقيقة متشعبة، بات علم أصول الفقه في حاجة ماسة إليها في استكمال دوره، والقيام بمهامه التي وكل إليها منذ بداية نشأته على الوجه السليم والكامل.

لذلك، فلا يمكن لمناهج تدريس علم أصول الفقه في جامعاتنا ومؤسساتنا تجاهل الفوائد العلمية لعدد من العلوم الناشئة بعد ظهوره، وخصوصًا في الحياة المعاصرة سواء على المستوى المنهجي أو

الموضوعي، وهذا النظر قائم بالأساس على القاعدة الأصولية ابتداءً "ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"،وما شابهها كقاعدة "ما لا يتم المطلوب إلا به فهو مطلوب".

وأحسب أن هذا الخلل المتمثل في الغفلة عن هذه العلوم، سبب وجيه في تقويم أزمة علومنا برمتها... وما دام مبلغ غاية علم أصول الفقه يتمثل في خدمة التنزيل الفقهي للأحكام الشرعية على مواقع الوجود الإنساني، فإن مدى الاستفادة من العلوم الأخرى على سبيل التكميل تبدو مفيدة وواعدة كعلم الاجتماع وصلته بتحقيق المناط العام، وعلم النفس وما يترتب عنه من فوائد في تحقيق المناط الخاص، وعلم القانون وما يلازمه من تشريعات وتقعيدات ذات الصلة، وعلم المستقبل وما يوائمه من قاعدة اعتبار المآل، وغير ذلك من العلوم المساعدة والمفيدة.

ثم إن العمل بهذه القواعد وتطبيقها في الشؤون الخاصة والعامة في الأمة، وعلى مستوى الأفراد والأسر والجمعيات، والقبائل والمجتمعات الأهلية والمدنية والحكومية وغير الحكومية، والنقابات والتجمعات الإنسانية المختلفة، وعلى نحو منتظم ومتناسب يرعاه فقهاؤها ومجتهدوها، سيفتح آفاقًا واسعة لتفعيلها ولحظ ملامح التجديد الأصولي في الواقع، وفي تجلياته الاجتهادية الفقهية؛ بل سيظهر أيضًا مدى صلاحية القواعد الأصولية في الحال المتعين، أو تأجيل العمل بها إلى حال مستقبل وفق قاعدة المآل.

• خاتمة

بعد هذا العرض الذي قدمناه يمكن القول، إن مفهوم تجديد علم أصول الفقه يقصد به إلحاق فعل ما بما هو قديم، أو موجود من النظر الأصولي، ليأخذ سمات الجدة فيصير بذلك جديدًا، فهو لا يخرج عن المعاني الخمسة: التأصيل، والتنخيل، والتكميل، والتشغيل، ثم التنزيل، لذلك؛ ووفقًا لهذا التقدير فقد رأينا أن التعريف الأصوب لمسألة التجديد الأصولي هو "إعادة النظر في علم أصول الفقه؛ ابتداءً من تأصيل الأصول حتى تكون قطعية، ومرورًا بتنخيلها كي تخلص علمية، وتعليل النظر بها حتى تظهر قاصدة، وتكميل نقصها لتصبح وافية، وانتهاءًا بتشغيلها حتى تصير مفيدة، وتنزيل أحكامها لتبدو عملية".

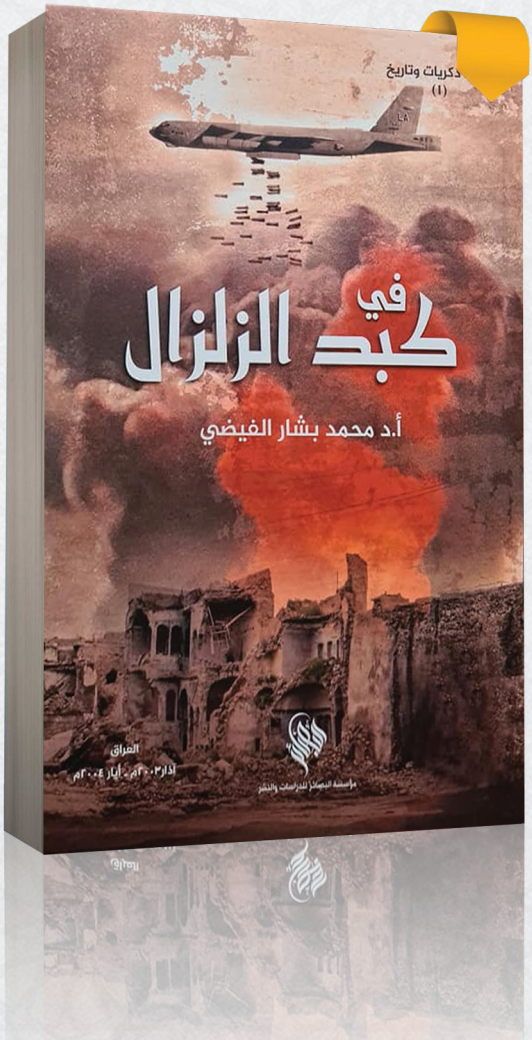
> **إن مفهوم تجديد علم أصول الفقه يقصد به إلحاق فعل ما بما هو قديم، أو موجود من النظر الأصولي، ليأخذ سمات الجدة فيصير بذلك جديدًا، فهو لا يخرج عن المعاني الخمسة: التأصيل، والتنخيل، والتكميل، والتشغيل، ثم التنزيل.**

وعلى الرغم من ذلك فإنه بناء هذا المفهوم يبقى الجانب المهم في التجديد هو في التنزيل والتشغيل للأحكام الشرعية المستنبطة من الأدلة التفصيلية...، ولا يمكن إدراك قيمة علم الأصول ومدى صلاحية منهجيته إلا بالتنزيل، وهو المحك الأساس لمعرفة ذلك، أما الأفكار المسبقة حول القواعد والأدلة والأصول، والأحكام المتسرعة فليس من العلم والمعرفة في شيء.

والحمد لله رب العالمين

• **المصادر والمراجع**

1. تفسير القرآن العظيم، القرآن العظيم، إسماعيل القرشي الدمشقي ابن كثير، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط1، 1406هـ - 1986م.
2. الإحكام في أصول الأحكام، سيف الدين الآمدي، تعليق عبد الرزاق عفيفي، بيروت، لبنان: المكتب الإسلامي، ط2، 1406هـ.
3. إحكام الفصول في أحكام الأصول، أبو الوليد الباجي، تحقيق عبد المجيد التركي، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1415هـ - 1995م.
4. المعتمد في أصول الفقه، أبو الحسن محمد بن علي الطيب البصري، ضبط خليل الميس، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1403هـ - 1983م.
5. التجديد في أصول الفقه، خليفة بابكر حسن، مجلة المسلم المعاصر، ع 126/125.
6. الباراديغم العلمي الإسلامي، قيمه الثقافية وخصائصه الإبستيمية، إدريس نغش الجابري، أعمال ندوة العلوم الإسلامية أزمة منهج أم أزمة تنزيل، ط1، 2010.
7. العدة في أصول الفقه، لأبي يعلى محمد بن الحسين الفراء البغدادي الحنبلي، تحقيق أحمد بن علي المباركي، الرياض: م ع س، ط2، 1410هـ-1990م.
8. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، لبنان، بيروت، ط ، 1986م.
9. الاعتصام، أبو إسحاق الشاطبي، عناية مكتب تحقيق التراث، وفهرسة رياض عبد الله عبد الهادي، ط1، 1417هـ - 1997م.
10. الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، سعيد شبار، فرجنيا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 2007م.
11. جامع البيان في تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، بيروت: دار الفكر، 1405هـ - 1984م.
12. المستصفى في علم الأصول، أبو حامد الغزالي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ط1، 1413هـ-1993م.
13. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي ثم الحموي الفيومي، (ت نحو770هـ)، المكتبة العلمية، بيروت.
14. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1415هـ - 1995م.
15. لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1997م.



في كبد الزلزال

المؤلف: أ.د محمد بشار الفيضي

الناشر: مؤسسة البصائر للدراسات والنشر

سنة الطبع: 2022

التحديات التي تواجهها هوية هيئة علماء المسلمين في العراق ومنهجية الهيئة في معالجتها والتصدي لها

بقلم: معاذ البدري[1]

قبل الحديث عن التحديات التي تواجهها هوية هيئة علماء المسلمين في العراق؛ لا بد من التعريف بالهيئة بوصفها مؤسسة شرعية ذات مشروع إصلاحي، وعلى الرغم من معرفة ذلك ابتداءً لدى الراصد والمتابع الحصيف الذي يتعاطى مع قضية العراق بتجرد؛ فإن من الضروري تسليط الضوء على أسس وأدبيات هذه المؤسسة للتذكير بها من جهة، ولإعادة تنشيط الأفكار المتعلقة بها من جهة ثانية.

هيئة علماء المسلمين في العراق: هي مؤسسة تضم مجموعة من العلماء العراقيين المتخصصين بالشريعة الإسلامية، يتبنّون مجموعة من المفاهيم والمقاييس والقناعات الإسلامية، ويعاونهم في ذلك العديد من أهل الاختصاص في العلوم الإنسانية والصَّرفة الأخرى، ويؤازرهم عامة المسلمين في العراق وغيره في النشاط العلمي، فهي في ضوء ذلك كيان علمي نشأ بنشوء فكرة جمع الكلمة ورص الصف بين المسلمين، على أساس التعاون في إنجاز الأعمال، باتخاذ طريقة التشاور لمعالجة النوازل وقضايا الأمة المصيرية معالجة علمية، تقود الأمةإلى الرشد[2].

هيئة علماء المسلمين في العراق التي تأسست بمقرها العام في بغداد بتأريخ الرابع عشر من نيسان/أبريل (2003م)، تعمل على جوانب متنوعة وفي مجالات مختلفة، وطبيعة عملها بوصفها مؤسسة شرعية: ينطلق من دلالة قول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[آل عمران: 79]؛ إذ يقول الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية: (الرّبانيون هم عماد الناس في الفقه وأمور الدين والدنيا... والرّباني هو الجامعُ إلى العلمِ والفقه؛ البصرَ بالسياسة والتدبير، والقيام بأمور الرعية، وما يُصلحهم في دنياهُم ودينِهِم)[3]، ومن هنا أخذت الهيئة تعمل في مجالين كبيرين:

الأول:الاهتمام بالقضايا الراهنة التي يعيشها العراق تحت وطأة الاحتلال ومشاريعه ومخرجاته، والتعاون مع الأطراف المعنية التي يمكن التعاون معها لمعالجتها بما يتناسب والحال الحاضر.

(1) باحث وكاتب من العراق.

(2) يُنظر: هيئة علماء المسلمين في العراق.. التعريف والمفهوم، ص:1.

(3) تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) لمحمد بن جرير الطبري (ت310هـ): ج:5/ص:531.

والثاني: الاهتمام بالبناء الداخلي للمسلمين في العراق وغيره؛ ليستعيدوا النشاط الحيوي في المجتمع على أساس الإيمان بالله وباليوم الآخر، والفهم الصحيح والقويم لدينهم (الإسلام) ولما يوصلهم إلى الرفعة الإسلامية والعزة والكرامة التي أرادها الله لهم وللإنسانية جمعاء).

وتعمل الهيئة كذلك على (رسم السياسة الإسلامية الشرعية، وتحاول أن توجه الجهود إلى المسار الصحيح حسب معطيات العلوم الشرعية وعقيدة الأمة الإسلامية)[1]، والمقصود بهذا العمل؛ ملء الفراغ السياسي الذي يعانيه العراق بإدارة مستقلة تمكن مؤسسات الشعب العراقي من أخذ دورها الريادي في تقليل الأضرار الناجمة عن الاحتلال ومشروعه الذي أنتج الحكومات التي أمسكت بزمام السلطة وقادت البلاد نحو الفوضى والدمار[2].

أمّا الأهداف الكبرى للهيئة فتتلخص في (أنها عملت منذ تأسيسها على إنهاء الاحتلال بكل الوسائل المشروعة، وتوعية الناس بعدم الاستسلام للواقع المرّ الذي تعيشه الأمة، والوقوف بحزم أمام أي قوة تريد سلخ العراق من هويته التأريخية وحضارته الإسلامية).

وأمّا العملية فيمكن إجمالها بعدد من الأمور[3]، أبرزها:

1- تثبيت العقيدة الإسلامية في النفوس، ونشر حقائق الدين وفضائله ليسود التشريع الإسلامي جوانب الحياة كافة.

2- ترسيخ قواعد الأخوة والتضامن بين المسلمين والعمل على إزالة الفرقة والخلاف فيما بينهم ورص صفوفهم وجمع شملهم وترشيد أمرهم في سلوك الطريق النهضوي بحسب مقتضيات العصر الحاضر وضرورته الواقعية.

3- إشاعة روح التفاهم والتسامح بين أبناء الشعب العراقي وانتماءاتهم الدينية والعرقية وإزالة الفوارق المذهبية ونبذ كل ما يفرق وحدتهم.

4- نشر العلم الشرعي والثقافة الإسلامية والنهوض بمستواها بشتى الوسائل الممكنة.

5- المساهمة في إحياء تراث الأمة الإسلامية بكل الوسائل الممكنة.

6- الاهتمام بالمرأة من حيث التوعية الإسلامية والتثقيف العام ومنحها الفرصة للإسهام في خدمة المجتمع بالطريقة التي تناسب طبيعتها.

7- الاهتمام بحقوق الإنسان والدفاع عنها وفق ما أقرته الشريعة الإسلامية وتناولته الشرائع الوضعية مما يتوافق مع مقاصد الشريعة والحرص على إظهار الموقف الإسلامي الصريح للمواطنين غير المسلمين في العراق إذ تنظر الهيئة إلى هؤلاء حسب حقوقهم التاريخية.

هيئة علماء المسلمين في العراق: هي مؤسسة تضم مجموعة من العلماء العراقيين المتخصصين بالشريعة الإسلامية، يتبنّون مجموعة من المفاهيم والمقاييس والقناعات الإسلامية، ويعاونهم في ذلك العديد من أهل الاختصاص في العلوم الإنسانية والصَّرفة الأخرى.

(1) يُنظر: هيئة علماء المسلمين في العراق.. التعريف والمفهوم، ص:2.
(2) يُنظر: المصدر نفسه.
(3) يُنظر: المصدر نفسه، ص:3.

وبرنامج الهيئة في العمل السياسي وغيره متعلق بـ (نهجها الشرعي الذي تؤمن به، والذي يقتضي العمل على تحرير العراق، وتجنيد كل مكوناته لهذا الغرض، من خلال تذكير المسلم بأن هذه الأرض جزء من أرض الإسلام لا ينبغي التفريط بها، وتذكير غير المسلم من أبناء البلد بأن هذه أرض الوطن وعليه أن يُحافظ عليها، ليضمن العيش الكريم له ولأبنائه، ثم إعادة بناء البلد على أسس صحيحة بأيدي أكفاء؛بعيدًا عن المحاصصة الطائفية والعرقية، وعن إملاءات دولة الاحتلال أو أي دولة أجنبية)[1].

ومن هنا يظهر الدور الكبير الذي تمارسه مؤسسة تعد تجربة جديدة في الواقع العراقي المعاصر، لاسيما وأنها تبنّت في عملها الفكر الجمعي الذي يحقق مساحة مشتركة للمدارس الفكرية في العراق، والاتجاهات السياسية المنضبطة، والرؤى البنّاءة على اختلاف مصادرها؛ في أرضية واحدة تحافظ فيها على الثوابت الشرعية والإنسانية والوطنية، وتتصدى للطائفية ومسبباتها ووسائلها ومقتضياتها.

وفي هذا التعريف المتضمّن أهدافًا ومقاصد متعددة ومنطلقًا للوقوف على أدبيات هيئة علماء المسلمين؛ تتضح بعض جوانب الإطار العام لهويتها، وحتى يكتمل هذا الإطار يكون من نافلة القول الحديث عن أن الهاجس الأكبر لدى هيئة علماء المسلمين فيما يتعلق بالهوية مصطلحًا وواقعًا؛ كان يدور حول ضعف الهوية الوطنية الذي من شأنه إعطاء مبررات قوية للآخرين للقبول بالاحتلال، وللاستسلام للتدخلات الإقليمية ولا سيما من طرف إيران التي بدأت تدخلاتها بوجود وتأثير، سرعان ما تفاقم إلى تغوّل وعمق، قبل أن يتحول إلى احتلال صريح ومعلن[2].

وهذا الجانب رغم ما يحتويه — بعمومه المجرد — من مخاطر ومخرجات ضارة؛ لم يكن دافعًا للهيئة كي ترفض التعددية في المجتمع العراقي، فهي تنظر إلى الأصول القبلية وتعددية والمكونات وما إلى ذلك من زاوية كونها ظاهرة طبيعية عرفتها البشرية وليست طارئة أو مستحدثة، لكنها في الوقت ذاته ترى فيتحوّل هذه الظاهرة الصحية إلى ظاهرة مرضية؛مدخلًا نحو صراعات اجتماعية وسياسية سيترتب عليها إعلاء قدم هذه الجهة على تلك ليس بمعيار الكفاءة والوطنية والإخلاص، بل بعيار الانتماءات الفرعية، وهذا يتنافى تمامًا مع منهج هيئة علماء المسلمين القائم على تعاليم الإسلام وشريعته، والذي ينطلق منها في صياغة البناء والفكر الجمعي والعمل في إطار المساحات المشتركة بين الجميع[3] بعيدًا عن مواطن الخلاف ومسببات تأجيج الفرق، ومن هنا وظفت الهيئة مسؤولياتها في التصدي للإصلاح بوصفها مقصدًا دينيًا ودنيويًا.

وما تقدم إجمالًا؛ يعطينا تصورًا كاملًا وعامًا عن طبيعة هوية هيئة علماء المسلمين، وأسس أدبياتها، ومنطلقاتها في التعاطي مع المشهد العراقي، سواء بأحداثه المتجددة والطارئة أو على المستوى الإستراتيجي قريب أو بعيد المدى.

وحين يتبين إطار الهوية العام، يكون الولوج إلى تحليل وتفكيك التحديات التي تواجهها هوية الهيئة، ويكون مدار الحديث باختصار إن شاء الله على محورين:

(1) السراب، حصاد العملية السياسية في ظل الاحتلال، ص:126.

(2) يُنظر: بحث: (منهج هيئة علماء المسلمين في العراق في تحصين وإعادة تشكيل الهوية الوطنية) للدكتور مثنى عبد الله، ضمن أعمال المؤتمر العلمي الأول: (هيئة علماء المسلمين والشيخ حارث الضاري في ذاكرة الأمة) – آذار/مارس 2017م.

(3) المقصود بالجميع ليس على إطلاقه كما قد يُتصور، بل بجميع من هم خارج إطار مشروع الاحتلال ونظامه السياسي، وهذا معروف بداهة من خلال قرائن الحال التي تواكب عمل وفكر هيئة علماء المسلمين، وتمت الإشارة إليه هنا احترازًا من أي لبس.

• **المحور الأول: ظروف النشأة وتحديات الهوية:**

لا شك أن الظرف الذي ولدت فيه هيئة علماء المسلمين في العراق ظرف استثنائي سمته الفوضى وتباين الجبهات، وتقاطع الرؤى والمسارات، بموازاة كثرة المهمات، وتنوع أنماط العمل وتعددها، وعلاوة على ذلك كلّه حالة الاحتلال بشقيه العسكري والسياسي، وما يقابله من مقاومة ميدانية ومناهضة سياسية.

وجدت الهيئة نفسها وهي في أول الطريق في مقدمة الركب، وعلى خط التماس الأول مع كل القضايا المطروحة في البلاد، ولو لم تكن لها هويتها الخاصة لضاعت بين لجج الأحداث كما حصل للعشرات من التكوينات والأحزاب وحتى الشخصيات التي ظهرت بوفرة على مسرح الأحداث.

> **برنامج الهيئة في العمل السياسي وغيره متعلق بـ (نهجها الشرعي الذي تؤمن به، والذي يقتضي العمل على تحرير العراق، وتجنيد كل مكوناته لهذا الغرض، من خلال تذكير المسلم بأن هذه الأرض جزء من أرض الإسلام لا ينبغي التفريط بها، وتذكير غير المسلم من أبناء البلد بأن هذه أرض الوطن وعليه أن يُحافظ عليها.**

وحتى لا يطول المقام – وإن كان جديرًا بالإطالة – سنأخذ مثالًا واحدًا في سياق توصيف أصل التحديات التي واجهت الهوية الكلية لهيئة علماء المسلمين التي كان موقفها صحبة القوى الوطنية الرافضة للاحتلال والعملية السياسية[1] صريحًا وثابتًا في رفض هذه المعادلة السياسية التي طُبعت عليها حكومات العراق منذ ذلك الحين وحتى الآن؛ ليس فقط بسبب التزوير الفاضح في النسب المئوية دون مستند شرعي صحيح؛ بل أيضًا بسبب طريقة تقسيم المكونات التي لا تقوم على مبدأ معقول، حينما جرى الخلط بين الطائفية والعرقية دون اعتبار للتداخلات بينها؛ بهدف إظهار مكون يتصف بأنه طائفة طاغيًا على مكون آخر لا يتصف بذلك، ولعل في شهادة (بول بريمر) دليل على ذلك؛ حينما تعسّف في تعزيز من الاتجاه الطائفي الذي قام عليه النظام السياسي في أول انعقاد لـ(مجلس الحكم) سنة (2003م)؛ إذ أعلن قائلًا: (اختار أعضاء مجلس الحكم السيد محمد بحر العلوم –آخر الداخلين إلى المجلس– ناطقًا رسميًا باسمهم؛ احترامًا لسِنّه، على الرغم من أن عدنان الباجه جي أكبر سنًا من بحر العلوم؛ لكن الباجه جي سُنّي)[2].

• **المحور الثاني: معالجات الهيئة للتحديات التي تواجه هويتها**

إذا كانت العبارة تصلح أن تقال فإن طرفي الصراع في المشهد العراقي بشكل عام هما: العملية السياسية وهويتها الطائفية من جهة، والقوى المناهضة لها وهويتها الوطنية من الجهة الأخرى، فمن منهما متقدم على الآخر؟ ومن منهما أعلى كعب من نظيره؟

إذا أردنا النظر إلى المشهد باعتبار الكيانات والأشخاص أو من خلال المنظور المادي فإن العملية السياسية ما تزال قائمة والقوى المناهضة للاحتلال لم تُسقطها بعد، وبالمقابل فإن العملية

(1) يُنظر: بيان الهيئة رقم (1) بشأن تأسيس مجلس الحكم؛ في كتابها (حصاد الاحتلال)، 1/ 39.

(2) مذكرات بريمر، ص: 133. وتطبيقًا للفرضية الطائفية التي قام عليها مجلس الحكم باعتباره نواة المنظومة السياسية في العراق؛ فقد منحت سلطة الائتلاف الأمريكية 25 شخصًا منصب عضوية المجلس؛ وخصصت للشيعة (النصف 1+) بواقع 13 عضوًا، ومنحت السنّة المشاركين في المجلس 5 مقاعد، وللأكراد مثلهم، وأعطت الأقليات مقعدين اثنين. يُنظر: واقع العراق ما بعد الاحتلال، ص:56.

السياسية لم تستطع أن تكبح القوى المناهضة أو تصرفها عن مقاصدها، وهنا قد يظن ظان أن الحالة بين الطرفين متعادلة، وأن الصراع متوازن، وأن عامل الزمن هو الذي يحسم المواجهة، لكن الوقع يقول غير ذلك تمامًا، وكل واحد من المتابعين والراصدين للمشهد العراقي خبير بذلك.

فالعملية السياسية لا يمكنها البقاء والاستمرار بمعزل عن الداعمين الدولي والإقليمي، فهي مرتبطة بهما وجودًا وعدمًا، وهي خاضعة للتوازنات بين القوى والإرادات التي تسمى (العظمى) أو (الكبرى)والتي تتحكم فيها كيفما شاءت وحسبما تدور بوصلة مصالحها، والدليل على ذلك ما نلحظه في واقعنا اليوم من تنكب أحزاب العملية السياسية لكل قواعدها بعدما تفجرت أزمة الانتخابات الأخيرة ولم تستطع الوصول إلى حل توافقي كما يسمونه لأن الحليفين الأمريكي والإيراني لهما رؤية مصلحية في طبيعة وشكل المرحلة المقبلة.

بينما في الطرف الآخر، ما تزال القوى الوطنية المناهضة للاحتلال ورأس حربتها هيئة علماء المسلمين باقية ومستمرة في مشروعها التحرري رغم أنها مجردة عن الداعمين، وغير مستندة إلى أحد، بل بالعكس، مضيق عليها ومحاربة إعلاميًا وسياسيًا وغير ذلك، ومع هذا ما تزال واقفة وصامدة، ولها من (الكاريزما) ما يمنحها قوّة معنوية وميدانية للثبات، لذلك دائمًا نقول: هيئة علماء المسلمين في العراق فقيرة مالًا لكنها مغمورة جاهًا.

وإذا كان الحال كذلك فشتان بين الموقفين، بين صامد ليس له ظهير أو سند، وبين واقف يتكئ على جدران من يتحكم به!. وإذا نظرنا إلى ذلك وفق معايير النجاح والفشل فإن القاعدة العقلية تقول: إن استمرار النظام السياسي في العراق ليس دليلًا على نجاحه، لأنه استمرار صوري مرهون بداعم وهو مؤهل للسقوط بمجرد التخلي، بينما استمرار وبقاء القوى المناهضة له دليل على أنها في الاتجاه الصحيح لأنها مجردة عن قوة خارجية تسيّرها أو إرادة تتحكم في مسارها مما يعني أنها تسلك طريقها بنفسها وترسم خارطتها بذاتها وهذه مقدمات نجاح ولو بعد حين.

> **إن الظرف الذي ولدت فيه هيئة علماء المسلمين في العراق ظرف استثنائي سمته الفوضى وتباين الجبهات، وتقاطع الرؤى والمسارات، بموازاة كثرة المهمات، وتنوع أنماط العمل وتعددها، وعلاوة على ذلك كلّه حالة الاحتلال بشقيه العسكري والسياسي، وما يقابله من مقاومة ميدانية ومناهضة سياسية.**

ثم إن ثمة نقطة جوهرية في هذا الموضوع، يدركها كل حصيف؛ وهي أن طرف المنظومة السياسية قائم على مشروع مصلحي لا هوية فيه ولا منهجًا، وليس له نصيب من أدبيات الاعتقاد المعتبر أو الفكر البنّاء أو العمل السياسي المنضبط، في حين يحظى طرف القوى المناهضة للاحتلال والعملية السياسية بفكرة وهوية، ومنهج عمل، ومشروع هادف، وبمعنى أدق في العبارة: الطرف الأول: تجمّع قائم على الشراكة المتشاكسة، والطرف الآخر حركة تحرر قائمة على فكرة، والفكرة يُعبّر عن حقيقتها بالهوية.

ومن هنا تنشأ التحديات التي تواجهها هوية الهيئة في اتجاهين رئيسين:

- النظام السياسي الطائفي في وجه المشروع الوطني

– الهويات الجزئية المتفرقة بوجه الهوية الكلية الجامعة

إن الهوية الجامعة للمجتمع العراقي واجهت – بعد الاحتلال – تحديات كبيرة، ومرّت بظروف معقدة جعلت الكثير من الباحثين والدارسين يخلطون بين العاطفة الظاهرة التي أبرزتها المنهجية الثقافية والإعلامية لركن الاحتلال الثالث[1]، وبين حقائق النسيج الاجتماعي على أرض الواقع، حتى وصل الحال إلى اعتماد مصطلح (أزمة الهوية) في غير سياقاته، وتوظيفه طائفيًا بشعور أو بعدمه ليزيد من توصيف المشهد تعقيدًا، دون الأخذ بنظر الاعتبار أن هذه الأزمة المفترضة لم تنشأ من داخل الهوية العراقية الوطنية بقدر ما وفدت إليها من الخارج[2]، في ظل ظروف غير طبيعية جاءت مع الاحتلال لترافق حالة الانهيار الأمني والاقتصادي، وظلامية المستقبل، ومجهولية المآلات؛ الأمر الذي فرض حالة توتر وقلق أخذت تتزايد في الوجدان والمشاعر لا في العقول والتصورات.

وخلاصة القول في هذه الجزئية؛ أن الهوية المجتمعية العراقية عانت من أزمة في الحرية حينما فرض الاحتلال وسلطاته المتعاقبة نمطًا معينًا من نظام الحكم تفاقمت فيه مفردات ترهيب وتخويف أريد لها أن تشيع في المجتمع لتُجبر العراقيين على الخضوع إلى إرادات مقصودة في التوجه، من قبيل (الإرهاب) و(الاجتثاث) اللذين اتُخذا ذريعة لمصادرة الرأي وكبح كل حراك أو صوت يسعى إلى تنشيط المجتمع وتبصيره بحقيقة مشروع الاحتلال وأهدافه وغاياته، فظهرت مشكلات أخرى على مستوى الوعي والإدراك أسهمت في بروز حالة انعزالية في المجتمع أخذ الناس فيها يبحثون عن الأمن فحسب دون التفكير بالتغيير، فاستغلت السلطات ذلك لتجعل من الطائفية إرهابًا آخر لا يملك المجتمع لمواجهته سوى العاطفة، على الرغم من أن الأزمة الحقيقة في الإطار الطائفي في العراق؛ هي مشكلة سلطة ونظام سياسي يُصادر حقوق المجتمع وإنسانيته، وليست مشكلة مكونات مجتمعية ألفت التعايش السلمي وعوّلت في بناء حضارتها عليه قرونًا عبر التأريخ.

وللوقوف على دور هيئة علماء المسلمين في مواجهة هذه التحديات باعتبارها – أي الهيئة – أنموذجًا للرؤية العراقية الشرعية والوطنية في التصدي لمشاريع تفكيك المجتمع؛ يتطلب البحث استعراض المراحل التي مرّت بها هذه المؤسسة أثناء المواجهة.

وبطبيعة الحال فإن الدراسة في هذا الجانب وتحليل المواقف المتعلقة به؛ يُظهر نمطًا من المرحلية الإستراتيجية والتدرج المدروس بعناية في توصيف المشكلة وتأصيلها وطرح الرؤى لمعالجتها؛ ينم عن تفكير جمعي مؤسسي منضبط ينظر إلى الأحداث بشمولية، ويستشرف مآلاتها بوضوح.

وهذه المراحل نتناولها فيما يأتي:

أولًا– رصد المشكلة: فقد بدأت هيئة علماء المسلمين الإعلان عن مواجهة مشروع الاحتلال في العراق بقاعدة (اللاءات الخمس) التي أطلقها الأمين العام الأول لها الشيخ (حارث الضاري) حينما شخّص خمس مشكلات مترادفة يعمل مشروع الاحتلال على تثبيتها، وهي: (الاحتلال (بوصفه العسكري)، والعملية السياسية، والدستور، والطائفية، والتقسيم)[3]، وقد شرعت مواقف الهيئة وطرحها الإعلامي وهي ترفض هذه الأمور؛ بالتأكيد على مبدأ الوطنية والترفع

(1) المقصود بركن الاحتلال الثالث: وسائل الإعلام الموجه التي استخدمتها الولايات المتحدة لترويج ودعم مشروعها في العراق، إذ إن أركان الاحتلال في العراق كما هو معروف ثلاثة: قوة عسكرية، وعملية سياسية، وماكنة إعلامية.

(2) يُنظر: دراسة (المجتمع العراقي تنوع طبقات وعلاقات منسجمة) لقاسم الحسناني.

(3) يُنظر: هيئة علماء المسلمين والشيخ حارث الضاري في ذاكرة الأمة، ص:306.

عن الطائفية، والسعي إلى إشاعة الخطاب الجامع لكل أطياف المجتمع العراقي[1].

إن استمرار النظام السياسي في العراق ليس دليلًا على نجاحه، لأنه استمرار صوري مرهون بداعم وهو مؤهل للسقوط بمجرد التخلي، بينما استمرار وبقاء القوى المناهضة له دليل على أنها في الاتجاه الصحيح لأنها مجردة عن قوة خارجية تسيّرها أو إرادة تتحكم في مسارها مما يعني أنها تسلك طريقها بنفسها وترسم خارطتها بذاتها وهذه مقدمات نجاح ولو بعد حين.

وقد رأت هيئة العلماء في وقت مبكّر أن العملية السياسية في العراق لا تجري على ما هو مُتصور لدى المراقبين لها من الخارج؛ بل تتحرك في سياق الطائفية والمحاصصة والتوافقات بين أحزابها[2]، وفي وقت كان يُعتقد لدى قسم من الناس بأن ما يجري في العراق هو صراع طائفي مجتمعي؛ وصفته هي بأنه طائفية سياسية زرع الاحتلال بذورها، ورعتها طبقة السياسيين الذين جاء بهم وسلمهم مقاليد الحكم، لكنها لم تطرح رؤيتها تلك وهي تصوّر الجو المجتمعي في العراق بأنه يمر بحالة مثالية؛ بل اتّسمت بالموضوعية وهي تصف الواقع الذي نجم في البلاد بعد الاحتلال قائلة: (إن حالة الاحتقان الموجودة لا يمكن تجاهلها، وهي تعود لأسباب وأمور كثيرة في مقدمتها:الخلاف السياسي بين الشخصيات التي تقود العملية السياسية إذ إن هناك فئات سياسية لديها طموحات ومصالح تسعى لتحقيقها بوسائل مشروعة وأخرى ليست كذلك حتى لو كان ذلك على حساب دماء العراقيين ومعاناتهم، وفي هذا السياق تُستخدم الذرائع المذهبية والعرقية، وبذلك يمكن القول: إن السبب الرئيس للاحتقان هو سياسي وليس مذهبيًا)[3].

ثانيًا- تأصيل المشكلة والكشف عن مصادرها: لاحظت هيئة علماء المسلمين أن الحراك السياسي الذي شهده العراق في ظل الاحتلال لم يكن يهتم بتحصيل ثقة الجماهير به، ولم يكن مؤهلًا ليمنحهم عطاءً أو ثقة، فضلًا عن حقوق ومنافع؛ ولعل هذه المؤسسة العلمائية كانت صاحبة السبق في كشف المسؤول الأول المُصدّر للطائفية ومفاهيمها في العراق، وهو الاحتلال المزدوج (الأمريكي - الإيراني) الذي ينطلق من سياسة التخادم ويتقاسم شقّاه الأدوار في توظيف العملية السياسية طائفيًا[4]، وهذا أمر لا يكاد يخلو واحد من بياناتها من الإشارة إليه بهدف التأكيد المستمر على حقيقة يسعى الاحتلال وأدواته إلى تغييبها، ولا تجد لها أصداءً في أرجاء الرأي العام[5].

ثالثًا- توثيق الأحداث: تنبّهت هيئة علماء المسلمين منذ الأيام الأولى للاحتلال إلى أن الغاية التي يضمرها الأخير هي إذلال الشعب العراقي

(1) يُنظر: هيئة علماء المسلمين والشيخ حارث الضاري في ذاكرة الأمة، ص:512.
(2) يُنظر: هيئة علماء المسلمين والشيخ حارث الضاري في ذاكرة الأمة، ص: 215.
(3) من حوار صحيفة السبيل الأردنية مع الشيخ (حارث الضاري)، بتأريخ: 15 أيلول/سبتمبر 2005م.
(4) يُنظر: هيئة علماء المسلمين والشيخ حارث الضاري في ذاكرة الأمة، ص: 445-446.
(5) نصّت العديد من بيانات الهيئة على أن الأعمال الطائفية والجرائم التي تُرتكب بدوافعها؛ هي صنيعة سياسية، ويُنظر على سبيل المثال لا الحصر ما جاء في البيان ذي الرقم (937) المتعلق بسبّ مليشيا طائفية رموز الأمة الإسلامية لتأجيج الفتنة، بتأريخ 7 تشرين الأول/أكتوبر 2013م: (إن الأفعال الطائفية هي نتاج صارخ للعملية السياسية ودستورها المسخ، الذي ارتضاه بعض من وافق عليه مع علمه بنتائجه الطائفية والعرقية الوخيمة)، يُنظر: بيانات هيئة علماء المسلمين في العراق 4/229-230.

وكسر شوكته، وتدمير حياته في بناها التحتية ومفاصلها المختلفة، فعكفت على توثيق الأحداث والتحذير من برامج ممنهجة تنوعت فيها أساليب الاحتلال وأدواته؛ ووصفت ذلك بالقول: (سعى الاحتلال إلى إيقاظ الفتنة الطائفية والعرقية فلم يكتفِ ببرنامجه السياسي في ذلك؛ بل دفع بفرق موت مدرّبة مهمتها إذكاء هذه الفتنة، فكانت تقتل رجلًا من هذه الطائفة وفي اليوم الثاني تقتل الفرق نفسها رجلًا من طائفة أخرى؛ في إيحاء خبيث إلى أن الطائفة الفلانية ثأرت لنفسها.. وهكذا؛ حتّى فقد العراق بسبب ذلك المئات من كفاءاته العلمية والعسكرية... فضلًا عن انتهاكات الميليشيات التي تمارس أساليب الاختطاف والتعذيب لحسابات طائفية)[1].

إن موقف الهيئة في التوثيق والتعاطي مع الأحداث واحدٌ مع العراقيين على اختلاف أطيافهم، فلم تُعن بطائفة دون أخرى، وهي ترفض في هذا المساق أية محاولة للتفريق بين أبناء الشعب العراقي؛ إذ كان لها موقف واضح في أكثر من بيان في تجريم من يستبيح دماء العراقيين أو يُكفّرهم بالنظر إلى الاعتبارات الطائفية.

رابعًا– الموقف والرأي السياسي: حرصت هيئة علماء المسلمين أن تبتعد في خطابها عن مصطلحات يُفهم منها تصنيف العراقيين طائفيًا أو عرقيًا أو دينيًا، فقد اعتمدت مصطلحات من قبيل: (العراق، العراقيون، أبناء الشعب العراقي، أبناء الوطن..) لتكون هي الطاغية على لغة مواقفها وبياناتها السياسية، ولم تتعمد استخدام مصطلح يشير إلى ما يناقض ذلك إلا في سياق الإيضاح وبيان ضرورة يقتضيها المقام، مع التعبير عن أسباب لجوئها إلى هذا المنحى، وذلك حرصًا على كمال وحدة العراقيين في أدبياتها، ومساواتهم دون تفريق أو تمايز.

وفي هذا الشأن لا بد من إيراد نماذج رؤى الهيئة في التصدي للطائفية، ننتقيها من بين الكثير جدًا من المواقف التي اتخذتها على مدى تسع عشرة سنة، وذلك احترازًا من الإطالة ومراعاة للمقام الذي يلزمه الاختصار:

1– فتاوى شرعية، ومنها:

• فتوى بوجوب وحدة الأمة وتحريم سفك الدماء والاعتداء على دور العبادة: نصّت فيها الهيئة على: أن الواجب الشرعي يُلزم علماء الأمة ودعاتها من خطباء ومرشدين وغيرهم؛ التأكيد على أمر الوئام والوحدة، والتحذير من الشتات والفرقة وما يُفضي إليهما من مواقف وخطابات لا تُراعى فيها حرمة الأمة ومصلحتها... وأن كل قول أو فعل يُفضي إلى فرقة الأمة وضعفها فهو من المحرمات الشرعية القطعية..[2].

"هناك فئات سياسية لديها طموحات ومصالح تسعى لتحقيقها بوسائل مشروعة وأخرى ليست كذلك حتى لو كان ذلك على حساب دماء العراقيين ومعاناتهم، وفي هذا السياق تُستخدم الذرائع المذهبية والعرقية، وبذلك يمكن القول: إن السبب الرئيس للاحتقان هو سياسي وليس مذهبيًا."

• بيان شرعي بشأن الميليشيات العسكرية: أكّدت

(1) بيانات هيئة علماء المسلمين،1/17. 19.

(2) يُنظر: فتاوى ودراسات شرعية منتقاة، من إعداد قسم الفتوى في هيئة علماء المسلمين في العراق، ص: 13–15.

فيه الهيئة أن استمرار الضرب على النغمتين الطائفية والعرقية؛ له محاذيره الشديدة، أنه من فعل المحتلين القائم على قاعدة (فرّق تسد)؛ وشددت على أنه مرفوض شرعًا؛ لأن الشريعة الإسلامية حرّمت الفرقة بين المسلمين[1].

• فتوى التحذير من الاتفاقية الأمنية مع الاحتلال الأمريكي: رصدت فيها هيئة العلماء الآثار الخطيرة المترتبة عن الاتفاق بين السلطات الحكومية في العراق والإدارة الأمريكية على جملة من الأمور، مبينة أنها إقرار بتقسيم العراق أو تجزئته على أساس طائفي وعرقي من خلال التعهد بالحفاظ على الدستور الذي وضعه الاحتلال[2].

1- بيانات وتصاريح: وهي أكثر من أن تُحصى في هذا المقام، ولكن نأخذ منها على سبيل المثال:

• بيان رقم (75) بشأن الاعتداء على كنيستين في مدينة الموصل بتأريخ: (8كانون الأول/ديسمبر2004م)، ومما جاء فيه: إن هيئة علماء المسلمين تبرأ إلى الله من أي عمل يستهدف العراقيين الأبرياء أو ممتلكاتهم، أو دور عبادتهم، بدوافع عرقية أو طائفية، أو دينية..[3].

• بيان رقم (78) المتعلق بمجزة ارتكبت في مدينتي النجف وكربلاء قُتل فيها العشرات بتأريخ: (20 كانون الأول/ديسمبر 2004م)؛ قالت فيه: إن على المسوّقين للاحتلال الذين يريدون إحداث فتنة طائفية توعّد بها الساسة الأمريكيون عبر تصريحاتهم المعلنة؛ أن يعلموا جيدًا أن العراق ليس غنيمة حرب؛ بل هو مهد الحضارات، وهو الذي ذابت فيه كل الانتماءات لتجذر في عراقيتهوفي قاموس وحدته الوطنية[4].

• بيان رقم (114) المتعلق باغتيال أئمة وخطباء المساجد واعتقال مصليها، بتأريخ: (7 أيار/مايو 2005م)؛ نصحت فيه الهيئة أبناء الشعب العراقي بكل أطيافه ومذاهبه أن يتنبه لمؤامرة تستهدف أمنه واستقراره ووحدته[5].

• بيان رقم(157) بشأن تصريحات الزرقاوي باستهداف الشيعة بتأريخ: (15أيلول/سبتمبر 2005م)، قالت فيه الهيئة: إن شيعة العراق لا يتحمّلون إثم ما تنتهجه الحكومة من سياسة طائفية واضحة المعالم بمباركة أمريكية، ولا جريرة عليهم فيما تقوم به من عدوان... وإن إعلان الزرقاوي شن حرب شاملة على الشيعة هو أمر خطير يحقق للمحتل أمانيه في تمزيق البلاد وإشعال الفتنة..[6].

موقف الهيئة في التوثيق والتعاطي مع الأحداث واحدٌ مع العراقيين على اختلاف أطيافهم، فلم تُعن بطائفة دون أخرى، وهي ترفض في هذا المساق أية محاولة للتفريق بين أبناء الشعب العراقي؛ إذ كان لها موقف واضح في أكثر من بيان في تجريم من يستبيح دماء العراقيين أو يُكفّرهم بالنظر إلى الاعتبارات الطائفية.

• بيان رقم (277) بشأن جريمة اغتيال إمام وخطيب أحد مساجد بغداد بتأريخ:(15 حزيران/يونيو2006م)، قالت الهيئة فيه: إن المشكلة العراقية لا يمكن حلها ما دامت قوّات الاحتلال والميليشيات الطائفية وفرق الموت والتعذيب وعصابات الجريمة

(1) يُنظر: فتاوى ودراسات شرعية منتقاة، من إعداد قسم الفتوى في هيئة علماء المسلمين في العراق، ص: 13-15.
(2) يُنظر: فتاوى ودراسات شرعية منتقاة، من إعداد قسم الفتوى في هيئة . علماء المسلمين في العراق، ص: 33.
(3) يُنظر: بيانات الهيئة، 163/1.
(4) يُنظر: المصدر نفسه، 168/1.
(5) يُنظر: المصدر نفسه،217/1.
(5) يُنظر: المصدر نفسه،267/1.

تسرح في طول البلاد وعرضها، تدعمها في ذلك قوّات حكومية لتنفيذ جرائمها البشعة، وفق مخططات دولية وإقليمية مشبوهة، ولتحقيق سياسات الفتنة والتقسيم[1].

وخطاب الهيئة الرافض للطائفية، والمحرض على الوحدة الوطنية؛ كثير وغزير في جلّ بياناتها التي جاوزت حتى الآن حاجز الألفي موقف ما بين بيان، وتصريح، ورسائل مفتوحة وثائق سياسية، فضلًا عن حوارات صحفية وتقارير حقوقية، وقضايا رأي وتحليل؛ وقد آثر البحث التركيز على تلك المواقف في السنوات الأولى من عمر الاحتلال؛ للتأكيد على أصالة الموقف وباكورة الرؤية والتشخيص والتبيان.

3- مشاريع وطنية: طرحت الهيئة على مدى عقد ونصف من السنين العديد من المشاريع الهادفة إلى الحفاظ على الوحدة الوطنية للشعب العراقي، والتصدي لمحاولات تفكيك النسيج المجتمعي عبر الطائفية والتقسيم الإثني، وتدور تلك المشاريع على رفض أسلوب وسياسية المحاصة الطائفية والتحذير من مآلاته، وطرح رؤية لإنقاذ العراقيين وإخراجهم من الأزمة التي عصفت بهم، وذلك بـ(سلوك السبيل نحو عراق محرر تجري فيه عملية سياسية نزيهة قائمة على التعددية، وبعيدة عن المحاصصة الطائفية والعرقية، وتتبنى التداول السلمي للسلطة، ويكون لها جيش وطني، ليس له ولاءات حزبية أو طائفية، ويقف على مسافة واحدة من الجميع..)[2]، ومن بين تلك المشاريع نذكر:

- منهج الإصلاح والتغيير . مشروع هيئة علماء المسلمين لبناء الحياة المُثلى.
- هيئة علماء المسلمين والمشروع الوطني – مدخل إلى مشاريع الإنقاذ.
- مبادرة العراق الجامع – الحل المناسب لإنقاذ العراق والمنطقة.

وخطاب الهيئة الرافض للطائفية، والمحرض على الوحدة الوطنية؛ كثير وغزير في جلّ بياناتها التي جاوزت حتى الآن حاجز الألفي موقف ما بين بيان، وتصريح، ورسائل مفتوحة وثائق سياسية، فضلًا عن حوارات صحفية وتقارير حقوقية، وقضايا رأي وتحليل؛ وقد آثر البحث التركيز على تلك المواقف في السنوات الأولى من عمر الاحتلال؛ للتأكيد على أصالة الموقف وباكورة الرؤية والتشخيص والتبيان.

- الميثاق الوطني العراقي[3].

خامسًا التثقيف الاجتماعي: حرصت الهيئة على تبني سياسة تصحيح المفاهيم المتعلقة بالقضية العراقية، وصناعة تصورات منضبطة بشأن الوسائل الواجب اتخاذها للمحافظة على النسيج المجتمعي بثوبه الوطني المنزّه عن الطائفية والعرقية، وقد سلكت في ذلك سبلًا عديدة، من بينها:

1- رسائل مفتوحة في مناسبات مخصوصة مثل: (ذكرى الاحتلال، تأسيس الجيش العراقي، ثورة العشرين...)، وغيرها إلى كل من:

- العشائر العراقية.
- فصائل المقاومة.
- الأحزاب والكيانات السياسية.
- الشعب العراقي عمومًا.

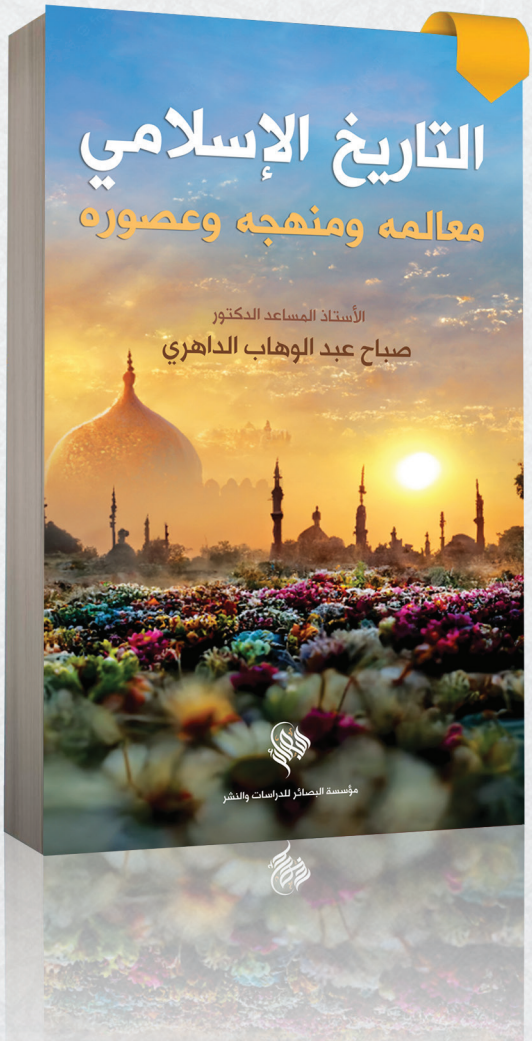
(1) يُنظر: فتاوى ودراسات شرعية منتقاة، من إعداد قسم الفتوى في هيئة . علماء المسلمين في العراق.
(2) السراب، حصاد العملية السياسية في ظل الاحتلال، ص:166.
(3) جميع هذه المشاريع مطبوعة ضمن سلسلة إصدارات الهيئة. يُنظر: الموقع الرسمي على شبكة الإنترنت: www.iraq-amsi.net.

- القادة والرؤساء في اجتماعات القمم العربية والملتقيات الإقليمية[1].

2- استثمار النوافذ الإعلامية ومنصات وسائل التواصل الاجتماعي، التي تديرها أقسام الهيئة بمختلف تخصصاتها، ومنها: قسم الإعلام، وقسم الثقافة، وقسم حقوق الإنسان، والقسم الاجتماعي، والقسم الإغاثي، والقسم العلمي، وقسم الدعوة والإرشاد، فضلًا عن القسم السياسي، وصحيفة البصائر[2]، ومجمل الخطاب الذي يطرح من على تلك المنابر يتجه نحو التركيز على بلوغ أهداف مجتمعية وإنسانية يأتي في مقدمتها التعايش، والتكافل، والإثراء العلمي والثقافي، والإيضاح السياسي والحقوقي، بما يكشف عن حقيقة الطائفية السياسية ودورها في إيصال العراق إلى ما هو عليه من انحدار وانهيار.

(1) تُنظر: زاوية (وثائق الهيئة) في موقعها الرسمي على شبكة الإنترنت، وكتاب بيانات الهيئة بأجزائه الأربعة.

(2) معلومات مصدرها الاستقراء ودراسة الحالة أثناء إعداد البحث. ويُنظر أيضًا: هيئة علماء المسلمين التعريف والمفهوم، ص: 42.



التاريخ الإسلامي

معالمه ومنهجه وعصوره

المؤلف: الدكتور صباح الداهري

الناشر: مؤسسة البصائر للدراسات والنشر

سنة الطبع: 2022

مفهوم الهوية وتطبيقاتها في أدبيات هيئة علماء المسلمين في العراق

حارث الأزدي[1]

لعل أبرز مثال عن الهوية ما عبر عنه الصحابي الجليل ربعي بن عامر—رضي الله عنه- حين دخل إلى إيوان كسرى، وكان ينكث السجاد برمحه ويتلو الآية : ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۞ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ۞ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ۞ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾[الدخان]، ثم ينتهي بربط خطام فرسه على أريكة مذهبة لكسرى الفرس، فسأله قائد الفرس : من أنتم؟، وهذا هو سؤال الهوية فأجاب بفهم الجماعة التي ينتسب إليها بجزئية الفرد الصالح لتمثيلها : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ...والحادثة مشهورة.

الهوية مشتقة من هو، أو هي، أو هم، وهي مجموعة المتبنيات والعقائد والأساسات في تكوين الشخصية الاعتبارية ؛ لفرد يصلح أن يكون تمثيلًا حقيقيًا لجزئية الجماعة.

ولكي أصل إلى جوهر الفكرة في البحث فيمكن الدخول من قول: "ما من كائن بدون هُويَّة" لأقول: إن الهوية هي حقيقة الشَّيء أو الشَّخص الَّتي تُمَيِّزه عن غيره.

وقد تشترك خصائص عامة أو خاصة في وصف شيء ما، لكن ثمة مواقف تظهر من هذه الشخصية أو تلك المجموعة تميزها عن الآخر. الفهم العميق والتفكر الدقيق هما العاملان الأساسيان في إبراز الهوية بفهم مقاصدي يحمي الجماعة، وينهض بالمجتمع ككل ولذلك أقول: مهمة الهوية تبليغ الفكر والرؤية، والتصدي للمخالف بالحجة مقابل الحجة، والاضطلاع بمهمة إزالة الشبهات بالدليل والبرهان.

ولو نظرت إلى العالم البشري اليوم لوجدته مجموعة من الهويات كل ينتمي إلى فكر يستند إليه في حكمه على الأشياء المحيطة به، أو ما يواجهه من تحديات.

هناك هوية قومية، وهناك هوية دينية، وهوية وطنية، وهوية أممية، وهذه تتفرع إلى أنواع فهناك هوية إسلامية: تعتقد بأخوة كل من ينتمي لدين الإسلام، وهوية فكرية من نتاج البشر كالشيوعية والرأسمالية، فكل عقيدة بغض النظر عن صدقيتها، أو صوابها

(1) كاتب وشاعر من العراق.

وينبثق عنها نظام تجد الهوية متميزة عن غيرها من الهويات بما تعتقد من أفكار ورؤى وعقائد وما ينتج عنها من أحكام.

وهناك الهوية القومية التي تعتني بالعنصر البشري ونقاء نسبه وأصله، وهذه ليست عقيدة وإن كانت هي هوية تميزهم عن غيرهم ؛لأنها لا تستطيع أن تعطي للإنسان أحكامًا في الحياة، فهي لا تستطيع أن تجيز لك الارتباط بالزواج، أو تعطيك حكمًا للبيوع والتجارة فهي تنقصها العقيدة.

ثم لو وسعنا دائرة البحث قليلًا لوجدنا حتى في توصيفات الأدب صارت هويات فهناك الأدب الرمزي، والأدب الرومانسي، وظهر الأدب الإحيائي وزامنه أدب المهجر، وما إلى ذلك من مسميات تمثل توجهًا ورؤيةً في التناول الأدبي، حتى أن الدارس للأدب تكون عنده ملكة بمجرد طرح نتاج أدبي عليه يعرفه أنه ينتمي إلى هذه الحقبة أو تلك الهوية.

نخلص إلى القول إن الهوية هي الجوهر الثابت في الشخصية الإنسانية، مهما تغيرت الأحوال وتعددت التحديات، وهي تصلح أن تكون هو ما تميزه عن الآخر، ولا ينطبق ذلك على الشخصية المتماهية التي تميل بحسب اتجاه الريح، فهي قطعًا ستكون في إطار الوصف بجماعة (ها ها لا أدري)، وهو مسخ واستنساخ لا تجد ما يميز هذا عن ذاك، ولا هذه المجموعة عن تلك، فتكون البشرية بلا هوية عبارة عن مجموعة قطعان من الإمعات إن أساء الناس أساؤوا وإن أحسنوا أحسنوا.

تهدد الهوية مخاطر لغوية وعقدية، واجتماعية وثقافية وتاريخية فمن لا يمتلك هوية محددة المعالم ستندحر شخصيته، أو مجموعته التي ينتمي إليها وتتلاشى وتضيع.

المواجهة الحقيقية في صراع الهويات لن تكون بالاستعلاء الفارغ، ولا الانغلاق الأعمى، ولا التشرنق، ولا التماهي فكل هذه الطرق تؤدي عكس المطلب في المحافظة على الهوية.

"مهمة الهوية تبليغ الفكر والرؤية، والتصدي للمخالف بالحجة مقابل الحجة، والاضطلاع بمهمة إزالة الشبهات بالدليل والبرهان."

العلاج الحقيقي بظهور مميزات ومواقف الشخصيات والجماعات تجاه التحديات التي تواجهها، وهنا ندخل إلى الشق الثاني من الورقة بتفكيك مفردات الهوية في هيئة علماء المسلمين في العراق، فقد تضمنت أساسات وركائز لابد من التوقف عندها:

يظهر من الاسم (هيئة)، أيْ : رابطة وجامع وإطار تنسيقي، وربما انصهاري في آن واحد؛ لتوحيد الرأي وفاعلية التوجيه.

و(العلماء) جمع عالم وهو الدَّارس، والحافظ لعلوم الشريعة، والمتبصر المستنير بها في حكمه على الأشياء والأحداث والمستجدات.

أما لفظ (المسلمين) فهو هوية عامة جامعة لكل من ينتسب إلى الإسلام ديناً، ويتعبد بالقرآن إيمانًا وتصديقًا، وينتظم في إطار الهوية الجامعة لعموم المسلمين أينما وجدوا.

فيما يكون لفظ (العراق) مقيدًا ومحددًا لخصوصية العمل، والاهتمام وهذا لا يتعارض مع الهوية الأعم.

فالهيئة يمكن تعريفها: بأنها هيئة شرعية يقودها جمع من العلماء، ويعاضدهم مجلس الشورى، ويؤازرهم العلماء والمختصون في العلوم الأخرى، ولها رؤية في الأحداث فيما جرى ويجري على

أرض العراق خاصة، وعموم بلاد المسلمين عامة.
وفيما يخص العراق تميزت هويتها برفضها للاحتلال، وعمليته السياسية القائمة على المحاصصة، ورفضها للدستور مع تبيانها لما تضمن من ألغام تؤسس لصراع طويل الأمد، ورفضت الأقاليم رفضها لكل مشروع يريد النيل من العراق أرضًا وتاريخًا وشعبًا.
ومثل ذلك فعلت تحذيرًا وتبيانًا لخطورة مشروع قانون النفط والغاز، وماذا يراد من ورائه وكان ذلك في(تموز) 2007م.
أما فيما يخص الدول العربية والبلاد الإسلامية فوثقت موقفها بما يتناغم ومسيرتها في نصرة الحق، وبذل النصح وتوجيه الخطاب بما تراه صحيحًا وتؤمن به، وللمثال عليه بيان(1066)المتعلق بالمشهد اليمني.

> **الهوية هي الجوهر الثابت في الشخصية الإنسانية، مهما تغيرت الأحوال وتعددت التحديات، وهي تصلح أن تكون هو ما تميزه عن الآخر، ولا ينطبق ذلك على الشخصية المتماهية التي تميل بحسب اتجاه الريح، فهي قطعًا ستكون في إطار الوصف بجماعة (ها ها لا أدري)، وهو مسخ واستنساخ لا تجد ما يميز هذا عن ذاك، ولا هذه المجموعة عن تلك، فتكون البشرية بلا هوية عبارة عن مجموعة قطعان من الإمعات إن أساء الناس أساؤوا وإن أحسنوا أحسنوا.**

ولو استعرضت مواقف الهيئة منذ انطلاقتها وعملها في العراق، لوجدت تطبيقات دالة على الهوية بمواقف ثابتة تخص الأحداث العراقية، ورؤى ونصائح تخص البلاد العربية دولًا ومجموعاتٍ عاملةً على ساحتها، وثالثة أخرى تخص المسلمين خارج إطار دائرتي الوطن العراقي، والبلاد العربية كما سيتبين من الأمثلة.
فيما يخص الشأن العراقي كان موقف الهيئة واضحًا وصريحًا وجريئًا، حين أعلنت موقفها من العملية السياسية الدائرة في فلك الاحتلال جملة وتفصيلًا، بدءًا من بيان الهيئة عن تشكيل مجلس الحكم وتشخيصها كارثة المحاصصة الطائفية، وتقسيم مكونات العراق طولًا وعرضًا ... وموقفها من مخططات إيران والتدخلات الإقليمية، ومخاطباتها للدول عبر مجلس الأمن وجامعة الدول العربية.
ثم توالت مواقفها المعلنة عن مجريات الأحداث في العمليات العسكرية، وانتهاكات حقوق الإنسان في الفلوجة والنجف وديالى والبصرة وغيرها في المدن العراقية التي تعرضت لعمليات عسكرية، مارس فيها الاحتلال الأمريكي أبشع جرائمه.
تجلت هوية هيئة علماء المسلمين في موقفها تجاه المجاميع الطائفية التي نفذت خطة تصفية الكفاءات العراقية، وقد صدرت بيانات وتصريحات صحفية، فضلًا عن توثيق ذلك بكتاب صدر عن مركز الأمة للدراسات والتطوير، أحصى أسماء الكفاءات وأماكن اغتيالهم.
وفي الموقف من الدستور ظهر موقف الهيئة مبينًا للهوية التي تميزها عن غيرها من المجموعات من خلال الرؤية الدقيقة، والفهم العميق لمدلولات الألفاظ ومقاصد الصياغات في هذا النص المستورد....، وهنا أود أن ألفت الانتباه إلى أن موقف الهيئة وهويتها ليس موقفًا سهلًا متاحًا لأي أحد؛ لأنه يتصدى لمشروع يتبناه الاحتلال وينفذه عملاؤه والمرتبطون به.
وتميزت رؤية الهيئة رصانةً وفكرًا وموقفًا في مؤتمري القاهرة (2005 و 2006م)، وكيف استطاعت

أن تمثل أبناء العراق برؤية جامعة لأطياف الشعب العراقي، ومناوئة لأحزاب الخراب التي انخرطت في مشروع الاحتلال.

لو استعرضت مواقف الهيئة منذ انطلاقتها وعملها في العراق، لوجدت تطبيقات دالة على الهوية بمواقف ثابتة تخص الأحداث العراقية، ورؤى ونصائح تخص البلاد العربية دولًا ومجموعاتٍ عاملةً على ساحتها، وثالثة أخرى تخص المسلمين خارج إطار دائرتي الوطن العراقي، والبلاد العربية.

وفي تظاهرات(25 شباط 2011م) ظهرت هوية الهيئة بصفتها الجامعة لجهد العراقيين في الخلاص من الواقع السيء، وجمع الشمل وعدم التشتت ودفعت باتجاه وحدة العراقيين في تحرير بلادهم.

وكذلك كان موقفها متجليًا في اعتصامات الأنبار، ودفعت باتجاه رفع الوعي وتوجيه الرأي والفكرة، والتحذير من التخبط في المخططات المطروحة.

فضلًا عن كل هذا تجد الهوية والرؤية والموقف بتجلياتها الكبيرة في الرسائل المفتوحة لهيئة علماء المسلمين الموجهة إلى فصائل المقاومة العراقية والعشائر العراقية، وكان آخرها في الذكرى التاسعة عشرة للاحتلال التي تحدثت بلغة واضحة وسَمَتْ الأشياء بمسمياتها، وذكَّرت العراقيين جميعًا برؤيتها الجامعة لتوجههم منذ ما يقرب العقدين من الزمن، وكيف أن الاستشراف جاء كما كان متصورً وكأنك تشاهد تطبيقًا مصورًا لهذه المآلات.

وفي ثورة تشرين التي تجلت فيها الإرادة العراقية بصورة ملفتة للنظر، واستطاعت أن تهز أركان العملية السياسية كذلك تجلت رؤية الهيئة بتأييد الحراك على أرض العراق دون تصنيف أو تقسيم أو انتقاء، فالهدف في رسالة الهيئة تحرير العراق وتحريره يقع على عاتق كل عراقي غيور على أرض بلاده.

أما عن موقف الهيئة من الأحداث الجارية على بعض البلاد العربية كفلسطين وسوريا ومصر واليمن وليبيا ولبنان وغيرها من بلاد العرب، فتتضح الرؤية بالانحياز الكامل إلى الموقف الشعبي وتقديم النصح بالوحدة والتآزر والعمل على الخلاص من ربقة الارتباط بالمخططات الإقليمية والدولية.

ختامًا على الرغم من مرور هذه السنوات التي تقارب العقدين من الزمن؛ كانت رؤية الهيئة بتطبيقها مقتضيات الهوية ظاهرة غير مخفية وواضحة جلية حتى صارت علامة بارزة في الإشارة إليها، أو حتى ممن يتطابق في بعض رؤاه مع بعض مواقف الهيئة تشير له التعريفات أن موقفه موقف الهيئة، أو أنه أحد المقربين منها؛ فصار موقف الهيئة ومتبنياتها مقياسًا رائعًا للوطنية لمن يعيشون خارج جبة العملية السياسية الخرقاء، وتهمة جاهزة تطلقها السلطة وذيولها على من يناوئهم ويعرض توجهاتهم ...وهذا بحد ذاته يعد ثباتًا ونجاحًا في تمثيل الهوية وصدق الرؤية وثبات الموقف.

التاريخ من أسفل.. الهامش والمُهمَّش ودمقرطة التاريخ

د. عبد الرحيم الحسناوي[1]

• **مقدمة**

التاريخ الشفوي هو كتابة تاريخية تعتمد بالأساس على المصادر الشفوية أو الذاكراتية (Les Source mémorielles) التي صارت تحتل مكانة بارزة من بين مصادر المؤرخين، كما أن أهميتها تكمن في سد ثغرات الوثائق الأرشيفية وفجواتها وملء بياضات التاريخ المكتوب وهي ليست بالقليلة. فعندما تغيب الوثائق المرتبطة بالحدث، أو عندما لا تعطي الوثيقة الجواب الشافي عندئذ إذن لا بد من جمع الشهادات من أفواه الرجال الذين شاركوا في الحدث أو عاصروه، فالإنسان الناطق (الشاهد) يحمل في نطقه وقوله دلائل على أن الكلمة شاهدة من بين شواهد ماضيه. الذاكرة المنطوقة هي في المقام الأول رصد شمولي للواقع.

تمثل التوطئة النظرية الواردة أعلاه في تصورنا مسوغًا إبستيمولوجيًا لفكرة انجاز هذه الورقة البحثية التي سنحاول فيها تسليط الضوء على تجربة التاريخ الشفوي في الغرب والقيمة المضافة التي أحدثتها بالنسبة للبحث التاريخي المعاصر ولاسيما من زاوية إبستيمولوجية.

1- أصول التاريخ الشفوي إضاءة تاريخية

لقد استند التاريخ حقا في بداياته إلى أقوال الشاهدين. لنتذكر هيرودوت (Hérodote) وتوسيديد (Thucydide)، فأعمالهما جمعت استخدام الرواية الشفوية من الرواة والمشاهدة العينية للأحداث من خلال الرحلات والبحث والتحقيق في البقايا والآثار، بالإضافة إلى ملاحظاتهم الشخصية حول بعض الأحداث المعاصرة لهم أو التي وقعت في فترة قريبة من زمنهم. أيضا كان المؤرخون الإخباريون (Chroniqueur) في العصور الوسطى قد استمروا في الاعتماد على المصادر الشفوية؛ إذ لم يكن أمامهم سوى الروايات الشفوية بوصفها مصدرا أساسيا للتأريخ لديهم، لذلك جاء اعتمادهم عليها وعلى مذكراتهم الشخصية وعلى روايات شهود العيان[2]. ولم تعد الكتابة تمثل "السند الوحيد للذاكرة إلا في وقت متأخر من العصر الوسيط حيث نمو المجتمعات الوثائقية الفيودالية ثم اختراع المطبعة وانتشار التعليم، حينئذ تراجعت مكانة المروي"[3].

وخلال القرنين السابع عشر والثامن عشر تراجع

(1) باحث في جامعة محمد الخامس، الرباط- المغرب.

(2) ديفيد هينج: التأريخ الشفوي، ترجمة ميلاد المقرحي، طرابلس، منشورات مركز دارسة جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1991، ص: 24.

(3) محمد حبيدة:"التاريخ الشفي"، ضمن كتاب من أجل تاريخ إشكالي، ترجمات مختارة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، 2004، ص: 105.

أيضا دور المصادر الشفوية، وأضحى الاعتماد على المصادر الوثائقية أساسا لكتابة التاريخ. وظهرت مقولة إن الوثائق مصادر أولية من الطراز الأول، وظل الجدل قائما بين المؤرخين حول قيمة التاريخ الشفوي، وهو الأمر الذي سيتواصل مع بدايات القرن التاسع عشر إذ أصبح التاريخ وهو يستوعب منجزات وتراكمات البحث العلمي الدقيق يتحدد كعلم قائم حصرا على ما هو مكتوب دون المروي، ومن المعروف أن شريحة عريضة من المؤرخين، ولاسيما أولئك المنتسبين إلى المدرسة الوضعانية (Ecole Positiviste) [1]، ظلت وحتى وقت قريب تؤكد على أهمية الوثيقة المكتوبة وأولويتها؛ بحيث رهنوا المعرفة التاريخية بها، فإذا ما ضاعت الوثيقة ضاع التاريخ. وعلى هذا الأساس يرفض التاريخ الوضعاني الاعتراف المصدر الشفوي كأساس بالنسبة للمعرفة التاريخية واصفا إياه بالتفاهة والهزل. فهو ليس"مجرد دليل آخر يجب الدفع به في معمل ضبط المؤرخ"[2]. ونتيجة لذلك، فإنه وعلى الرغم من أن المصادر الشفوية غالبا ما أدت دورا مهما في التواريخ المكتوبة، فإن دورها كان أقل مقارنة بالدلائل المستمدة من المستندات المكتوبة. وهكذا إذن بدت سيادة المصادر المكتوبة في ممارسات المؤرخين في الغرب. في حين ترك المصدر الشفوي للمجتمعات التي تفتقر إلى رصيد مكتوب[3]، والثقافة الشعبية أي ثقافة الناس العاديين، وهو مصطلح استخدم في البداية للدلالة على نوع مستهجن من الثقافة، فقد كان ينظر إليها في أوساط النخبة العالمة بشكل دوني. ومن خلال هذه الفكرة الأخيرة نستطيع أن نفهم لماذا تلك المكانة المتدنية التي كانت تحتلها بعض التخصصات الأخرى كالإثنولوجيا وربما أكثر من ذلك كما هو الشأن بالنسبة للفولكلور[4]. وعلى الرغم من ذلك، استمر البعض في جمع الشواهد على الهامش. ففي فرنسا مثلا يبرز مثال كل من فولتير (Voltaire) وجول ميشليه (Jules Michelet) وآخرون ، لكن من دون أن يخلق ذلك تيارا أو اتجاها قائما بذاته في ميدان التاريخ الشفوي[5].

"خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر تراجع أيضا دور المصادر الشفوية، وأضحى الاعتماد على المصادر الوثائقية أساسا لكتابة التاريخ."

وعلى الجانب الآخر، أي: العالم العربي والإسلامي اعتمد المؤرخون العرب والمسلمون بشكل واسع على المادة الشفوية، بل إن جزءا من التراث العربي المدون في ميادين علمية عديدة، كان تراثا شفويا قوامه التداول

(1)–دعت هذه المدرسة إلى اعتماد البحث العلمي في التاريخ، متجنبة أي تأمل فلسفي، وهادفة الموضوعية المطلقة في مجال التاريخ، وقد اعتقدت أن بإمكانها الوصول إلى أهدافها بتطبيق تقنيات دقيقة تتعلق بجمع المصادر، ونقد الوثائق، وتنظيم خطوات المهنة على قواعد منهجية أضحت تشكل ثوابت ودليل في مهنة المؤرخ وطريقة في العمل التاريخي ولاسيما بعد صدور كتاب "المدخل للدراسات التاريخية "الذي أضحى خطابا عالميا في المنهج التاريخي. للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى البيبليوغرافيا التالية:

-Charles Victor Langlois et Charles Seignobos, Introduction aux études historiques, Paris, Hachette, 1898. - Guy Bourdé et Hervé Martin, Les écoles historiques, Paris, Seuil, 1983.

(2)– لينذا شوبس: "ستة عقود من التاريخ الشفوي تأملات وقضايا ثابتة"، ضمن كتاب التاريخ الشفوي (المجلد الأول) مقاربات في المفاهيم والمنهج والخبرات، بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015، ص: 28.

(3) – أي المجتمعات غير الأوربية، وحول هذه الفكرة يمكن الرجوع إلى:

-Henri Moniot, «L'histoire des peuples sans histoire », in Jacques Le Goff & Pierre Nora (dir.), Faire de l'histoire, t. 1 : Nouveaux Problèmes, Paris, Gallimard, 1974, p.164.

(4) – محمد حبيدة:"التاريخ الشفي"، مرجع سابق، ص: 105.

(5) – المرجع نفسه، ص: 106.

والرواية الشفوية، وهناك إجماع على أن جل المحدثين والمؤرخين والإخباريين والأدباء والشعراء الأوائل كانوا قد استفادوا من المصادر الشفوية. فالبلاذري والطبري والمسعودي وابن خلدون مثلا يأتون على رأس المؤرخين المسلمين الأوائل الذين اعتمدوا بشكل كبير على الروايات الشفوية عند تأليف كتبهم[1].

ويرجع الفضل أيضا إلى العلماء المسلمين الذين قننوا قواعد علمية للاستفادة من الروايات الشفوية. حتى أصبحت تلك القواعد فيما بعد علوما مستقلة مثل علم الإسناد، وعلم الرجال، وعلم الجرح والتعديل، ومصطلح الحديث، زيادة على علم التاريخ الذي مثل مرحلة جديدة وحاسمة في كتابة التاريخ؛ إذ لم يعد التاريخ يقتصر على الخبر وحده، وإنما أصبح يفحص الخبر في حد ذاته، ويمثل هذه الاتجاه ابن خلدون الذي كان أول من دعا إلى ضرورة نقد الروايات والأخبار فاعتماد المؤرخ على مجرد النقل أي أخذ الرواية كما هي دون تثبت أو فحص من شأنه أن يؤدي إلى الوقوع في المغالط والزلات وبالتالي تحريف حقائق التاريخ.

شكلت الرواية الشفوية إذن إحدى أهم الوسائل الأساسية لتواصل عناصر موروثنا الحضاري بجوانبه الاعتقادية والثقافية والتقنية، فالقرآن والحديث كما هو معلوم لم يدونا كتابيا إلا بعد وفاة الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم-، كما أن أغلب العادات والتقاليد ومناقب الأولياء والكثير من القصص والروايات والأساطير المحلية تناقلتها الأجيال عبر العصور عن طريق التواتر الشفوي، ولم يتم تسجيلها كتابة إلا في وقت متأخر[2].

2- بعض التجارب في مجال التاريخ الشفوي

بدأ التاريخ الشفوي الحديث في الثلاثينيات من القرن العشرين بالولايات المتحدة الأمريكية. مع بحث ضخم أشرفت عليه السلطات الفيدرالية حول ذاكرة العبيد السود المسني،إذ تم تجميع وتسجيل ذكريات من بقي على قيد الحياة من قدماء العبيد، وخاصة في ولاية إنديانا (Indiana). أما استعمال كلمة تاريخ شفوي (Histoire orale)، فقد ظهر لأول مرة في مقال للأمريكي (Joe Gould) في "مجلة نيويورك" (New York) بتاريخ 12 ديسمبر 1942[3].

> **اعتمد المؤرخون العرب والمسلمون بشكل واسع على المادة الشفوية، بل إن جزءا من التراث العربي المدون في ميادين علمية عديدة، كان تراثا شفويا قوامه التداول والرواية الشفوية، وهناك إجماع على أن جل المحدثين والمؤرخين والإخباريين والأدباء والشعراء الأوائل كانوا قد استفادوا من المصادر الشفوية.**

وفي سنة 1948 أنشأ أحد الصحفيين وهو آلان نيفين(Allan Nevins)[4]، أول مركز للتاريخ الشفوي بجامعة كولومبيا بنيويورك، وقد أصدر هذا المركز سنة 1958 أول موسوعة مكتوبة ضمت

(1)- وجيه كوثراني: تاريخ التأريخ، اتجاهات، مدارس، مناهج، بيروت، منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012، ص: 60.

(2)-راجع مقالنا: "تدوين التاريخ عند العرب من البدايات إلى مقدمة ابن خلدون"، مجلة الرافد، العدد 175، دار الثقافة والإعلام حكومة الشارقة، 2012، ص: 15. انظر أيضا: عثمان موافي: منهج النقد التاريخي الإسلامي والمنهج الأوربي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1991. راجع أيضا: مسعود ضاهر: "منهجية التأريخ الشفوي والاستفادة منها عربيا"، مجلة عالم الفكر (عدد خاص بالوثيقة)، المجلد 36 ، يناير- مارس، 2008، ص: 53.

(3) -Joseph Goy, «Histoire orale», in Encyclopaedia Universalis, Corpus 9, édition 1985, p.373969-. Voir aussi : Philippe Joutard, «Historiens à vos micros! Le document oral, une nouvelle source pour l'histoire», revue L'Histoire, n°12, mai 1979., p. 106112-.

(4)- إن نشأة التاريخ الشفوي ترتبط بشكل مباشر بالصحفي والبيوغرافي آلان نيفين الذي واجه صعوبات جمة خلال جمع مادته المصدرية وهو يؤلف عمله البيوغرافي حول الرئيس Grover Cleveland.

حوالي 130.000 صفحة من الشهادات والحوارات التي كانت في البداية مسجلة شفويا، وحتى سنة 1960 بلغ عدد المستجوبين من طرف الباحثين في المركز حوالي 3500 شخص، وهو ما يماثل حوالي 15.000 ساعة مسجلة، وحوالي 425.000 صفحة مكتوبة[1]. وابتداء من سنة 1967 سيتم تأسيس "جمعية التاريخ الشفوي" American Oral History Association) A.O.H.A) التي كان الهدف منها هو تبادل المعلومات والخبرات بين العاملين في هذا الحقل المعرفي ولهذا الغرض كانت الجمعية تتولى سنويا تنظيم ندوة لبحث ومناقشة محور بذاته.

بدأ التاريخ الشفوي الحديث في الثلاثينيات من القرن العشرين بالولايات المتحدة الأمريكية. مع بحث ضخم أشرفت عليه السلطات الفيدرالية حول ذاكرة العبيد السود المسني،إذ تم تجميع وتسجيل ذكريات من بقي على قيد الحياة من قدماء العبيد.

وإلى جانب اهتمامه بالنخب أي علية القوم وأصحاب القرار وكبار رجال الأعمال[2]، اتجه التاريخ الشفوي خلال هذه المرحلة أيضا نحو المهمشين والمقصيين والأقليات العرقية، وبالتالي فهو يرتبط من جديد بالتاريخ السوسيولوجي لمدرسة شيكاغو (Chicago) التي قامت بتحقيقات ميدانية؛ (سرد حياة الهنود كما هو الشأن بالنسبة لقطاع الطرق) ، هذا بالإضافة إلى اندماجها بالبرنامج الإثنوغرافي المعلن من طرف الإدارة الفيدرالية خلال زمن النيوديل (New Deal).

انتقل الاهتمام بالتاريخ الشفوي بعد ذلك إلى جامعات أخرى داخل الولايات المتحدة الأمريكية على غرار تكساس، وبركلي، ولوس أنجلس، كما تعددت المراكز التي تم إحداثها لهذا الغرض حيث شهد عددها نموا تصاعديا، إذ انتقل من 89 سنة 1965 إلى 230 سنة 1971 ووصل إلى حوالي 316 سنة 1973[3]، وهي السنة نفسها التي شهدت إحداث "مجلة التاريخ الشفوي" (Oral History Riview).

وبالعودة إلى سنوات الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين، فإن العديد من الصحفيين ومن خلال تحقيقاتهم الميدانية وبواسطة المادة الشفوية التي تجمعت لديهم كتبوا أعمالا لقيت رواجًا كبيرًا بالنظر إلى استعمالها الواسع للسير الذاتية ومن أشهرها نجد مؤلف جذور لأليكس هيلي [4] (Alex Haley).

ورغم وجود عدة اتجاهات وتصورات تقود أعمال الباحثين داخل مراكز التاريخ الشفوي الأمريكية، فإن التيار السائد يبقي التاريخ الحدثي والذي ركزه رائد التاريخ الشفوي في الولايات المتحدة آلان نيفينس. فالأساس بالنسبة إليه هو إقرار الحدث

(1) – حبيب القزدغلي: "الأرشيف الشفوي مصدر إضافي للحفاظ على الذاكرة الوطنية"، المجلة العربية للأرشيف والتوثيق والمعلومات، السنة الثانية، العددان 3–4، أكتوبر/ تشرين الأول 1998، ص: 179.

(2)– شكل تيار كولومبيا نموذجا لذلك حيث نجده يهتم بالطبقة العليا في المجتمع، وقد مثل هذا الاتجاه آلان نفينس الذي خصص دراسة حول عائلة روكفيلير المشهورة انطلاقا من روايات شفهية بالدرجة الأولى.

(3) – Philippe Joutard, «Historiens à vos micros! Le document oral, une nouvelle source pour l'histoire», op.cit., p. 309.

(4)– أليكس هيلي Alex Haley (1921م – 1992م). كاتب أمريكي حصل على الشهرة بسبب كتابه الجذور (قصة عائلة أمريكية سوداء) سنة 1976. جمع في هذا الكتاب بين الحقائق والخيال في سرده لتاريخ أسرته بدءًا من منتصف القرن الثامن عشر الميلادي في إفريقيا. يعرض الكتاب قصة كونتا كينتي Kunta Kinte أحد أجداد هيلي الذي خطف من غامبيا عام 1767م، وبيع في أمريكا عبدًا. ويتابع الكتاب نضال عائلة هيلي عبيدًا ثم أحرارًا. أمضى هيلي اثنتي عشرة سنة وهو يبحث عن جذوره. وقد ذاع صيته بعد أن أصبح كتابه مسلسلاً تلفزيًا في حلقات تم عرضها عام 1977، في الولايات المتحدة الأمريكية ثم في بقية أقطار العالم.

وتسليط الأضواء على الظروف التاريخية التي أحاطت به والسياق العام لتطوره. ومن هنا يمكن أن نفهم أيضا الاهتمام اللافت للانتباه بالرواية الشفوية والعودة إليها في إطار ما سماه البعض بعودة الحدث.

ومن أهم البلدان التي اهتم باحثوها بالتاريخ الشفوي بعد الولايات المتحدة، نجد كندا وخاصة جامعة لافال (Laval) بمقاطعة كيبيك[1] (Québec)وجامعة منكتون (Moncton) بمقاطعة نيوبرينشويك (Nouveau-Brunswick) ضمن مركز الدراسات الأكاديمية[2]. وقد تجمع المهتمون بالتاريخ الشفوي في كندا ضمن "جمعية التاريخ الشفوي"[3] (Canadian Oral History Association C.O.H.A). ويمكن القول بأن توجه البحث في مجال التاريخ الشفوي في كندا لم يكن ليختلف كثيرا عن نظيره الأمريكي نظرا لتشابه المنطلقات والبيئة الحضارية.

وفي أوربا وتحديدا في أواخر الستينيات من القرن العشرين، انتقل الاهتمام بالمصادر الشفوية إلى الجامعات البريطانية. إلا أننا نلاحظ تمايزا وخصوصية بالنسبة لمراكز التاريخ الشفوي في بريطانيا؛ ذلك أن مقاربة الباحثين الانجليز في هذا المجال تقوم على إيلاء أهمية خاصة للبعد الاجتماعي والتحولات التي تطرأ في حياة مجموعات العمال في المدن والأرياف. ومن أكبر مراكز التاريخ الشفوي في بريطانيا، المركز التابع لجامعة (Essex) ومن أشهر الباحثين نذكر بول تومبسون Paul Thompson الذي برز من خلال بحثه حول المجتمع البريطاني في عهد إدوارد السابع(Édouard VII)[4] حيث اعتمد إعداد هذا الكتاب بصورة أساسية على الرواية الشفوية إذ تم استجواب حوالي 500 شخص عاشوا خلال عهد ادوارد السابع. ويبرز تحليل المعطيات الشفوية مميزات المجتمع من حيث اختلاف المواقف داخل المجموعات التي تتكون منها الطبقة العمالية بالارتباط مع الوضع المهني والمستوى الثقافي[5]. ويعتبر أيضا كتابه "صوت الماضي. التاريخ الشفوي"[6] مرجعا أساسيا بالنسبة للمهتمين بالتاريخ الشفوي. وقد ذهب بول تومبسون في هذا العمل بعيدا حينما رأى في التاريخ الشفوي وسيلة لإحداث تغيير جوهري في دور التاريخ ومعناه. فالوظيفة المنوطة بالتاريخ الشفوي تبقى برأيه هي دمقرطة التاريخ، وذلك عبر إعادة الكلمة للمهمشين والمحجوبين عن التاريخ[7].

"انتقل الإهتمام بالمصادر الشفوية في أواخر الستينيات من القرن العشرين في أوروبا إلى الجامعات البريطانية."

(1) -Bogumil Jewsiewicki, (éd.,). Récits de vie et mémoires : vers une anthropologie historique du souvenir, Québec/Paris, Safi Presse/L'Harmattan, 1985.

(2) -Ronald Labelle, Histoire orale : communications du 2e colloque d'histoire orale en Atlantique/Oral History : Papers from the 2nd Atlantic Oral History Conference, Moncton, Centre d'études acadiennes, 1981.

(3)- تتولى هذه الجمعية إصدار مجلة Forum التي تعنى بالتاريخ الشفوي، للمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى الموقع الالكتروني التالي:
.http://www.oralhistoryforum.ca/index.php/ohf/issue/view/19 consulté le 24 mars 2013

(4) -Paul Thompson, The Edwardians: the remaking of British society, London, 1975.

(5) -Paul Thompson, «L'histoire orale en Grande Bretagne», Bulletin de l'IHTP, n°2 , décembre 1980, p. 913-. Voir aussi : Philippe Joutard, «Historiens à vos micros! Le document oral, une nouvelle source pour l'histoire», op.cit., p. 310.

(6)-Paul Thompson, The voice of the past: oral history, Oxford: Oxford University Press, 1978.

(7) - Hélène Wallenborn, « Les attitudes de l'historien face aux témoins », Bulletin de liaison des adhérents de l'AFAS [En ligne], Archives des Sonorités, URL : http://afas.revues.org/2421 consulté le 22 mars 2013.

أما في فرنسا، فإن الاهتمام بالتاريخ الشفوي جاء متأخرا مقارنة بالولايات المتحدة الأمريكية وكندا وبريطانيا، إذ تعود الانطلاقة الفعلية للعديد من المراكز المختصة في هذا المجال (جامعات ليون، ستراسبورغ، بروفانس، باريس...) إلى النصف الثاني من سبعينيات القرن العشرين. ومهما يكن من أمر هذا التأثر المتأخر للمدرسة الفرنسية بالمدرسة الأنجلوساكسونية، فإن الأمر يتعلق من الناحية المعرفية والمنهجية بتوجه تاريخي كشف، في مرحلة أولى عن رصيد الثقافات غير المكتوبة في أمريكا وأستراليا وإفريقيا، لينتقل في مرحلة ثانية إلى الثقافات المكتوبة في مجتمعات أوربا الغربية على وجه الخصوص، ويبرز بالتالي جوانب هامة من تاريخ الحياة الاجتماعية.

ولم يعد بمقدور المؤرخين الفرنسيين أن يبقوا على هامش تلك الدينامية، إذ سرعان ما تنبه هؤلاء إلى أهمية التاريخ الشفوي باعتباره تاريخا آتيا من القاع هدفه الأساسي هو التبئير على عموم الناس وبسطائهم ومهمشيهم. وثانيا من شأن ذلك التاريخ أن يسد فراغات الإستطوغرافيا الوطنية وبياضاتها[1]. ويعود الفضل في هذه الانطلاقة إلى عالم الاجتماع دنيال برتـــو[2] (Daniel Bertaux) الذي أفضت مبادراته إلى تأسيس وحدة البحث حول المقاربات البيوغرافية في السوسيولوجيا. وعقب ذلك حدثت طفرة نوعية لسير الحياة والمذكرات والسير الذاتية.

طفرة واكبتها وسائل إعلام واسعة الانتشار وهو ما جعل تاريخ اليومي والمعيش يلقى رواجا لافتا[3].

ومن جهة أخرى، فإن التطور الملحوظ الذي حققه التاريخ الشفوي بفرنسا قد أثار بعض الردود والمقاومات بل وحتى بعض الانتقادات التي سلطت الضوء على منهجية التاريخ الشفوي وأهدافه. فهل يتعلق الأمر إذن بخلق تخصص أخر؟. إن مختلف الإشكاليات الابستيمولوجية التي تثار نظريا بالنسبة للتاريخ الشفوي ستكون محل اهتمام من طرف مجلة "الحوليات: اقتصاديات، مجتمعات، حضارات" سنة 1980.

"الاهتمام بالتاريخ الشفوي في فرنسا جاء متأخرا مقارنة بالولايات المتحدة الأمريكية وكندا وبريطانيا، إذ تعود الانطلاقة الفعلية للعديد من المراكز المختصة في هذا المجال (جامعات ليون، ستراسبورغ، بروفانس، باريس...) إلى النصف الثاني من سبعينيات القرن العشرين."

كان ذلك من خلال إصدار عدد تحت عنوان: "الأرشيفات الشفوية: تاريخ آخر"[4]. وفي الواقع، فإن عبارة "التاريخ الشفوي" لا يمكنها تحديد مجال، وإنما تحديد منهجية بحث تستحق بدورها أن تحدد بالنسبة للتاريخ الشفوي. وبالرغم من التقدم الملحوظ الذي أحرزه التاريخ الشفوي في فرنسا، فإن ذلك لا

(1)– تبرز هنا وعلى سبيل المثال تجربة فيليب جوتار الذي أعاد ومن خلال اهتمامه بالمصادر الشفوية وخاصة قصص الثورات والمقاومات الريفية تركيب الذاكرة الجماعية لمقاومة البروتستانت والكلفانيين. انظر:

-Philippe Joutard, La légende des camisards : une sensibilité au passé, Paris, Gallimard, 1977. Et du même auteur : Ces voix qui nous viennent du passé, Paris, Hachette, 1983.

(2) -Daniel Bertaux, Histoire de vies ou récits de pratiques? Méthodologie de l'approche biographique en sciences sociales, Paris, Cordes, 1976.

(3) -Florence Descamps, «Histoire orale», in Christian Delacroix, François Dosse, Patrick Garcia, Nicolas Offenstadt, (dir.), Historiographies, II. Concepts et débats, Paris, Gallimard 2010, p.392.

(4) - « Archives Orales, une autre histoire », (Editorial) Annales E.S.C., n° 1 janvier-février 1980. Et Histoire orale ou archives orales ? Rapport d'activités sur la constitution d'archives orales pour l'histoire de la Sécurité Sociale, Paris, Association pour l'histoire de la Sécurité Sociale, 1980.

ينم عن اتجاه سائد أو موقف موحد تجاه التاريخ الشفوي، كما أنه ليس هناك إجماع على اعتباره مادة مستقلة لها أساليبها ومناهجها الخاصة. وبحسب ما ورد عند المؤرخ الفرنسي فيليب جوتار (Philippe Joutard) يمكن توزيع الباحثين الفرنسيين في مجال التاريخ الشفوي إلى ثلاثة تيارات[1]:

• تيار يقترب من الاتجاه السائد في الولايات المتحدة، وهو يسعى لتجميع- عن طريق إجراء حوارات- معلومات وأحداث لم توثقها المصادر المكتوبة. إن الهدف الرئيس بالنسبة لأصحاب هذا التيار هو تكوين أرشيف شفوي مكمل للأرشيف المكتوب. وإذا كان هذا التيار يقر بالإضافات التي تقدمها الرواية الشفوية، فإنه يؤكد في الوقت نفسه على محدودية التاريخ الشفوي كميدان مستقل للبحث ويرى فيه فقط مصدرا إضافيا يمكن للمؤرخين اعتماده في دراساتهم. ومن أبرز ممثلي هذا التيار دومينيك آرون شنابر وقد تجلى ذك في أبحاثه حول الضمان الاجتماعي[2].

• تيار الذاكرة العمالية (Mémoire ouvrière) ويعد هذا التيار امتدادا للتحولات الاجتماعية والفكرية التي شهدتها فرنسا عقب أحداث ماي 1968. وهو ينطلق من تسجيل السير الشخصية للوصول إلى إبراز ذاكرة جماعية لطبقة معينة (الطبقة العاملة)، والتأكيد من خلال ذلك على اكتمال وعيها الاجتماعي والسياسي. إن اللجوء للذاكرة الجماعية يصبح عامل وحدة وانسجام تستند إليه وتتحصن وراءه طبقة اجتماعية مهددة في وجودها من جراء التحولات الهيكلية التي تشهدها المجتمعات ما بعد الصناعية. ونجد هذا التيار خاصة في مركز "بيير ليون" (Pierre Léon) التابع لجامعة ليون (Lyon)[3] وضمن هذا التوجه يمكن وضع الأعمال المهتمة بتاريخ الحركة النسائية[4] وتلك المتخصصة في دراسة الأقليات الدينية والعرقية مثل الأبحاث حول الأقليات اليهودية[5] والأرمينية.

• الاتجاه الثالث لا يسعى فقط للاكتفاء بالنصوص الحاصلة من خلال الحوارات الشفوية بل يعمل أيضا على إثرائها بكل ما يتم العثور عليه لدى المستجوبين وغيرهم داخل نفس المنطقة الجغرافية من نصوص أخرى (أغاني، مراسلات، مذكرات...). والهدف من هذه العملية هو الإلمام بالتصور أو الخطاب (Discours) الذي تقدمه مجموعة معينة عن نفسها والعلاقة التي تربطها بماضيها. هذا التوجه يميز أبحاث المركز التابع لجامعة ايكس- أن- بروفانس Aix-en-Provence والذي نشطه طيلة عدة سنوات كل من جون كلود بوفي (Jean-Claude Bouvier) وفيليب جوتار (Philippe Joutard) وجون نويل بيلين[6] (Jean-Noël Pelen).

(1) - Philippe Joutard, « L'oral comme objet de recherche en histoire », Bulletin de liaison des adhérents de l'AFAS [En ligne], Les phonothèques entre recherche et culture, L'oral et la recherche en sciences humaines et sociales, mis en ligne le 12 avril 2012, consulté le 23 octobre 2015. URL : http://afas.revues.org/2683 consulté le 202013/04/.

(2) -Dominique Aron-Schnapper, «L'Application de la méthode des archives orales à l'histoire de la Sécurité Sociale : essai d'une typologie des discours », dans Colloque sur l'Histoire de la Sécurité Sociale, 1978, pp. 1629-. (avec D. Hanet et al.). Voir aussi : Danièle Voldman, «Le témoignage dans l'histoire française du temps présent», en ligne http://www.ihtp.cnrs.fr/spip.php?article472&lang=fr consulté le 122012/03/

(3) -Yves Lequin et Jean Métral «Une mémoire collective: les métallurgistes retraités de Givors», Annales E.S.C, n°1, janvier-février 1980,p. 149166-.

(4) -Danièle Voldman, «De la méthode, des histoires et des femmes», in Vingtième Siècle, Revue d'histoire, N°2, avril, 1984, p. 188120-.

(5) -Lucette Valensi et Nathan Wachtel, Mémoires juives, collection Archives, Paris, Gallimard-Julliard, 1986.

(6) - «Un projet régional de recherche sur les ethno- textes», Annales E.S.C., janvier-février 1980, 35, 1, p. 176182-. Voir aussi : Jean-Claude Bouvier, Henry-Paul Brémondy, Philippe Joutard, Mathieu Guy, Jean-Noël Pelen, Tradition orale et identité culturelle, problèmes et méthodes, Marseille, Ed. du CNRS, 1980.

• على سبيل الختام

وفي نهاية تحليل هذه الورقة البحثية، يمكن القول إن التاريخ الشفوي يعد بلا شك إثراء للذاكرة الجماعية، إلا أن الارتقاء بهذه التجربة إلى نسق أعمق وأرفع منزلة، لا يمكن أن يتم إلا بربطها ببرامج البحوث التي يتم انجازها من طرف الباحثين ولاسيما المؤرخين منهم. وبطبيعة الحال فإن تطور الإقبال على استعمال الأرشيف الشفوي من قبل هؤلاء سيبقى رهينا بمدى تعريف القائمين والساهرين على وحدة التاريخ الشفوي بالرصيد الذي تم تجميعه وبمدى اقتناع الباحثين بأهمية المساهمة التي يمكن أن يقدمها الأرشيف الشفوي في إعادة تركيب أحداث الماضي وإعانة الباحث في الإجابة على التساؤلات والإشكاليات التي تطرحها التجارب الإنسانية السابقة والتي بقدر ما يفك المؤرخ من رموزها، فإنه يضمن حظوظا أوفر لفهم الحاضر واستجلاء دروب المستقبل.

• المراجع المعتمدة

• بالعربية

– حبيدة محمد: "التاريخ الشفوي"، ضمن كتاب من أجل تاريخ إشكالي، ترجمات مختارة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، 2004.

– الحسناوي عبد الرحيم: "تدوين التاريخ عند العرب من البدايات إلى مقدمة ابن خلدون"، مجلة الرافد، العدد 175، دار الثقافة والإعلام حكومة الشارقة، 2012.

– شوبس ليندا: "ستة عقود من التاريخ الشفوي تأملات وقضايا ثابتة"، ضمن كتاب التاريخ الشفوي (المجلد الأول) مقاربات في المفاهيم والمنهج والخبرات، بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015.

– ضاهر مسعود: "منهجية التأريخ الشفوي والاستفادة منها عربيا"، مجلة عالم الفكر (عدد خاص بالوثيقة)، المجلد 36 ، يناير– مارس، 2008.

– القزدغلي حبيب: "الأرشيف الشفوي مصدر إضافي للحفاظ على الذاكرة الوطنية"، المجلة العربية للأرشيف والتوثيق والمعلومات، السنة الثانية، العددان 3–4، أكتوبر/ تشرين الأول 1998.

– كوثراني وجيه: تاريخ التأريخ، اتجاهات، مدارس، مناهج، بيروت، منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012.

– موافي عثمان: منهج النقد التاريخي الإسلامي والمنهج الأوربي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1991.

– هينج ديفيد: التأريخ الشفوي، ترجمة ميلاد المقرحي، طرابلس، منشورات مركز دارسة جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1991.

• بالأجنبية

-ARON-SCHNAPPER Domminique, «L'Application de la méthode des archives orales à l'histoire de la Sécurité Sociale : essai d'une typologie des discours », dans Colloque sur l'Histoire de la Sécurité Sociale, 1978.

- BERTAUX Daniel, Histoire de vies ou récits de pratiques? Méthodologie de l'approche biographique en sciences sociales, Paris, Cordes, 1976.

- BOURDE Guy et MARTIN Hervé, Les écoles historique Paris, Seuil, 1983.

, «Historiens à vos micros! Le document oral, une nouvelle source pour l'histoire», revue L'Histoire, n°12, mai 1979.

, La légende des camisards : une sensibilité au passé, Paris, Gallimard, 1977. Et du même auteur : Ces voix qui nous viennent du passé, Paris, Hachette, 1983.

- LABELLE Ronald, Histoire orale : communications du 2e colloque d'histoire orale en Atlantique/Oral History : Papers from the 2nd Atlantic Oral History Conference, Moncton, Centre d'études acadiennes, 1981.

- LANGLOIS Charles Victor et SEIGNOBOS Charles, Introduction aux études historiques, paris, Hachette, 1898.

- MONIOT Henri, «L'histoire des peuples sans histoire », in Jacques Le Goff & Pierre Nora (dir.), Faire de l'histoire, t. 1 : Nouveaux Problèmes, Paris, Gallimard, 1974.

- THOMPSON Paul, «L'histoire orale en Grande Bretagne», Bulletin de l'IHTP, n°2 , décembre 1980.

, The Edwardians: the remaking of British society, London, 1975.

, The voice of the past: oral history, Oxford: Oxford University Press, 1978.

- VOLDMAN Danièle, «De la méthode,

- BOUVIER Jean-Claude, BRÈMONDY Henry-Paul, JOUTARD Philippe, GUY Mathieu, PELEN Jean-Noël, Tradition orale et identité culturelle, problèmes et méthodes, Marseille, Ed. du CNRS, 1980.

- Danièle Voldman, «Le témoignage dans l'histoire française du temps présent», en ligne http://www.ihtp.cnrs.fr/spip.php?article472&lang=fr consulté le 122012/03/

- DESCAMPS Florence, «Histoire orale», in Christian Delacroix, François Dosse, Patrick Garcia, Nicolas Offenstadt, (dir.), Historiographies, II. Concepts et débats, Paris, Gallimard 2010, p.392.

- JEWSIEWICKI Bogumil, (éd.,). Récits de vie et mémoires : vers une anthropologie historique du souvenir, Québec/Paris, Safi Presse/ L'Harmattan, 1985.

- JOUTARD Philippe, « L'oral comme objet de recherche en histoire », Bulletin de liaison des adhérents de l'AFAS [En ligne], Les phonothèques entre recherche et culture, L'oral et la recherche en sciences humaines et sociales, mis en ligne le 12 avril 2012, consulté le 23 octobre 2015. URL : http://afas.revues.org/2683 consulté le 202013/04/.

Sonorités, URL : http://afas.revues.org/2421
consulté le 22 mars 2013.
- Yves Lequin et Jean Métral «Une mémoire collective: les métallurgistes retraités de Givors», Annales E.S.C, n°1, janvier-février 1980.
des histoires et des femmes», in Vingtième Siècle, Revue d'histoire, N°2, avril, 1984.
- WALLENBORN Hélène, « Les attitudes de l'historien face aux témoins », Bulletin de liaison des adhérents de l'AFAS [En ligne], Archives des

الآفاق المستقبلية للحد من مشكلة التصحر في العراق

الأستاذ الدكتور
عبدالناصر صبري شاهر الراوي [1]

الأستاذ المساعد الدكتور
كمال محمد جاسم العاني [2]

تُعدّ مشكلة التصحر من بين أبرز المشكلات التي تعاني منها مناطق واسعة من العالم، وتشتد خطورة المشكلة في المناطق الواقعة تحت ظروف مناخية جافة، أو شبه جافة ولاسيما الوطن العربي الذي تسوده مساحات واسعة من الصحاري.

وتكمن خطورة مشكلة التصحر في تدني إنتاجية الأراضي الصالحة للزراعة التي تنعكس على الأمن الغذائي، وتتجلى ظاهرة التصحر في العراق في ارتفاع نسبة الملوحة في التربة، ولاسيما أراضي السهل الرسوبي، وتدهور الغطاء النباتي، وزحف الكثبان الرملية المتحركة في بعض مناطق العراق.

وتجدر الإشارة إلى أن تدهور خصائص التربة، وتدهور الحياة النباتية والحيوانية، ونقص المياه وتقلص مساحة الأراضي الزراعية ونقص الثروة المائية، وتدهور نوعيتها وارتفاع نسبة الملوحة فيها، فضلًا عن الاستخدام الرديء للأرض زاد من المساحات التي تغطيها الصحاري لتشكل(60 %)من مساحة العراق.

وليس خافيًا أن مشكلة التصحر لها انعكاسات بيئية واجتماعية واقتصادية، أبرزها : إفراغ المناطق الريفية من السكان وهجرتهم باتجاه المدن، الأمر الذي يسهم في زيادة نسبة التصحر من جهة، ومن جهة أخرى تضخم المدن وتفاقم المشكلات الحضرية التي تعاني منها أغلب مدن العراق.

وجاء هذا البحث لتسليط الضوء على مشكلة التصحر في العراق، وتحليل العوامل الطبيعية، والبشرية التي أسهمت في تفاقمها وتحديد المناطق التي تتعرض لظاهرة التصحر، ومن ثم تقديم رؤية علمية ووضع إستراتيجية يمكن من خلالها الحد من هذه الظاهرة التي باتت تهدد الأمن الغذائي للسكان، فضلًا عن انعكاساتها الاقتصادية والاجتماعية والبيئية.

• مفهوم التصحر:

يقصد بالتصحر حدوث تغير سلبي في توازن خصائص التربة في منطقة ما، نتيجة تداخل مجموعة من العوامل الطبيعية والبشرية التي تؤدي إلى تدهور مستمر للتربة وبما يفقدها بعض خواصها[3]، ويجعلها تتصف بصفات الأراضي الصحراوية.

(1) جامعة الأنبار، كلية التربية للعلوم الإنسانية، العراق.
(2) جامعة الأنبار، كلية التربية للعلوم الإنسانية، العراق.
(3) علي حمزة الجوذري، التصحر، الطبعة الأولى، 2016م، الدار المنهجية للنشر والتوزيع، ص 85.

خصائص الصحاري:

تتسم الأراضي الصحراوية ببعض الخصائص والصفات التي تجعل الأرض تفقد مقاومتها لعوامل التعرية أهمها[1]:

1- نقص المياه في المناطق الصحراوية يقلل من رطوبة التربة.

2- فقدان الأراضي الطبقة السطحية من الترب الغنية بالعناصر الغذائية، وهي طبقة الطين والغرين تاركة الرمال التي اخذت تغطي مساحات واسعة.

3- انقطاع الأمطار في فصل الربيع يؤدي إلى انخفاض النشاط البايولوجي في التربة، ويحول المادة (الدبالية) إلى مادة ملحية ويسهم في تفاقم مشكلة التصحر.

4- قلة الغطاء النباتي يزيد من فاعلية عوامل التعرية.

5- انتشار الرمال التي تغطي مناطق واسعة وسط الأراضي الزراعية.

6- تكرار ظاهرة العواصف الترابية، وتراكم الغبار على المناطق الريفية والمناطق الحضرية.

إن تدهور خصائص التربة، وتدهور الحياة النباتية والحيوانية، ونقص المياه وتقلص مساحة الأراضي الزراعية ونقص الثروة المائية، وتدهور نوعيتها وارتفاع نسبة الملوحة فيها، فضلًا عن الاستخدام الرديء للأرض زاد من المساحات التي تغطيها الصحاري لتشكل(60 %)من مساحة العراق.

العوامل المؤثرة في ظاهرة التصحر في العراق:

تشترك جملة من العوامل الطبيعية والبشرية التي أسهمت في تفاقم ظاهرة التصحر في العراق، وفي ما يأتي سنقدم جملة من الأسباب التي تؤدي إلى تفاقم الظاهرة وزيادة نسبتها في العراق[2]:

أولًا: التغير المناخي

لا شك أن أغلب العوامل الطبيعية التي أدت إلى تفاقم ظاهرة التصحر ترتبط بالتغير المناخي الذي زاد فترات الجفاف، والتي انعكست بدورها على طبيعة التربة، وأغلب المحاصيل الزراعية نتيجة لارتفاع معدلات درجات الحرارة وقلة تساقط الأمطار وندرتها، وشهدت السنوات الأخيرة في العراق ارتفاع معدلات درجة الحرارة بشكل كبير[3]، ومن خلال نتائج أحد البحوث الذي تناول درجات الحرارة في(15)مدينة عراقية في المدة(1965-2015م) إلى أن درجات الحرارة، في الليل والنهار، واصلت الارتفاع على مدى (50)سنة، كما لاحظ أن درجات الحرارة في شمال العراق ترتفع بوتيرة أسرع من سائر المناطق، ما يعني أن شمال العراق مهدد أكثر من بقية أجزائه بخطر التغير المناخي.

ومن خلال مقارنة مناخ العراق مع دول أخرى لاحظ أن ارتفاع درجات الحرارة في العراق يعادل ضعفين إلى سبعة أضعاف الارتفاع المسجل عالميًا، والذي كان(0.15)درجة كل عقد منذ العام(1970م)، حيث إن هذا الارتفاع بلغ في العراق ما بين(0.48 و1.03)درجة في العقد الواحد وصولًا إلى(2.92 و10.69) درجة في العقد، وارتفعت درجات الحرارة في الصيف أكثر مما في الشتاء.

إن هذا الارتفاع في درجات الحرارة له انعكاسات سلبية على البيئة، أبرزها ارتفاع معدلات التبخر

(1) د. محمد صبري محسوب سليم، الجغرافية الطبيعية، 1996م، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ص112.

(2) د. سلطان جاسم النصراوي، التغير المناخي في العراق: مشكلة مركبة بحاجة إلى حل، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة كربلاء (uokerbala.edu.iq).

(3) قصي فاضل الحسني، مؤشرات التغير المناخي وبعض آثاره البيئية في العراق، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2012م.

السنوي، الذي ارتبط بشكل كبير بعامل الحرارة وتأثيرها على عناصر المناخ الأخرى، كحركة الرياح والإشعاع الشمسي، والتي تزيد من مجموع التبخر السنوي الذي يعدّ من أعلى المعدلات في العالم، فمجموع التبخر السنوي في محطات وسط وجنوب العراق تتراوح بين(4575)ملم في محطة الحي و(2912)ملم في محطة خانقين.

وهي أيضا مرتفعة في المحطات الشمالية، فهي تتراوح بين(2702)ملم في محطة زاخو، و(2256) في السليمانية للمدة من(1966-1990م)، لذلك فإن ارتفاع معدلات التبخر جعل التربة غير قادرة على الاحتفاظ بالماء، ولاسيما المناطق التي تعاني من قلة المياه مما يؤدي إلى تراكم الأملاح في التربة، فضلًا عن تأثيره السلبي على الثروة الحيوانية وتأثيره الضار على الإنتاج الزراعي.

إن أغلب العوامل الطبيعية التي أدت إلى تفاقم ظاهرة التصحر ترتبط بالتغير المناخي الذي زاد فترات الجفاف، والتي انعكست بدورها على طبيعة التربة، وأغلب المحاصيل الزراعية نتيجة لارتفاع معدلات درجات الحرارة وقلة تساقط الأمطار وندرتها، وشهدت السنوات الأخيرة في العراق ارتفاع معدلات درجة الحرارة بشكل كبير.

ومن خلال مراجعة معدلات تساقط الأمطار تبين وجود انخفاض كبير في معدل المجموع السنوي للأمطار في السنوات الأخيرة مقارنة مع السنوات الأربعين الماضية، ومما يلاحظ أن موسم الأمطار(2020-2021م) هو الموسم الأكثر جفافًا في الأربعين عامًا الأخيرة، مما تسبب في تناقص حاد في تدفق المياه في نهري دجلة والفرات بلغت نسبته(29% و 73%)على التوالي. إذ يظهر تأثير التغيرات المناخية العالمية كالاحتباس الحراري وظاهرة النينو التي تسببت بارتفاع درجات الحرارة، وتغير نطاقات الضغط الجوي الذي كان له انعكاسات سلبية على مناطق واسعة من العالم من ضمنها العراق.

ثانيًا: قلة الموارد المائية

من المعلوم أن الموارد المائية في العراق تأتي من ثلاث مصادر، وهي: الأمطار، والمياه السطحية المتمثلة بمياه نهري دجلة والفرات وروافدهما، والجداول التي تتفرع عنهما والبحيرات، فضلًا عن المياه الجوفية، وقد تمت الإشارة إلى أن الاحتباس الحراري وظاهرة النينو أسهمت بتكرار حالات الجفاف نتيجة انخفاض معدلات المجموع السنوي للأمطار في العراق[1].

وليس خافيًا أن العراق يفقد القسم الأعظم من مصادر مياهه السطحية، فبعد أن كان التصريف المائي للمياه الداخلة عن طريق نهر الفرات من تركيا وسوريا بحدود (30) مليار متر مكعب خلال سبعينات القرن الماضي، إلا أنه انخفض إلى (9.5) مليار متر مكعب سنة (2021م) نتيجة قيام كل من تركيا وسوريا ببناء السدود، فضلًا عن سياسة التوسع بالمشاريع الإروائية على حساب حصة العراق المائية[2].

أما التصريف المائي لنهر دجلة كان بحدود

(1) نهاد خضير كاظم الكناني، تحليل زماني ومكاني لخصائص الأمطار الساقطة وسلاسلها الزمنية في العراق للتنبؤ بسنوات الجفاف، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، 2005م.

(2) Wolf, A. T., and Newton J., "Case Study of Transboundary Dispute Resolution: the Tigris-Euphrates basin", Appendix: C of the book on Transboundary Dispute Resolution by the same authors, Oregon State University; Institute of water and watersheds 2008 Last visited 20 April 2018.

(20.5) مليار متر مكعب، وانخفض إلى (9.7) مليار متر مكعب سنة (2021م)، وهذا بسبب بناء سد (اليسو) من قبل تركيا. أما إيران فقد قامت بتجفيف العديد من الأنهارالعراقية، مما تسبب في هجرة السكان باتجاه المدن، وحصل تغيير في النظام الحياتي والبيئي لعشرات القرى على امتداد الحدود العراقية الإيرانية.

ويمتلك العراق عددًا من البحيرات والمشاريع الإروائية، إلا أنها تعرضت لانخفاض شديد وانحسار مياهها إذ نجد أن بحيرة الرزازة التي تقع بين محافظتي الأنبار وكربلاء وتبلغ مساحتها (1800) كيلومتر مربع فقدت ما يقرب (90٪) من مساحتها، أما الخزين المائي في بحيرة سد الموصل انخفض إلى(20%) كذلك الحال بالنسبة لبحيرة سد حديثة وبحيرة الحبانية.

ولابد من الإشارة إلى أن أغلب الموارد المائية المستخدمة في الزراعة ترتفع فيها نسبة الملوحة بما فيها مياه الأنهار، ولاسيما مياه نهر الفرات الذي ارتفعت فيه نسبة الملوحة بمعدلات عالية فضلًا عن مياه الآبار المستخدمة في الري، والتي ترتفع فيها نسبة الملوحة وتتفاوت نسبتها من منطقة لأخرى، لذلك تعرضت مساحات واسعة من الأراضي إلى مشكلة التملح.

ومن خلال ما أسلفنا فإن شحة المياه وندرتها سواء كان في ما يخص قلة معدلات سقوط الأمطار، أو ما يخص قلة مناسيب المياه السطحية التي تسببت في توقف النشاط الزراعي في مساحات شاسعة، وتقلص المساحات الزراعية التي تحولت إلى مناطق صحراوية.

ثالثًا: عوامل التعرية

تعد عمليات التعرية التي تتعرض لها الطبقة الخارجية من سطح الأرض عملية طبيعية ،تنتج بسبب عوامل التعرية المختلفة، والتي بدورها إلى نقل التربة السطحية من مكان إلى آخر، ومن المعلوم أن هذه التربة السطحية تحتوي على أعلى نسبة من المواد العضوية، والأكثر ملائمة للزراعة والأنشطة الخصبة الأخرى؛ لذلك فإن تعرية التربة يمكن أن يكون لها أكبر تأثير على الأراضي الزراعية

وجدير بالذكر أن تآكل التربة تتم ببطء؛ إلا أنها تتسارع مع اشتداد عمليات التعرية كحركة الرياح، أو المياه، أو من خلال استخدامات الإنسان للأرض كحراثة الأراضي الزراعية، أو قيام المشروعات المختلفة، وتعمل التعرية الريحية على رفع الترب وفصلها ونقلها إلى مسافات بعيدة، ثم تقوم بترسيبها في أماكن أخرى، كما تشتد التعرية المائية أثناء هطول الأمطار الغزيرة، وتشكل المسيلات المائية التي تعمل على تآكل التربة وجرفها، حيث يبدأ الماء في تهشيم التربة وتشتيت المواد التي تتكون منها.

يمتلك العراق عددًا من البحيرات والمشاريع الإروائية، إلا أنها تعرضت لانخفاض شديد وانحسار مياهها إذ نجد أن بحيرة الرزازة التي تقع بين محافظتي الأنبار وكربلاء وتبلغ مساحتها (1800) كيلومتر مربع فقدت ما يقرب (90٪) من مساحتها، أما الخزين المائي في بحيرة سد الموصل انخفض إلى(20%) كذلك الحال بالنسبة لبحيرة سد حديثة وبحيرة الحبانية.

غالبًا ما يؤثر جريان مياه الأمطار على المواد الخفيفة، مثل الطمي والمواد العضوية، وجزيئات الرمل الدقيقة، أما عند هطول الأمطار الغزيرة

وتكوين السيول التي تعمل على نقل مختلف المفتتات والحصى وحتى الصخور الكبيرة داخل الأودية[1].

ويبدو أن فقدان التربة السطحية من أكبر آثار التعرية لما لها من انعكاسات على خصوبة التربة بعدها الطبقة الغنية بالمواد العضوية، وأن زوالها سيسبب أضرارًا عديدة للمحاصيل الزراعية.

وتعاني قسم من مناطق العراق من زحف الكثبان الرملية، وزيادة مساحاتها على الأراضي الزراعية، نتيجة التعرية الريحية واشتداد حركة العواصف الترابية التي زادت معدلاتها السنوية في السنوات الأخيرة، فضلًا عن التوسع العمراني على الأراضي الزراعية أو بالقرب منها.

رابعًا: العوامل البشرية

تعود أغلب العوامل البشرية المؤثرة في تفاقم ظاهرة التصحر إلى الأساليب والاستخدامات الخاطئة التي يمارسها الإنسان في بيئته وتتمثل في ما يأتي:

1- النشاط الزراعي

لا شك أن العمليات الزراعية سواء بسبب إهمال الأراضي الزراعية بسبب نقص المياه وعدم الإرواء أو بسبب زيادة ري الأراضي الزراعية فالحالتين يدمر الأرض الزراعية، كما أن الحراثة والأساليب البدائية لها آثار سلبية على الأراضي[2]، كما أن عزوف الفلاح العراقي عن مهنة الزراعة وبحثه عن مهن أخرى أكثر راحة وتحوله من منتج إلى مستهلك للمحاصيل الزراعية أسهم في تقليل المساحات الزراعية.

2- قطع الأشجار وإزالة الغابات

تعد عملية إزالة الغابات من أهم أسباب التصحر، ففي مناطق شمال العراق تلعب الأشجار والغابات دورًا كبيرًا في تثبيت التربة؛ لكون أغلب المناطق متضرسة، وقد تم إزالة مساحات واسعة من الغابات بسبب التوسع في استخدامات الأرض المختلفة، كما تلعب الحرائق دورًا مهما في جرف التربة وتصحر الأراضي، وذلك لتعريتها من كسائها النباتي مما يجعل تلك الأراضي عرضة لأشعة الشمس ومؤثرات الرياح والأمطار، فضلًا عن الآثار البيئية لإزالة كل شجرة.

تعاني قسم من مناطق العراق من زحف الكثبان الرملية، وزيادة مساحاتها على الأراضي الزراعية، نتيجة التعرية الريحية واشتداد حركة العواصف الترابية التي زادت معدلاتها السنوية في السنوات الأخيرة، فضلًا عن التوسع العمراني على الأراضي الزراعية أو بالقرب منها.

كما أن الحرائق التي تتعرض لها الغابات في شمال العراق، وعمليات التجريف بسبب العمليات العسكرية... تعمل على إتلاف الكائنات الحية التي تعيش في التربة، والتي تعد العنصر الأساس لإنتاج المواد العضوية الموجودة بالتربة، والتي تسهم في زيادة خصوبة التربة.

3- التوسع العمراني

أسهم توسع المدن والامتدادات الحضرية على محاور الطرق الرئيسة إلى تحويل مساحات واسعة من الأراضي الزراعية إلى دور سكن، ومصانع ومواقع سياحية، واستخدامات خدمية مما تسبب في قلة الأراضي الصالحة للزراعة، مع غياب الرقابة

(1) حسن أبو سمور وعلي غانم، مدخل إلى علم الجغرافية الطبيعية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1998م، ص141.
(2) أسامة حسين شعبان، التصحر، دراسة تطبيقية من منظور جغرافي، دار الفجر للنشر، 2011م، ص 18.

الحكومية على هذا التصرف في جميع المحافظات العراقية، بما فيها العاصمة بغداد حيث تحولت بساتين النخيل والمساحات الزراعية المهمة إلى مناطق سكنية.

4- التلوث البيئي

تتسبب مياه الصرف الصحي سواء منزلية المصدر، أو الصناعية منها، أو المطرية بالعديد من المشكلات البيئية، إذ نجد أن أنابيب الصرف الصحي الثقيلة على امتداد نهر الفرات في سوريا والعراق تصب بشكل مباشر في النهر، كذلك الحال في نهر دجلة وروافده في معظم المحافظات العراقية، وليس خافيًا أن العاصمة العراقية تعد أكبر مصدر لتلوث نهر دجلة إذ توجد فيها(18)محطة لتصريف المياه الثقيلة إلى نهر دجلة، دون معالجة في مجرى النهر بمعدل(700)ألف متر مكعب في اليوم.

> **أسهم توسع المدن والامتدادات الحضرية على محاور الطرق الرئيسة إلى تحويل مساحات واسعة من الأراضي الزراعية إلى دور سكن، ومصانع ومواقع سياحية، واستخدامات خدمية مما تسبب في قلة الأراضي الصالحة للزراعة، مع غياب الرقابة الحكومية على هذا التصرف في جميع المحافظات العراقية، بما فيها العاصمة بغداد حيث تحولت بساتين النخيل والمساحات الزراعية المهمة إلى مناطق سكنية.**

ولا شك أن تلوث مياه الأنهار له انعكاسات سلبية وضارة على الحياة النباتية والحيوانية والبشرية، فضلًا عن ارتفاع نسبة الأملاح في المياه، كما أسهمت السدود والخزانات التي تم إنشائها على نهري دجلة والفرات في العراق وتركيا وسوريا في زيادة كمية ونوعية الأملاح في المياه، كما أن تقدم مياه الخليج العربي المالحة في شط العرب نتيجة لانخفاض المناسيب أدى إلى زيادة نسبة الملوحة في مياهه.

لابد من الإشارة إلى أن الأمطار الحمضية، والضباب الدخاني، والمياه الملوثة تعمل على تلف سطح الأرض؛ لأن مياه السقي الملوثة والغازات الملوثة تتسرب مباشرة إلى الأرض وتعمل على تغيير خصائص التربة من جهة، ومن جهة أخرى يكون تأثير هذه الملوثات على المحاصيل الزراعية بشكل مباشر، فتعمل على إتلافها، أو إحداث تغيير في طبيعة النمو، والإنتاج الزراعي.

درجات التصحر في الأراضي الزراعية في العراق:

استنادًا إلى مقررات المؤتمر العالمي للتصحر الذي انعقد في كينيا (نيروبي)سنة (1977م)، والذي صنف التصحر إلى أربع مراتب سيتم تصنيف التصحر في العراق إلى أربعة أصناف[1]، وهي:

1- التصحر الطفيف

يتمثل في التلف البسيط الذي يحدث للأرض الزراعية نتيجة فعل الإنسان، ومن دون تأثيرات العوامل الطبيعية، ويسود هذا النوع من التصحر مساحات واسعة من الأراضي الزراعية نتيجة الأساليب البدائية المستخدمة في الزراعة، ولاسيما طريقة الري السيحي التي تزيد من ملوحة التربة، وتشمل الأراضي التي تعاني من التصحر الخفيف أغلب محافظات وسط العراق نتيجة الفعاليات الزراعية التي مورست لسنوات طويلة، وفي ضل أساليب أروائية بدائية، وغياب نظام فعال للصرف انعكس على إنتاجية التربة، وجعل أراضي الرافدين تعاني من مشكلة الملوحة التي تفاوتت حدتها من

(1) عبد محور الريحاني، ظاهرة التصحر في العراق آثارها في استثمار الموارد الطبيعية في العراق، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، 1986م، ص23-24.

مكان لآخر.

وقد أسهم مشروع المصب العام في معالجة مساحات واسعة من أراضي السهل الرسوبي في عام (1992م)؛ إلا أن سوء الإدارة ونقص مناسيب المياه في الأنهار، وارتفاع نسبة الأملاح فيها انتشر التملح في محافظات الأنبار وديالى وصلاح الدين، فضلًا عن محافظات الفرات الأسط والمحافظات الجنوبية، وفي بغداد (29500) دونم وما يتبين لنا الانتشار الواسع والخطير لمشكلة التملح في أفضل المناطق الزراعية في العراق

2- التصحر المتوسط

يشمل الأراضي التي يكون تلفها متوسط نتيجة لتعرضها إلى التملح، أو نتيجة زحف الكثبان الرملية تغطي الأقسام الواطئة المنبسطة في جنوب السهل الرسوبي في محافظات ميسان وذي قار والبصرة، كما تظهر في المحافظات الوسطى من العراق في بعض المناطق التي تتسم بقلة انحدارها، وبعدها عن كتوف الأنهار، وانعدام التصريف فضلًا عن ارتفاع المياه الجوفية واحتوائها على كلوريد الصوديوم؛ لذلك تتعرض هذه الترب للانغمار فترات طويلة من السنة وتصبح الأراضي غدقه، وتتخللها المستنقعات وتظهر الطبقات الملحية على السطح.

3- التصحر الشديد

يتمثل في التلف الشديد للأراضي التي تعرضت لعوامل التعرية الشديدة التي أنهكت الأرض ؛ نتيجة الاستغلال الخاطئ من خلال قطع الأشجار للاستخدامات المختلفة، فضلًا عن الحرائق التي أسهمت في تقليص مساحة الغابات وتصحر أراضيها، كما فعلت عوامل التعرية المائية والريحية في تصحر الأراضي في مناطق الهضبة الغربية؛ نتيجة تعرية التربة ونقلها إلى مناطق أخرى.

كما تعاني مناطق واسعة من السهل الرسوبي من تغدق التربة، والمستنقعات التي نمت حولها القصب، وبعض النباتات غير النافعة التي جعلت التربة تعاني من تصحر شديد.

4- التصحر الشديد جدًا

يتمثل في الأراضي التي تعرضت فيها التربة إلى جفاف شديد، مما يجعل الكثبان الرملية تكون على شكل تلال، بحيث تتحول الأرض إلى صحراء جافة لا تصلح للنشاط الزراعي، كما تنعدم فيها الحياة النباتية والحيوانية.

ومن خلال ملاحظة الخريطة (1)، أن المناطق الشديدة التصحر تتوزع في مناطق مختلفة من العراق، علما أن مساحاتها أخذت بالاتساع، إذ تسود هذه المناطق الكثبان الرملية التي تنتشر في محافظات صلاح الدين والأنبار وديالى، فضلًا عن المحافظات الجنوبية، إذ تنتشر الرمال في الهضبة الغربية في محافظة الأنبار بسبب التعرية الريحية التي تشتد نتيجة الجفاف، وقلة الغطاء النباتي حيث تظهر الكثبان الرملية في بعض المناطق، ولاسيما المناطق القريبة من الطريق السريع إلى الأردن وسوريا، كما تظهر الكثبان الرملية عند الطريق الرابط بين مدينة حديثة ومدينة بيجي، وتزداد حدتها بالقرب من منطقة الصينية وتمتد حتى شمال مدينة بيجي، كما تغطي الرمال مساحات محدودة في المناطق المحاذية للطريق الرابط بين مدينة تكريت ومدينة كركوك.. وفي محافظة ديالى تظهر الكثبان الرملية بالقرب من مدينة المقدادية وتظهر الكثبان بامتداد طولي أو هلالي.

كما تظهر الكثبان الرملية في محافظة بابل بالقرب من المصب العام، أما في محافظة القادسية تظهر الكثبان الرملية المتحركة قرب الطريق الرابط بين

البدير ونفر وعفك، كما تظهر الرمال المتحركة في محافظة ذي قار في ناحية البدير والمناطق المحاذية للمصب العام، وتظهر الرمال المتحركة في مناطق متفرقة من محافظة واسط، ولاسيما مناطق النعمانية والموفقية، أما في محافظة البصرة فنجد أن الرمال تغطي مساحات واسعة من البادية الجنوبية، كما تنتشر الكثبان الرملية في صحاري محافظة المثنى ومحافظة كربلاء.

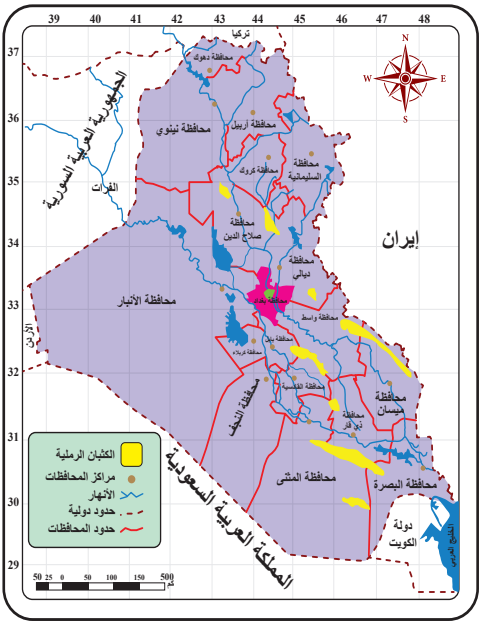
• الآثـــار الاقتصاديـــة والاجتماعيـة لمشكلة التصحر في العراق:

بالنظر لخطورة ظاهرة التصحر لما تعكسه من آثار تدميرية على الحياة النباتية والحيوانية فقد جاء اهتمام الأمم المتحدة من خلال العديد من مؤتمراتها التي انصبت على البيئة وتدهورها، وارتباط ذلك بالأمن الغذائي، وعدم قدرة البلدان التي تعاني من التصحر من إنتاج الغذاء الكافي للسكان، ونبهت إلى الآثار السلبية على الاحتياطات الغذائية، وتجارة الأغذية في العالم.

ومن بين أبرز الآثار الاقتصادية للتصحر على الاقتصاد العراقي نقص الإنتاج الزراعي نتيجة تقلص المساحات الزراعية من جهة، ومن جهة أخرى انخفاض إنتاجية الأرض نتيجة تملح التربة وتدهور خصوبتها، ومن المعلوم أن مساحة الأراضي الزراعية في العراق بحدود (42) مليون دونم، إلا أن المساحة المستخدمة في النشاط الزراعي لا تتعدى (14) مليون منها (6) مليون تستغل في الزراعة الديمية، وتقدر نسبة مساهمة الإنتاج الزراعي في تحقيق الأمن الغذائي بمقدار لا يزيد عن(30%)كمعدل للسلع الزراعية المختلفة، مما يدل أن العراق يعاني من عجز كبيريهدد أمنه الغذائي، ويتطلب استيراد كميات كبيرة لسد تلك الفجوة وما تعكسه من آثارًا سلبية على أمنه السياسي والاقتصادي.

خريطة (1)

التوزيع الجغرافي للكثبان الرملية في العراق



المصدر: عبد الله سالم المالكي، جغرافية العراق، مطابع جامعة البصرة، البصرة، 2007م، ص 81.

كما أن التصحر سيعكس آثاره السلبية على التنمية الاقتصادية، لما يسبب مشاكل اقتصادية تعمل بدورها على تفاقم التدهور البيئي، لذلك لا يمكن الفصل بين حالة البيئة وحالة الاقتصاد؛ لكون العلاقة طردية بينهما.

وتتجلى الآثار السلبية لظاهرة التصحر على الجوانب الاجتماعية بوضوح، من خلال تزايد هجرة سكان الريف والبوادي نحو المدن؛ نتيجة لانخفاض إنتاجية الأرض بسبب التعرية وتملح الأرض، فضلًا عن الجفاف ونقص المياه.ولا يخفى أن للهجرة آثار سلبية على الريف تتمثل في تقلص المساحات

الزراعية ونقص الإنتاج الزراعي.

أما الآثار السلبية للهجرة الريفية على المدن فإنها ستؤدي إلى تفاقم المشكلات الحضرية، نتيجة زيادة عدد سكان المدن بمعدلات نمو عالية، الأمر الذي يؤدي إلى زيادة الضغط على الخدمات التي تقدمها المدن لسكانها،كما ينتج عن الهجرة الريفية إلى المدن الكثير من المشاكل الاجتماعية، أبرزها ظهور مدن الصفيح على أطراف المدن، وامتداد الأحياء الفقيرة حول المنطقة التجارية المركزية، وازدياد عدد العاطلين عن العمل وارتفاع معدلات الجريمة والفقر.....إلخ.

• إستراتيجية مكافحة التصحر في العراق:

تتطلب مكافحة التصحر إستراتيجية تتضمن مجموعة من السياسات والبرامج التي يمكن من خلالها محاربة التصحر في العراق، ويمكن أن تعتمد في مكافحة التصحر في الوطن العربي والعالم:

أولًا: إعداد الدراسات ووضع الخطط

لا شك أن مكافحة مشكلة التصحر تتطلب إعداد خطة وطنية متكاملة تشترك فيها الجهات الحكومية ذات العلاقة، فضلًا وبالتعاون مع بعض المنظمات العالمية الساندة كمنظمة الأسكوا، أومنظمة الغذاء العالمي (الفاو)، أوبرنامج الأمم المتحدة للبيئة «يونيب»، وتتطلب العملية دراسة واسعة لأبعاد الظاهرة وطرق معالجتها والمشاريع التي يمكن تنفيذها لضمان تحقيق التنمية وفق إستراتيجية وطنية شاملة لحماية البيئة ومكافحة التصحر في عموم مناطق العراق.

ويتطلب إعداد الخطة القيام بمسح بيئي شامل لكافة المناطق التي تعاني من مشكلة التصحر سواء في المناطق الصحراوية، أو في المناطق الزراعية أو المناطق الحضرية، كما ينبغي الاستفادة من تقنيات التحسس النائي لمراقبة التصحر.

"التصحر سيعكس آثاره السلبية على التنمية الاقتصادية، لما يسبب مشاكل اقتصادية تعمل بدورها على تفاقم التدهور البيئي، لذلك لا يمكن الفصل بين حالة البيئة وحالة الاقتصاد؛ لكون العلاقة طردية بينهما.

وتتجلى الآثار السلبية لظاهرة التصحر على الجوانب الاجتماعية بوضوح، من خلال تزايد هجرة سكان الريف والبوادي نحو المدن؛ نتيجة لانخفاض إنتاجية الأرض بسبب التعرية وتملح الأرض، فضلًا عن الجفاف ونقص المياه.ولا يخفى أن للهجرة آثار سلبية على الريف تتمثل في تقلص المساحات الزراعية ونقص الإنتاج الزراعي."

ثانيًا: تشريع القوانين

أن التدهور المستمر في البيئة الطبيعية جعل العالم يدرك خطورة الاعتداء الذي يقترفه الإنسان على الطبيعة نتيجة الاستخدام المفرط للموارد فضلًا عن الاستمرار في استخدام الأساليب البدائية في العمليات الإنتاجية في مناطق واسعة من العالم وما ينتج عنه من تلوث بيئي فضلًا عن زيادة نسبة التصحرالأمر الذي زاد من اهتمام المجتمع الدولي بتلك المشكلة التي تجاوزت الحدود السياسية للدول وشغلت حماية البيئة حيزًامهما من اهتمام المنظمات الدولية.

وقد أدرك المجتمع الدولي مدى الخطورة الكامنة في ما تتعرض له البيئة من أشكال الانتهاك والتلوث والتصحر، ومن ثم كان التحرك على مستوى التنظيم

الدولي من خلال تفعيل دور المنظمات الدولية في تحديد الأضرار التي تحدق بالبيئة، أما على مستوى الدول فنجد أن كل دولة وضعت مجموعة من القوانين التي من خلالها يمكن أن تحمي بيئتها الطبيعية.

ومن أهم القوانين السارية في العراق قانون حماية وتحسين البيئة رقم(27) لسنة(2009م) الخاص بحماية الأراضي والموارد المائية والبيئة بشكل عام، و لأجل مكافحة التصحر لابد من تشريع القوانين التي تؤمن حماية الأرض الزراعية من الزحف العمراني وامتداد العشوائي للاستخدامات السكنية والخدمية في المناطق الريفية، ولاسيما المناطق القريبة من المدن ومحاور الطرق الرئيسة، فضلًا عن الاستخدامات الأخرى المسببة للتصحر،وتفعيل القوانين الرادعة لقطع الأشجار، وتجريف الغابات والرعي الجائر، وحماية الموارد المائية من التلوث.

ثالثًا: صيانة التربة

هنالك العديد من السياسات والوسائل الخاصة بصيانة التربة إذ تختلف السياسات باختلاف طبيعة الأرض، ونوع المشكلة التي تعاني منها التربة، إذ يمكن استخدام التشجير كأفضل وسيلة فعالة لحماية التربة في المناطق الصحراوية، والمناطق المتموجة للحد من آثار التعرية الريحية والمائية، كما يمكن استخدام عملية التشجير كإحدى الوسائل لتثبيت الكثبان الرملية، فضلًا عن دورها في تحسين خصائص التربة، وزيادة خصوبتها حيث تعمل الأشجار التي يتم زراعتها على شكل صفوف لكي تكون كمصدات للرياح.

كما أن الحراثة الكنتورية تُعدّ من بين الوسائل المهمة لتثبيت التربة، والحفاظ عليها من الانجراف في المناطق الجبلية والمناطق المتموجة، وهذه الحراثة معروفة منذ القدم حيث يقوم الفلاحون بتدريج سفح الجبل، لإيجاد مساحات لاستخدامها في الزراعة.

أما في الأراضي التي تعاني من التغدق نتيجة سوء الصرف، وارتفاع نسبة الملوحة، فتبدأ معالجة الترب المتملحة من خلال المصارف التي تسهم في عمليات غسل التربة، وفي هذا الصدد لابد من الاهتمام بنهر المصب العام وتطوير عمله؛ لأجل تخليص ترب السهل الرسوبي من التغدق والأملاح المتراكمة، كما ينبغي تجفيف السبخات، وتقنين المياه المستخدمة في عمليات الري حتى ينخفض منسوب المياه الجوفية التي تعد سببًا رئيسًا للتغدق.

أما الأراضي التي تعاني تربتها من فقدان بعض خواصها بالشكل الذي يؤثر على خصوبتها وقلة إنتاجيتها، لابد من مساعدة الفلاحين في الحصول على الأسمدة التي تعيد للتربة خصوبتها.

رابعًا: إدارة الموارد المائية

نظرًا لما يعاني بلدنا من شحة مائية، ومن المتوقع زيادة خطورتها في المستقبل نتيجة السياسات العدوانية التي تتبعها دول الجوار، فضلًا عن التغيرات المناخية التي عكست آثارها السلبية على المنطقة والعالم، لابد من نهج سياسات مسؤولة لحماية الأمن المائي، إذ تتطلب المرحلة وضع خطة محكمة وشاملة لإدارة المياه، وتأمين كافة الاحتياجات الزراعية والصناعية والبلدية، وتشتمل الخطة على العناصر الآتية:

1- العمل الدبلوماسي

لأجل ضمان حقوق العراق لابد من المطالبة بحصة العراق المائية في مياه نهر دجلة والفرات وروافدهما من دول الجوار وفقًا لمقررات القانون الدولي، ومن خلال التواصل مع المنظمات الدولية واستخدام كافة

الوسائل بغية الضغط على الدول ذات العلاقة (تركيا وايران وسوريا)؛ لأجل تأمين حق العراق في المياه.

لأجل مكافحة التصحر لابد من تشريع القوانين التي تؤمن حماية الأرض الزراعية من الزحف العمراني وامتداد العشوائي للاستخدامات السكنية والخدمية في المناطق الريفية، ولاسيما المناطق القريبة من المدن ومحاور الطرق الرئيسة، فضلًا عن الاستخدامات الأخرى المسببة للتصحر،وتفعيل القوانين الرادعة لقطع الأشجار، وتجريف الغابات والرعي الجائر، وحماية الموارد المائية من التلوث.

2- الجانب القانوني

ضرورة اعتماد القوانين الخاصة بإدارة الموارد المائية؛ لضمان تنفيذ الخطط اللازمة لحماية المياه ، سواء في مجال الاستخدام ونوع الاستخدام وتوزيع الحصص المائية، أو في مجال حماية الموارد المائية من التلوث والهدر، وبما يمكن من تنفيذ السياسات المائية وضمان تحقيق الأمن المائي.

3- ترشيد استهلاك المياه

مشكلة شحة المياه تتطلب من الجميع الزامية ترشيد استهلاك المياه، وبما أن قطاع الزراعة يمثل القطاع الأكثر استهلاكًا للمياه في العراق، لابد من اتباع سياسات صارمة في مجال الأساليب المتبعة في الري بغية التقنين والتحول من الري السيحي إلى اعتماد الوسائل المتقدمة :كنظم الري المحوري ، وأسلوب التنقيط التي أسهمت في زيادة إنتاجية الأرض، وتقليل آثار الملوحة.

4- حماية المياه من التلوث

لأجل المحافظة على نوعية المياه الجارية في دجلة والفرات وروافدهما، وحمايتها من التلوث ينبغي عزل مياه الصرف الصحي ومياه المبازل عن الأنهار والروافد، ومعالجتها قبل وصولها للأنهار، كما ينبغي مطالبة سوريا وإيران بمعالجة مياه الصرف الصحي للمدن قبل جريانها إلى نهر الفرات، كذلك الحال بالنسبة للمدن والقصبات العراقية التي تطرح مياه الصرف الصحي إلى الأنهار بدون معالجة.

5- استخدام التقنيات الحديثة

بالنظر للجفاف الذي يعاني منه العراق وقلة الموارد المائية لابد من اعتماد التقنيات الحديثة للمحافظة على الموارد المائية وزيادتها، ومن أهم الوسائل التي يمكن استخدامها:

أ- الاستمطار الصناعي للسحب: غالبًا ما نشاهد السحب تمر في أجواء العراق ولم يحدث التساقط لذلك لابد من اللجوء إلى استخدام أسراب من الطائرات التي تقوم بعملية الاستمطار من خلال المكثفات التي يتم رشها داخل الغيوم وتعمل على سقوط الأمطار.

ب-حصاد مياه الأمطار والسيول: وتتم من خلال عمل السداد على منطق مختارة على امتداد الأودية وسط الصحراء وبما يمكن من عمل بحيرات تستخدم مياهها عن الحاجة.

ج- تحلية المياه المالحة: من خلال إنشاء محطات تحلية مياه المبازل أو مياه شط العرب.

خامسًا: الإعلام

ينبغي استخدام وسائل الإعلام المختلفة، فضلًا عن الجامعات والمدارس والجمعيات والنقابات لإطلاق حملات توعية للسكان حول خطورة ظاهرة التصحر، وما تعكسه من آثار سلبية على الحياة ومستقبل الأجيال، وتشجيعهم على حماية الأشجار سواء في المناطق الحضرية، أو في المناطق الريفية،

وتوعية الفلاحين بضرورة زراعة الأشجار لتكون على شكل أحزمة لحماية مزارعهم، وتوجيههم باتباع أفضل الطرق في التعامل مع الأراضي الزراعية، والحفاظ على الموارد المائية، وتوعية الرعاة بأهمية الحفاظ على المراعي لديمومتها وتجدد نمو النباتات في المراعي.

سادسًا: برامج تثبيت الكثبان الرملية

لأجل الحد من آثار ومخاطر الكثبان الرملية لابد من اتباع أساليب وإجراءات مختلفة ،كطريقة التثبيت الميكانيكي التي تتم من خلال رش الكثبان بالنفط الأسود ليكون طبقة عازلة للحد من آثار الرياح على الرمال كما تستخدم أغصان الأشجار وجريد النخيل لتشكل حاجز يعمل على رفع مستوى الرياح عن سطح الرمال بغية منعها من الحركة باتجاه الأراضي الزراعية، وتعد عملية زراعة الكثبان الرملية من أنجع الطرق للحد من آثار الكثبان الرملية، إذ تتطلب انتقاء نباتات ذات قدرة على النمو في ضل الظروف الصحراوية القاسية كأشجار الأثل والاكاسيا.

• الخاتمة

من خلال عرض وتحليل ظاهرة التصحر تبين أن هذه الظاهرة تسود مناطق واسعة من العالم، وتسود مساحات واسعة من الوطن العربي والعراق، وتعزى بالنظر للجفاف الذي يعاني منه العراق وقلة الموارد المائية لابد من اعتماد التقنيات الحديثة للمحافظة على الموارد المائية وزيادتها

أسبابها إلى جملة من العوامل الطبيعية والبشرية، أهمها: التغيرات المناخية، وشحة المياه نتيجة السياسات المائية للدول المجاورة للعراق والأحداث السياسية والأمنية التي انعكست على النشاط الزراعي وتدهور البيئة، كما ظهر من خلال التحليل وجود تباين في درجة التصحر، وتم تصنيف مناطق العراق بحسب درجة التصحر إلى أربعة أصناف.

ونظرًا لخطورة الظاهرة وانعكاساتها السلبية باعتبارها مصدر تهديد دائم للبيئة، والأمن الغذائي، ولحاضر السكان ومستقبلهم تم وضع إستراتيجية تضمنت سياسات وبرامج يمكن اعتمادها للحد من آثار التصحر وحماية الأراضي الزراعية، فضلًا عن ضمان الأمن المائي والغذائي لسكان العراق.

ملف العدد: الخطر الإيراني على العراق والمنطقة

الخطر الإيراني على العراق
شواهده وآثاره

د. ثامر العلواني[1]

إن الحديث عن الخطر الإيراني لم يكن وليد العقدين الماضيين؛ وإنما على مر العصور كان خطر الدولة المختلفة في إيران (بلاد فارس) يهدد ويداهم العرب والمسلمين. ولم يتوقف هذا الخطر؛ إلا أنه يزداد وينقص بحسب قوة الدولة في إيران وضعفها؛ وأنشطتها في المنطقة؛ فعندما جاء الإسلام ازداد خطر (الدولة الفارسية) على المسلمين وشنت المعارك تلوى الأخرى ضدهم، وكان فتح العراق نقلة نوعية كبيرة لصالح المسلمين ضد الفرس؛ لأن الحُدود الطبيعيَّة ما بين الدولة الإسلاميَّة الفتية، والفُرس بدأت بفتوحات العراق. وكان النصر في غالبه حليفا للمسلمين إلى أن فتحت بلاد فارس كلها.

ثم تحول الخطر إلى الجماعات الباطنية التي أخذت تنخر جسد الأمة من الداخل، فكانت بلاد فارس مرتعا للفرق الباطنية التي أضرت بالأمة والدولة من الداخل حتى أنهكتها، وصولا إلى الدولة الصفوية وخطرها الكبير ثم الجمهورية (الإسلامية) الإيرانية.

ولن نخوض كثيرًا في التاريخ لإثبات الخطر الإيراني في القرون الماضية، ولكن الخطر الإيراني على العراق والدولة الإسلامية لم يتوقف وما نراه اليوم من تغول إيران وميليشياتها وأذرعها في الدول الإسلامية والعربية هو امتداد للمشروع الصفوي الدموي الذي يحمل الأفكار الهدامة التي تتستر وتخبئ خبثها بحب (آل البيت) -رضي الله عنهم-؛ ولذلك فالحديث عن خطر المشروع الإيراني من ضرورة الوقت حتى لا ينخدع أحد بالكلام المعسول؛ ولا سيما أن خطر إيران على المنطقة وشعوبها يكبر يوما بعد آخر لامتلاكها المال والخطاب المزدوج الذي يتحالف مع الغرب سرا وعلانية واعترافات بعض قادتها بمساعدة أمريكا في احتلال العراق باتت تملأ الأسماع وهي ظاهرة على الملأ، فضلًا عن استخدامها العنف والقتل وسفك الدماء وسائل لتوسيع نفوذها في المنطقة؛ ولأن بلدي العراق أصبح ضحية الخطر الإيراني أحببت أن أضع بين أيديكم أبرز معالم الخطر الإيراني على العراق، وإلى أي مرحلة خطيرة وصلت.

أولًا: حقيقة الصراع الأمريكي الصهيوني الإيراني

كما تعلمون فإن نظام الحكم في إيران يخضع

(1) دكتوراه في الأديان والمذاهب، ومقرر القسم السياسي في هيئة علماء المسلمين.

لفكرة (ولاية الفقيه) التي أقرها الخميني، و(الولي الفقيه) الآن هو (علي خامنئي) فالنظام في إيران يخضع لرؤية هذا الشخص أو من سيأتي بعده، والدستور الإيراني ينص في مادته الخامسة على أن: ولاية الأمة في ظل استتار الإمام الغائب تؤول إلى أعدل وأتقى وأعلم رجل في الأمة ليدير شؤون البلاد؛ فمرشد الثورة هو الذي يحتل منصب ولاية الفقيه، وقد منحه الدستور الإيراني السيادة السياسية والدينية، ويعد أعلى سلطة في البلاد، وهو من يعلن الحرب والسلم وصلاحياته واسعة جدا. ومعلوم أن إيران هي صاحبة فكرة تصدير الثورة إلى الدول العربية والإسلامية، وإرغام الناس عليها وهذا ما يحصل في العراق.

وربما انخدع بعضهم بشعارات النظام الإيراني التي تظهر العداء لأمريكا والكيان الصهيوني والغرب؛ ولكن الحقيقة خلاف ذلك؛ وألفت الانتباه هنا إلى قضيتين مهمتين في هذا الجانب، يمكن من خلالهما فهم الصورة الكاملة.

الأولى: ما أكده عدد من الدارسين بعد دراسة مستفيضة في المناهج التعليمية والتربوية في المدارس الإيرانية؛ تؤكد أن إيران في مناهجها التعليمية تجسد العرب بالعدو الأبدي لها وليس الكيان الصهيوني ولا الغرب، وتجعل صراعها مع العرب عسكريا وجغرافيا وأمنيا؛ بل إنها توسع الصراع حتى يشمل الجانب التربوي والثقافي، ويؤكد العتوم أن إيران في مناهجها الدراسية تشوه صورة الإنسان العربي وتصفه بأبشع الأوصاف، مع الانحياز إلى القومية (الفارسية)، وتنسجم مناهجها مع الثورة وتوجهاتها المذهبية[1].

فهل يا ترى هناك خطط إستراتيجية فاعلة لمواجهة هذا التثقيف، وهل هناك مطالبات من الدول العربية لإيران بإعادة النظر في مناهجها العدائية ضد العرب. ولماذا هذا الصمت الغريب على هذه السياسية المنهجية المضرة بعلاقات إيران مع جيرانها العرب. إذن خلاصة ما يخرج به الطالب الإيراني من حصيلة عن العرب هو: أن معتقداتهم خطأ، وثقافتهم بائسة، وأنهم العدو الأبدي للفرس وإيران.

ثانيًا: تعاون أمريكا والكيان الصهيوني مع إيران في حقبة الخميني:

كانت الثورة الإيرانية ترفع شعار معاداة الشيطان الأكبر وتحرير القدس، ومن يتابع الحرب الإعلامية بين إيران وأمريكا والكيان الصهيوني سيتصور للوهلة الأولى أن هناك عداءً وصراعًا محتدمًا بينهم، وعزز هذا التصور احتلال السفارة الأمريكية في طهران وأزمة الرهائن، والحصار الجزئي الأمريكي على إيران، ويمكن أن يُعذر أصحاب هذا التصور قبل احتلال العراق وأفغانستان، بسبب الخلافات بين الطرفين أو أن المؤشرات تذهب بهذا الاتجاه، ولكن في العقدين الأخيرين أظهرت الدلائل والشواهد العملية الكثيرة، أن هناك تعاونًا مشتركًا بين هذه الأطراف الثلاثة وتخادم واضح بينها، وإذا قورن هذا التعاون مع القضايا الخلافية سيترجح بما لا يقبل الشك أن العلاقات بين هذه الأطراف وطيدة وممتدة[2]، ومن الدلائل على ذلك:

ما جاء على لسان شاه إيران الأخير (محمد رضا بهلوي) في مذكراته؛ حيث ذكر: إنه في أوائل يناير (كانون ثاني) 1979م، وصلني خبر مفاجئ أن الجنرال هويزر نائب قائد القوات المسلحة الأمريكية موجود في طهران منذ عدة أيام، وهو

(1) من هؤلاء على سبيل المثال: الدكتور نبيل العتوم.

(2) انظر: بحث أوضاع الفلسطينيين في العراق بعد (2003م)، د. ثامر العلواني، مجلة حضارة العدد 26: 145.

لا يزور طهران أو يلتقي بي إلا لمسائل هامة، ولكنها كانت زيارة سرية ولا علم لي بها، وعندما استفسرت من قادة الجيش تبين أنهم لا يعلمون بالزيارة أيضا، وفي هذا الوقت ذكرت الصحف السوفيتية أن الجنرال هويزر في العاصمة الإيرانية طهران لتجهيز انقلاب عسكري. ويذكر الشاه أيضا أن الاتصالات الأمريكية كانت مع مهدي بازركان الذي اختاره الخميني ليكون رئيسًا لأول حكومة في إيران بعد حكم الشاه[1].

ومنها أيضا: ما عرف في وقتها بفضيحة: (إيران غيت أو إيران كونترا) وينسب اسمها إلى صفقة سرية لبيع الأسلحة بين أمريكا وإيران بوساطة الكيان الصهيوني، على الرغم من قرار حظر بيع الأسلحة إلى طهران وتصنيف الإدارة الأمريكية لها "عدوة لأمريكا" و"راعية للإرهاب".

فقد كُشفت معلومة تصدير السلاح من الكيان الصهيوني إلى إيران في (1981/7/18م)، بعد أن أسقطت الدفاعات السوفيتية طائرة أرجنتينية تابعة لشركة أروريو بلنتس، وهي واحدة من سلسلة طائرات كانت تنتقل بين إيران والكيان الصهيوني محملة بأنواع السلاح وقطع الغيار، وكانت الطائرة قد ضلت طريقها ودخلت الأجواء السوفيتية. وقد نشرت صحيفة التايمز اللندنية تفاصيل دقيقة عن الجسر الجوي المتكتم عليه بين إيران والكيان الصهيوني، وقد انكشف للعالم حينها أن سيلًا من الأسلحة وقطع الغيار كانت تشحن من أمريكا عبر الكيان الصهيوني إلى طهران. وينص الاتفاق السري بين أمريكا والكيان الصهيوني وإيران التي كانت تخوض آنذاك حربًا ضد العراق على تزويد طهران بأسلحة متطورة، تشمل قطع غيار طائرات، وآلاف الصواريخ المضادة للدروع وأخرى مضادة للطائرات. وهناك تقارير تؤكد أن نسبة (80%) تقريبًا من الأسلحة التي اشترتها طهران في حربها ضد العراق وصلت عن طريق الكيان الصهيوني[2].

وبلغة الأرقام يؤكد المؤرخ الصهيوني يعكوب هيخت المحاضر بجامعة حيفا، وخبير العلاقات الدولية والأسلحة النووية وتاريخ صراعات الشرق الأوسط: "أن إسرائيل باعت أسلحة لإيران في أعوام (1980-1986م)، بما يزيد عن (2.5) مليار دولار، وفي تقديرات اليوم فإن هذا مبلغ يزيد عن (6) مليار دولار"[3].

> **ربما انخدع بعضهم بشعارات النظام الإيراني التي تظهر العداء لأمريكا والكيان الصهيوني والغرب؛ ولكن الحقيقة خلاف ذلك.**

وتم الاتفاق على هذا الأمر وقتها في باريس بين جورج بوش الأب، الذي كان يشغل منصب نائب الرئيس ريغان، ورئيس الوزراء الإيراني أبو الحسن بني صدر والجانب الصهيوني.

والحقيقة التي اعترف بها الكيان الصهيوني هو أن انتصار إيران في حرب الخليج لا يضر به ولكن التخوف هو إذا انتصر العراق، ولذلك صرح ديفيد كيمحي أحد قادة الموساد: "بأن العراق دولة عربية وكان لدينا تخوف من انتصارها ضد إيران، وأمن إسرائيل كان مهددًا وشعرنا أننا قد نفعل كل شيء لمنع العراق من الانتصار في الحرب على إيران، وكنا على يقين بأن الأسلحة المقدمة من جانبنا لإيران لا

(1) انظر: مقالات بعنوان أمريكا وإيران.. عداء أم خديعة، سلسلة مقالات منشورة في منتدى التحالف لعلوم الدفاع، الرابط: https://www.udefense.info/threads.
(2) انظر: تقرير موقع الجزيرة نت بعنوان: إيران غيت.. المصالح فوق المبادئ، بتاريخ: (2016/2/1م) الرابط: https://www.aljazeera.net/encyclopedia/events.
(3) مقال الكاتب (يعكوب هيخت) نشره موقع عربي 21، بتاريخ: (2022/9/7م)، الرابط : https://arabi21.com/story/1460297.
(4) انظر: المشروع الأسود بين إسرائيل وإيران، سارة شريف: 104.

يمكن أن تستخدم يومًا ضد إسرائيل"[4].

فالتخادم الأمريكي الإيراني واضح بين الطرفين، ويمكن القول: إن التحالف الإستراتيجي بينهما أضحى حقيقة، أما الخلاف بينهما على الملف النووي فهو طبيعي في عالم السياسة خصوصا في ظل التسابق على الصراع على المنطقة، ومحاولة تحقيق أعلى قدر من المكاسب على حساب الطرف الآخر.

ثالثًا: تعاون إيران مع أمريكا لغزو واحتلال العراق

خطر إيران على العراق لم يتوقف؛ بل ازداد في الغزو الأمريكي على العراق، ولم يظهر بشكل واضح وفاضح إلا بعد اكتمال الاحتلال الأمريكي البريطاني للعراق، وهناك اعترافات صريحة وموثقة من مسؤولين إيرانيين تؤكد تعاون إيران مع أمريكا في احتلال العراق، ومنها ما قاله محمد أبطحي نائب الرئيس الإيراني الأسبق محمد خاتمي: من إن بلاده قدمت الكثير من العون للأمريكيين في حروبهم ضد أفغانستان والعراق؛ ولولا التعاون الإيراني لما سقطت كابول وبغداد بهذه السهولة.

ثم كرر رفسنجاني رئيس (مجلس تشخيص مصلحة النظام) هذا المعنى في الإطار نفسه عندما قال: لولا إيران لما سقطت كابل وبغداد.

والتعاون أيضا كان عن طريق تحريك الأحزاب الموالية لإيران وميليشياتها في خدمة الاحتلال الأمريكي، مثل: المجلس الأعلى، وحزب الدعوة، وفروعهما، وغيرهما، وبسبب ذلك نالت إيران حصتها من احتلال العراق.

وبهذه التصريحات يمكن أن نقول: إنهم تحالفوا مع ما يسمونه الشيطان الأكبر من أجل احتلال العراق، وكانوا يصفون النظام العراقي قبل الاحتلال بالنظام المرتد عن الإسلام، وفي الوقت نفسه أقاموا حلفا مع النظام في سورية وهو نظام يتفق مع النظام العراقي في التوجه الحزبي أيضا؛ لكنهم يصفونه بالمؤمن[1]!.

وقد اعترف بعض المسؤولين العرب في تصريحات لهم بأن أمريكا تسعى لتسليم العراق إلى إيران؛ ومن هذه التصريحات تصريح وزير الخارجية السعودي (سعود الفيصل) الذي قال فيه: "إن أمريكا قدمت العراق لإيران على طبق من فضة"[2]. وقد حذر من هذا الخطر أيضًا ملك الأردن (عبد الله الثاني)[3]، ونشرت جريدة السياسة الكويتية بتاريخ: (2006/3/3م) عن السيد عبد الله جول وزير الخارجية التركي تحت عنوان: تركيا تحذر من مخطط إيراني للسيطرة على العراق وتصدير الثورة إلى الخليج[4].

رابعًا: تعاون إيران مع أمريكا في فرض العملية السياسية

ومن أخطر ما فرضه الاحتلال في العراق ورسخته إيران عن طريق أدواتها في العراق من الأحزاب والميليشيات وعدد من المرجعيات الدينية، هو العملية السياسية البائسة التي قسمت الشعب العراقي تقسيما طائفيا وعرقيا مقيتا وبدأ ذلك بما سمي بـ (مجلس الحكم الانتقالي)[5] الذي أعطى الأحزاب الطائفية التي جاءت مع المحتل الأمريكي وساعدته بتوجيه إيراني من احتلال العراق الأغلبية المطلقة في المجلس؛ لتمرير فكرة أن طائفة معينة هي صاحبة الأغلبية المطلقة في العراق، مع أن هذه الطائفة لا تمثل الأغلبية التي يريد الأمريكان وإيران فرضها على الشعب العراقي، ولم يستند هذا القرار إلى إحصاء أو استفتاء دقيق[6]، وإنما هو قرار

(1) انظر: وجاء دور المجوس، محمد سرور زين العابدين: 14.

(2) انظر: التصريح في موقع الـ (BBC) عربي، رابط: http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/middle_east_news/newsid_42670004267448/.stm.

(3) انظر: تصريحات الملك عبد الله في الرابط: (2016/4/19م)، https://www.aljazeera.net/encyclopedia/events.

(4) انظر: الخطر الإيراني يتمدد، مجلة البيان، لندن، بتاريخ: (2013/6/26م).

(5) مجلس الحكم تشكل في (2003/7/12م) ، بقرار من سلطة الائتلاف الموحدة ومنح صلاحيات جزئية في إدارة شؤون العراق، وكانت سلطة الاحتلال تمتلك الصلاحيات الكاملة بحسب قوانين الحرب والاحتلال العسكري المتفق عليها في الأمم المتحدة.

(6) انظر: بيانات هيئة علماء المسلمين في العراق، بيان رقم (1) الصادر بتاريخ: (2003/7/16م): 39/1.

متفق عليه بين أمريكا وإيران.

ولتعميق تفريق العراقيين قسموا الشعب العراقي إلى سنة وشيعة، ثم قسموا السنة إلى عرب وكرد وتركمان وهكذا، وجعلوا الشيعة كتلة واحدة حتى باختلاف قومياتهم، وهو تقسيم مفهومة مقاصده ومراميه؛ لأن التقسيم ليس قوميًا وعرقيًا ولا هو تقسيم طائفي! وضم مجلس الحكم في ذلك الوقت 25 شخصًا منهم 12 (شيعة)، و6 (أكراد)، و4 (سنة)، وواحد من (التركمان) وآخر من (المسيحيين) وآخر من الشيوعيين[1].

ومن أسوء ما قرره (مجلس الحكم) هو جعل يوم سقوط بغداد (2003/4/9م) بيد قوات التحالف يوما وطنيا في العراق. وهو والحمد لله ما لم يرتضه العراقيون ولم يطبق فعليًا.

"التخادم الأمريكي الإيراني واضح بين الطرفين، ويمكن القول: إن التحالف الإستراتيجي بينهما أضحى حقيقة، أما الخلاف بينهما على الملف النووي فهو طبيعي في عالم السياسة خصوصا في ظل التسابق على الصراع على المنطقة."

ثم استمر خطر فرض فكرة الأغلبية المطلقة للأحزاب الموالية لإيران التي رحبت باحتلال العراق وشاركت في تدميره، وبذلك جسدت إيران خطرها الأكبر في العراق من خلال أدواتها في الحكم والميليشيات المسلحة الإرهابية ومن خلال العملية السياسية في ظل الاحتلال التي أعطت نسبة السنة في العراق أقل من (20%) والأكراد (20%) تقريبا والشيعة أكثر من (55%)، والباقي للأقليات الأخرى؛ ولتمرير فكرة الأغلبية الطائفية "الشيعية" بالتزوير والخداع والإذعان لوهمها على مستوى الفعاليات السياسية؛ فرضت أمريكا وإيران هذه الأكاذيب ومررتها سياسيا ورسختها عن طريق العملية السياسية؛ فكانت إستراتيجية طهران بالاتفاق مع الاحتلال الأمريكي هي إيصال حلفائها من الأحزاب الموالية لها في العراق إلى السلطة وصناعة القرار ودعمهم للبقاء في سدة الحكم، والثانية تتلخص في تجربتهم العسكرية المتمثلة بالميليشيات التي أصبحت تدخل في مسمى "الحشد الشعبي"، والجميع يعلم ماذا فعلت هذه الميليشيات في المحافظات السنية وسأتناولها في مباحث لاحقة، ثم تحولت هذه الميليشيات إلى جنود ومجاميع تدافع عن إيران ومصالحها في العراق بشكل علني[2].

فالعراق تمت قيادته من خلال الأحزاب الموالية لإيران بفكر طائفي مقيت وممارسات إقصائية وقتل وترهيب وسأذكر بعض الممارسات التي تم انتهاجها لإرغام الناس على إظهار وممارسة الشعائر الخاصة ذات الدلالات الطائفية.

خامسًا: خطورة استمرار العملية السياسية في العراق بعد الاحتلال:

إن واقع العملية السياسية في العراق وحكوماتها والصراع بين شخوصها وأحزابها هو ليس من أجل العراق وشعبه؛ وإنما هي بين أن تكون حكومات احتلالية أمريكية التوجُّه فيها نَفَس إيراني، وبين أن تكون إيرانية خالصة فيها شخوص أمريكية تعمل كواجهة معارضة لإكساب اللعبة السياسية صبغة الشد والجذب والتناحرات التي توهم البعض، بأن هناك عملية سياسية تضم أغلبية نيابية وأقلية معارضة، والحقيقة هم أدوات الاحتلالين الأمريكي والإيراني. ويسقط بين هؤلاء جميعا معاناة العراقيين على مدار عقدين من الزمن.

(1) انظر: التفاصيل في موقع ويكيبيديا على الرابط: https://ar.wikipedia.org/wiki.
(2) انظر: النفوذ الإيراني في العراق، د. عبد العزيز الظاهر، مجلة البيان، العدد 364، الصادر في (2017/8/23م).

فخطورة العملية السياسية في العراق لا تقتصر على فرض نظام سياسي لإدارة البلاد يراعي تحقيق مصالح أمريكا في المنطقة فحسب، وإنما خطورتها بإطلاق أمريكا يد إيران في العراق ومنحها الضوء الأخضر في تنفيذ مشاريعها، عن طريق دعم العملية السياسية وفرض البعد العقدي (المذهبي) الذي تؤمن به فيها، واختيار الأحزاب والشخصيات الموالية لها لإدارة البلاد؛ فاستحوذت إيران على الإدارة السياسية، فضلًا عن حصولها على دعم المرجعيات الدينية التي تربطها بها صلات وثيقة، وأغلبها يقر بأن إيران هي قائدة المذهب وحاميته في العالم؛ لذلك فإن العملية السياسية صممت في العراق لمنع مشاركة (السنة) في القرار السياسي الحقيقي في بلدهم.

> **تحت قيادة العراق من خلال الأحزاب الموالية لإيران بفكر طائفي مقيت وممارسات إقصائية وقتل وترهيب وسأذكر بعض الممارسات التي تم انتهاجها لإرغام الناس على إظهار وممارسة الشعائر الخاصة ذات الدلالات الطائفية.**

وفرضت سيطرة الأحزاب والحركات والمنظمات والميليشيات المسلحة ذات الارتباط الأيدلوجي بإيران التي تحقق بدورها ما يتطلبه الدور الإيراني من أهداف داخل العراق، من خلال مراكز صناعة القرار التي فسح لها المجال واسعًا للتأثير في الأحداث والتطورات في العراق والمنطقة، وهو ما أصبح واضحا من خلال التهديد الإيراني لدول جوار العراق وغيرها تهديدا مباشرا عن طريق أدوات إيران في العراق واليمن وسوريا وغيرها.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن إيران لا تريد للعراق أن يكون بلدا قويا مستقرا؛ حتى لا يشكل خطرًا عليها، وتبقى حكوماته محتاجة إليها، فبقدر ضعف وحاجة الجميع إليها؛ ستحقق إيران مصالحها، وهذا ما تحقق بعد مرور عقدين من الزمن تقريبا فإيران هي صاحبة القرار في العراق اليوم[1].

والدلائل التي تؤيد ما تقدم كثيرة ومنها: ما صرح به إمام وخطيب جمعة النجف صدر الدين القبانجي، في كلمة له في مؤتمر بالعاصمة الإيرانية طهران، قائلًا: إن "خصوم العراق" يحاولون إسقاط التجربة السياسية الفتية (للشيعة)، وما دام العراق يحمل الولاء المطلق لأهل البيت فلا خطر على تجربتهم، ونثمن موقف إيران الساند والداعم للحراك التحرري في كل العالم والإسلامي بشكل خاص و(الشيعي) بشكل أخص[2].

وهناك عشرات التصريحات لعدد من القادة الموالين لإيران تقر بتبعيتهم لإيران بل إن كثيرًا ممن يحكم العراق بعد (2003م) كانوا قد قاتلوا مع إيران ضد العراق في الحرب العراقية الإيرانية. والميليشيات الطائفية في العراق تعلن صراحة أنها تأتمر بأوامر المرشد الأعلى الإيراني علي خامنئي، يقول جعفر الحسيني، المتحدث العسكري لميليشيا (حزب الله) في العراق: "إن الكتائب تتلقى الأوامر من إيران منذ أن بدأت عملياتها المسلحة لأول مرة عام (2006م)، وحتى الآن"[3].

أما التصريحات الإيرانية فهي واضحة في هذا الإطار ومنها:

(1) انظر: النفوذ الإيراني في العراق، د. عبد العزيز الظاهر.

(2) جاء تصريح القبانجي خلال رئاسته الجلسة الختامية لفعاليات المؤتمر السابع للجمعية العامة للمجمع العالمي لأهل البيت، بتاريخ: (2022/9/4م)، في العاصمة الإيرانية طهران. ونقلت التصريح عدة مواقع منها: موقع شفق نيوز، الرابط: https://shafaq.com/amp/ar، وموقع قناة الرافدين الفضائية، الرابط: https://alrafidain.tv/47854/.

(3) التصريح في مقابلة للمتحدث باسم ميليشيا حزب الله في العراق مع وكالة الأناضول، بتاريخ: (2017/3/7م)، الرابط: https://www.aa.com.tr/ar/765491/.

1- ما قاله الجنرال محمد علي فلكي القيادي في الحرس الثوري الإيراني من: أن بلاده شكلت جيش التحرير الشعبي بقيادة قائد فيلق القدس قاسم سليماني؛ حيث يقاتل الجيش في ثلاث جبهات هي العراق وسوريا واليمن. وتصريح علي يونسي مستشار الرئيس الإيراني.

2- قول حسن روحاني في منتدى الهوية الإيراني، إن: "إيران اليوم أصبحت إمبراطورية، كما كانت عبر التاريخ، وعاصمتها بغداد حالياً، وهي مركز حضارتنا وثقافتنا وهويتنا اليوم كما الماضي. إن جغرافية إيران والعراق غير قابلة للتجزئة، وثقافتنا غير قابلة للتفكك، لذا إما أن نقاتل معاً أو نتحد".

3- التصريحات الخطيرة التي دعا فيها محمد رضا رحيمي نائب الرئيس الإيراني لقيام اتحاد بين بلاد فارس والعراق لمواجهة ما أسماه، تحديات تستهدف (الشيعة) في البلدين كليهما[1].

4- تصريح رئيس تحرير وكالة (مهر) الإيرانية حسن هاني زاده، الذي دعا العراق للوحدة مع بلاده وترك ما وصفها بـ (العروبة المزيفة)![2].

سادسًا: خطر إيران في ترسيخ الاحتلال من خلال الأحزاب والميليشيات والمراجع الدينية

تنص كل الشرائع السماوية والقوانين الوضعية؛ بل الفطرة البشرية بوجوب الدفاع عن الوطن إن هو تعرض إلى غزو واحتلال، ويزداد الأمر وجوبا عند المسلمين خصوصا إذا كان الغازي والمحتل من غير المسلمين. ويوصف من يساند المحتلين والغزاة بالخيانة.. وهذا من المسلمات، وما جرى في العراق هو أن علماء المسلمين في العراق قد أصدروا الفتاوى بوجوب مقاتلة الأمريكان باعتبار أنه جهاد دفع، ومن أبرز هذه الفتاوى فتوى رابطة العلماء العراقيين في (2002/11/4م)، وجاء فيها: "... قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [سورة البقرة: الآية:190]. ووجه الدلالة بهذه الآية الكريمة أنها توجب على المسلمين قتال من يقاتلهم من الكفار، والأمريكان جاؤوا بجنودهم من وراء البحار وحشدوا قواتهم ليقاتلونا في ديارنا فواجب علينا قتالهم استجابة لأمر الله الصريح بهذا الوجوب؛ لأنه جاء بصيغة الأمر الدالة على الوجوب من غير قرينة تصرفه عن هذا الوجوب..."[3].

وفتوى مفتي العراق الشيخ عبد الكريم المدرس، التي قال فيها: "بعد أن دخل الأمريكان والإنكليز الكفرة ومن معهم من أهل الكفر والردة وقتلوا المسلمين الأبرياء كما رأيتم ودخلوا بلدا من بلاد الإسلام –العراق المسلم– بعد هذا وجب علينا وقبله وجب علينا مقاتلتهم وصار الجهاد فرض عين على كل مسلم ومسلمة ووجب القتال على كل قادر، إذ إنهم دخلوا بلدا مسلما وفعلوا ما فعلوا وهدموا البيوت على الآمنين... فهؤلاء الكفرة الأمريكان قد دخلوا بلدنا وعزموا على تدنيس أرض الإسلام وأعلنوا نيتهم وقصدهم كما فعلوا في بلدان المسلمين من فلسطين وأفغانستان. فيجب القتال والجهاد وهو فرض عين، ولا يجوز ترك القتال ومن تركه فهو فار من الزحف ومن قتل منا فهو شهيد كما نص عليه رب العالمين في كتابه وبينه العلماء[4].

فضلًا عن فتاوى لعلماء آخرين. ومواقف هيئة

(1) انظر: مقال بعنوان: هل يتحول العراق إلى مستعمرة فارسية؟ عبد الله الهدلق، في موقع الوطن الإخباري الكويتي، الرابط: https://alwatan.kuwait.tt/articledetails.aspx?id=190480&yearquarter=20122

(2) انظر: التصريحات في تقرير لموقع الجزيرة نت، بتاريخ: (2015/3/18م)، الرابط: https://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews.

(3) انظر: نص الفتوى في موقع (الجزيرة نت): https://aja.me/tavrj.

(4) صدرت الفتوى الشيخ عبد الكريم المدرس مفتي العراق ورئيس رابطة علماء العراق، بتاريخ: (2003/3/27م).

علماء المسلمين في العراق بعد الاحتلال ودعمها للمقاومة؛ معلومة ومنشورة، ودعوات المشايخ والعلماء إلى مقاومة الأمريكان وقتالهم كثيرة.

إلا أن المرجع الأعلى (علي السيستاني) توقف عن الدعوة لمقاتلة الأمريكان بل وصدرت اعترافات عن بعض الجهات القريبة منه تفيد بأن التوجيه من السيستاني كان هو التعاون مع الاحتلال، كما ذكرت ذلك مؤسسة الخوئي في لندن، التي قالت إن السيستاني أصدر فتوى تدعو العراقيين (الشيعة) إلى عدم الوقوف في طريق قوات الغزو الأمريكي، وقد أكد هذا الأمر وزير الدفاع الأمريكي (رامسفيلد) في مذكراته حيث قال: إنّ بلاده دفعت للمرجع الشيعي بالعراق علي السيستاني (200) مليون دولار لإصدار فتوى تُحرِّم على الشيعة قتال الأمريكان للمساعدة في سقوط العراق في أيدي الاحتلال الذي قادته الولايات المتحدة. وهذا الأمر كان واضحا في عزوف مقلدي السيستاني وغيره من المراجع عن قتال الأمريكان؛ حيث لم نر أو نسمع فتوى ضد الاحتلال الأمريكي من قبلهم.

وفي مقابل ذلك رأينا فتاوى واضحة وصريحة للسيستاني طالبت مقلديه ومقلدي غيره بالمشاركة بقوة في الانتخابات التي فرضتها قوات الاحتلال الأمريكي على العراقيين في عامي (2004م) و(2005م) وما بعدهما. وصرح الشيخ أحمد الصافي أبرز مساعدي السيستاني، بأنه لا يجوز للزوج منع زوجته من الخروج للتصويت، بل يجب عليه تأمين الأجواء المناسبة لها حتى تكون مؤمِّنة على نفسها يوم الانتخاب[1].

وقد دعم السيستاني الائتلاف (الشيعي) في الانتخابات والدافع له على ذلك –كما يقول رشيد خيون– هو لتثبيت حقوق الشيعة![2].

> **تنص كل الشرائع السماوية والقوانين الوضعية؛ بل الفطرة البشرية بوجوب الدفاع عن الوطن إن هو تعرض إلى غزو واحتلال، ويزداد الأمر وجوبا عند المسلمين خصوصا إذا كان الغازي والمحتل من غير المسلمين.**

وأيضا فتوى السيستاني المشهورة المسماة بـ (فتوى الجهاد الكفائي) التي تشكلت ميليشيات الحشد الشعبي استنادًا إليها، وغيرها من المواقف والفتاوى التي تأتي في إطار ترسيخ النظام السياسي القائم. فالمرجعيات الدينية في النجف وكربلاء عملت بالتعاون مع إيران والاحتلال الأمريكي على استمرار الاحتلال وترسيخ العملية السياسية التي فرضها الاحتلال، وقد ذكر (بول بريمر) أن مراسلات جرت بينه وبين المرجع علي السيستاني في هذا الإطار[3].

سابعًا: الأحزاب والميليشيات المرتبطة بإيران التي تعاونت مع الاحتلال الأمريكي

توجد في العراق اليوم عشرات الأحزاب السياسية التي تصب في مصلحة إيران وتخضع لتوجيهاتها، فضلًا عما يقرب من (100) ميليشيا مسلحة مرتبطة بإيران وتدين بالولاء لها على درجات متفاوتة فيما بينها. ومن أبرز هذه الأحزاب والميليشيات:

1- حزب الدعوة

يعد حزب الدعوة الإسلامي الحزب السياسي

(1) انظر: وكالة الأنباء الكويتية: https://www.kuna.net.kw/ArticleDetails.aspx?id=1550936&language=ar.
(2) انظر: 100 عام من الإسلام السياسي في العراق: 127/1.
(3) انظر: عام قضيته بالعراق، بول بريمر: 214.

(الشيعي) الأبرز في العراق، تأسس سنة (1957م)، حيث ترك أثرًا في جميع التنظيمات السياسية (الشيعية) التي جاءت بعده[1]. وبمجيء الخميني للسلطة أقام حزب الدعوة علاقات وثيقة مع قيادات الثورة الإيرانية، وبسبب ارتباط حزب الدعوة بإيران تم حظره في العراق ومحاكمة كل من ينتمي إليه[2]، وحصلت عدة مواجهات مسلحة للحزب مع الحكومات في العراق، وفي عام (1981م) أنشاء حزب الدعوة معسكرا في الأحواز المحتلة في إيران؛ ليكون نواة للعمل العسكري ضد العراق، وشارك الحزب مع إيران في حربها ضد العراق، ونفذ عمليات إرهابية داخل العراق وخارجه ومنها تفجير: الجامعة المستنصرية، وتفجير السفارة العراقية في لبنان[3].

ومما يدل على التواصل الوثيق بين الصدر والخميني هو إرسال (محمد باقر الصدر) منظر حزب الدعوة في العراق رسالة تهنئة بالثورة الإيرانية للخميني، والبرقية التي أرسلها الخميني إليه يطلب منه البقاء في العراق وعدم الخروج منه حتى لو كان هناك خطرٌ على حياته، وأذيعت هذه البرقية من إذاعة طهران[4].

وتعرض حزب الدعوة خلال عمله للعديد من الانشقاقات التنظيمية، من أبرزها انشقاق مجموعات: عز الدين سليم، والشيخ علي الكوراني، وكاظم الحائري رئيس المجلس الفقهي للحزب[5].

وبعد احتلال العراق عام (2003م)، شارك الحزب في العملية السياسية، وتسلم إدارة حكم العراق منذ (2003م) إلى عام (2018م)، عبر قادته الذين تولوا أعلى المناصب وعلى رأسها منصب رئاسة الوزراء، الموقع السياسي ذو الصلاحيات الأكبر في حكومات الاحتلال، وهم: إبراهيم الجعفري، ونوري المالكي، وحيدر العبادي. وكان الحزب قبل احتلال العراق (2003م) مشمولًا بلائحة الإرهاب الدولي بسبب عملياته الإرهابية، وتفجير السفارة العراقية في بيروت، ومحاولة اغتيال أمير الكويت[6]؛ لكن أمريكا سلمته السلطة في العراق بعد الاحتلال ورفعته من قائمة الإرهاب فتسلم السلطة إبراهيم الجعفري بين عامي (2004 و2005م)، ثم نوري المالكي من (2006 إلى 2014م)، ثم حيدر العبادي إلى (2018م)!.

ومعلوم أن الحزب قد توسع في إيران وله علاقات وطيدة مع الإيرانيين، وشارك عناصره مع إيران في حربها ضد العراق، وللحزب ميليشيا عسكرية باسم (قوات الشهيد الصدر)، وأعلنت هذه القوات انخراطها في صفوف الحرس الثوري الإيراني وقوات المجلس الأعلى، مما يعني أن الحزب يقر ويعتقد بفكرة ولاية الفقيه،[7] وهي الأداة السياسية الإيرانية الأبرز في العراق، ولعل مقولة محمد باقر الصدر تلخص هذه العلاقة عندما قال: "ذوبـوا في الإمـام الخميني" أو قريبًا من هذه العبارة[8].

2- المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق

تشكل هذا التجمع عام (1982م)، في طهران بعد الحرب العراقية الإيرانية، على يد محمد باقر الحكيم، وله جناح مسلح يعرف باسم (منظمة بدر أو فيلق بدر) وضم غالب الحركات (الشيعية) في العراق، ومنها:

(1) انظر: مائة عام من الإسلام السياسي بالعراق-الشيعة، رشيد خيون: 17.
(2) انظر: 100 عام من الإسلام السياسي في العراق: 216.
(3) المصدر نفسه: 227.
(4) انظر: الشهيد الصدر وسنوات المحنة وأيام الحصار، النعماني: 265.
(5) انظر: 100 عام من الإسلام السياسي في العراق: 247.
(6) المصدر نفسه: 250.
(7) المصدر نفسه: 258.
(8) المصدر نفسه: 253.

حزب الدعوة ومنظمة العمل الإسلامي، وغيرهما.
والهدف الأساسي له بعد تجميع هذه القوى في إطار واحد؛ هو مساندة قوات الحرس الثوري الإيراني في حربه ضد العراق.
وتعاون هذا المجلس بشقيه السياسي والعسكري مع قوات الاحتلال الأمريكي وكان عدد عناصره المسلحة عام (2003م) (16) ألف عنصر تقريبًا، وكان يقود هذه الميليشيات (هادي العامري) أحد أهم القادة الموالين لإيران، الذي أعلن مرارا وتكرارا أنه يأتمر بأوامر الولي الفقيه خامنئي.
وشارك المجلس في جميع مراحل العملية السياسية في ظل الاحتلال وتسلم رئاسة الوزراء أحد قادته وهو (عادل عبد المهدي) عام (2018م). وتعرض المجلس لعدة انشقاقات، آخرها انقسامه على ثلاثة أقسام: المجلس الأعلى، وتيار الحكمة، ومنظمة بدر، التي تحالفت مع حزب الدعوة.

توجد في العراق اليوم عشرات الأحزاب السياسية التي تصب في مصلحة إيران وتخضع لتوجيهاتها، فضلًا عما يقرب من (100) ميليشيا مسلحة مرتبطة بإيران وتدين بالولاء لها على درجات متفاوتة فيما بينها.

ومعلوم لدى القاصي والداني أن هذا المجلس هو أحد أذرع الحرس الثوري الإيراني في العراق، وجعلته أمريكا جهة سياسية لها تأثير بارز في العملية السياسية من خلال نظام المحاصصة الطائفية للحكم. وهو الآن يسيطر على مساحات واسعة، وتخضع لنفوذه مدن (سنية) بعد أن تم تهجير أهلها منها.

3 – التيار الصدري:
ظهر التيار الصدري بعد احتلال العراق، وهو يتكون من أتباع المرجع محمد محمد صادق الصدر، ويلتف التيار الصدري حاليًا حول مقتدى الصدر نجل محمد الصدر، الذي يقلد المرجع كاظم الحائري.
شكل التيار الصدري بعد الاحتلال ميليشيا (جيش المهدي)، ثم غير اسم هذه الميليشيا إلى مسمى (سرايا السلام) بذريعة حماية المراقد الشيعية من خطر تنظيم الدولة الإسلامية (داعش).
تعرض التيار الصدري لعدد من الانشقاقات من أبرزها الانشقاق المبكر لما يعرف بـ (حزب الفضيلة الإسلامي)، والانشقاق الثاني لميليشيا (عصائب أهل الحق) بقيادة قيس الخزعلي.
وآخر التطورات في التيار الصدري أن كاظم الحائري المستقر في إيران الذي أوصى محمد الصدر أن يكون الحائري مرجعا من بعده، وعلى هذا الأساس فإن أتباع التيار الصدري ومنهم مقتدى الصدر يقلدون الحائري ويتخذونه مرجعا لهم، وعندما اشتد الصراع على السلطة بين التيار الصدري والإطار التنسيقي قبل مدة قصيرة، وسيطر مقتدى الصدر على البرلمان أصدر الحائري بيانًا في (2022/8/28م)، أعلن فيه اعتزاله العمل الديني، وأوصى مقتدى الصدر وأتباعه بأن يتبعوا المرشد الأعلى الإيراني علي خامنئي ويتخذونه مرجعا لهم؛ فكانت ضربة قوي لأتباع التيار وعلى رأسهم مقتدى الصدر الذي اضطر إلى التراجع عن كل خطواته بعد هذه الرسالة القوية من الجانب الإيراني، وانسحب من العملية السياسية.
وقد ارتكبت ميليشيا (جيش المهدي) أبشع الجرائم

الطائفية من القتل والتهجير القسري بحق (أهل السنة) وغيرهم في العراق، وقامت بعد (حادثة تفجير المرقدين) في سامراء في عام (2006م)؛ بحرق المساجد واغتصابها وقتل أئمتها وخطبائها بالتنسيق مع ميليشيا بدر وحزب الدعوة المسؤولين عن الجرائم الطائفية في العراق، والمحرضين الرئيسيين على أحداث (2006م).

4- الحشد الشعبي:

هو اللافتة التي تنضوي تحتها الميليشيات المسلحة الموالية لإيران، والتي اتخذتها إيران سيفًا مسلطاً على رقاب العراقيين، وحولتهم إلى جنود يدافعون عن أمن إيران، ومصالحها ومشاريعها في المنطقة. ويضم الحشد عشرات المجموعات المسلحة الإرهابية تحت مسمى (الحشد الشعبي) وكلها متهمة بارتكاب جرائم حرب ضد الإنسانية، عند اجتياح محافظات غرب وشمال ووسط العراق. وفضلًا عن كون هذه الميليشيات موالية لإيران فإنها تحظى بتسليح عالي الإمكانيات من الحرس الثوري الإيراني، وتستخدم السلاح الذي تستورده الحكومة في العراق.

وقد تكونت نواة القوات الأمنية والجيش في العراق بعد الاحتلال من هذه الميليشيات، فضلًا عن البيشمركة الكردية، وكان عملها أول ما تشكلت هو حماية القوات الأمريكية ومحاربة المقاومة العراقية. ولا تقتصر الخارطة (الشيعية) السياسية والميليشياوية في العراق على هذه المسميات، بل تضم العديد من الحركات والأحزاب الأخرى والميليشيات، التي لم يقتصر خطرها على العراق وإنما انتقل إلى سوريا واليمن، التي تمارس فيهما الميليشيات الطائفية جرائم القتل والتغييب والاختطاف وسرقة الأموال والممتلكات، وتهدد دول المنطقة بعملياتها الإرهابية.

ثامنًا: خطر إيران في تغيير التركيبة السكانية في العراق

كان الاحتلال الأمريكي للعراق عام (2003م) نقطة البداية لشن حملات تغيير ديمغرافي كبيرة جدا أثرت في التركيبة السكانية لعدد من المدن والمحافظات العراقية، ولا سيما تلك التي تقطنها أقليات عرقية ومذهبية مختلفة. والتغيير الديمغرافي مشروع أمريكي وهدف إيراني تنفذه أدواتهما من الميليشيات وأحزاب السلطة وضحيته الأبرز هم (العرب السنة) والأقليات في العراق.

وأول ما بدأ التغيير الديمغرافي في مدينة البصرة سنة (2004م)، ثم امتد ليصل مدينة الموصل مرورا بالعاصمة بغداد في مركزها وشمالها وجنوبها، ثم في محافظة صلاح الدين ولا سيما في مدينة سامراء وما حولها. واعتمدت الميليشيات أبشع الأساليب لإحداث التغيير السكاني، ومن أبرزها:

1- اغتيال الشخصيات، ومنها أئمة المساجد، والعلماء، وضباط الجيش العراقي السابق، وشيوخ العشائر ولا سيما في المناطق الجنوبية في البصرة والناصرية وما حولهما؛ حيث قتل العشرات منهم مثل: الشيخ علي النجم الفالح السعدون شيخ عشائر المنتفك، والشيخ حسام الراشد، شيخ عشيرة الراشد، والشيخ عبد الرحيم الفالح، شيخ عشيرة البزون، والشيخ عدنان الغانم، شيخ عشيرة الغانم، والشيخ محمد بلاسم الياسين، شيخ عشيرة الشحمان، وغيرهم[1].

(1) انظر: كتاب بيانات هيئة علماء المسلمين بأجزائه الأربعة، وكتاب التصريحات الصحفية بجزأيه للهيئة أيضا، وكتاب اغتيال الكفاءات العراقية، لحسين رشيد، وسيف الجبوري.

2- خطف أحد أبناء العائلة والتهديد بقتله أو دفع فدية مالية كبيرة وتكرار حالات الخطف؛ مما يضطر العائلة إلى ترك أرضها وبيتها وممتلكاتها والهجرة عن منطقتها، ثم تطورت الحالة إلى أن يتم تهديد أهل المخطوف ببيع بيته أو أرضه إلى جهة يحددها الخاطفون ويحددون ثمن العقار؛ حتى يطلقون سراح المختطف.

3- اغتصاب الأرض جهارا نهارا وتشريد أهلها منها، أو التهديد المباشر لأصحاب الأراضي والممتلكات بالقتل أو بيع أراضيهم بثمن بخس.

4- المداهمات اليومية والمضايقات من قبل القوات الأمنية، واعتقال أحد أفراد العائلة وإلصاق التهم الكيدية به بلا دليل سوى ما يسمى (المخبر السري).

5- الابتزاز وفرض الأتاوات على التجار أو المزارعين، فضلًا عن إهمال المنطقة من حيث الخدمات الأساسية والبنى التحتية بحيث لا تصلها أي خدمات مما يضطر السكان للنزوح والهجرة. وقد ازدادت هذه الممارسات بشكل كبير جدًا بعد أحداث عام (2014م)؛ حيث تم تهجير مدن بأكملها من قبل الميليشيات الطائفية.

6- الحملات العسكرية التي تشنها القوات الحكومية بحجة تأمين المنطقة من الإرهابيين، ثم سيطرة الميليشيات على الأقضية والنواحي ومسك الأرض فيها والتضييق على السكان.

7- مصادرة الأراضي الزراعية بحجة استثمارها أو بناء عقارات سكنية فمثلا في اللطيفة التي تعتبر سلة بغداد الغذائية صادرت الحكومة (15) ألف دونم زراعي وهجرت آلاف العائلات حتى بدون تعويضات. وهذا الأسلوب تكرر في عدة مناطق منها في الرضوانية ومحيط مطار بغداد وفي محيط بغداد أيضا[1].

> **أبرز الميليشيات التي قامت بالتهجير هي (جيش المهدي، وحزب الفضيلة، ومنظمة بدر، وحزب الدعوة، وكتائب حزب الله العراق، وعصائب أهل الحق) بمساعدة إيران وحكومات الاحتلال وبعلم من قوات الاحتلال الأمريكي.**

وأبرز الميليشيات التي قامت بالتهجير هي (جيش المهدي، وحزب الفضيلة، ومنظمة بدر، وحزب الدعوة، وكتائب حزب الله العراق، وعصائب أهل الحق) بمساعدة إيران وحكومات الاحتلال وبعلم من قوات الاحتلال الأمريكي، التي كانت تقف موقف المتفرج أو المساند لهذه الانتهاكات.

وهناك مدن ونواحي تم تهجير أهلها بالكامل من قبل الميليشيات مثل (جرف الصخر) جنوب بغداد، التي تضم (120) ألف نسمة، وبعض أحياء اللطيفية، وعزيز بلد، وقرى نهر الإمام في محافظة ديالى وبعض مناطق محافظة صلاح الدين، وغيرها من المناطق. والملاحظ أن هناك مناطق نزع السكان منها قسرًا؛ لأنها تقع ضمن طريق بري إستراتيجي تعمل إيران عليه منذ سنوات يربط إيران بسوريا عن طريق العراق ويمر بمحافظات: ديالى وصلاح الدين ونينوى. وكل المدن والقرى التي تعترض هذا الطريق فإن أهلها يهجرون قسرًا.

وهناك إحصائية تؤكد وجود (300) منطقة في العراق يمنع أهلها النازحون من العودة إليها.

(1) انظر: بيان هيئة علماء المسلمين رقم (1388) الصادر بتاريخ: (2019/7/1م)، وبيان رقم (1466) الصادر بتاريخ: (2021/4/5م).

أما في بغداد فالأمر كان على أشده في السنوات الأولى للاحتلال؛ حيث كانت الجثث التي كانت تلقى في شوارع بغداد يوميا تبلغ ما بين (200) إلى (300) جثة تلقى في الشوارع والمزابل، بعد أن كانت القوات الحكومية تداهم البيوت وتعتقل شبابها ثم بعد أيام تلقى جثثهم في الشوارع، أما المساجد التي اغتصبت وتحولت إلى حسينيات فكثيرة جدا، وتم الاعتداء في بغداد خلال يومين فقط وحرق ما يقرب من (200) مسجد، وقتل عدد من أئمتها والمؤذنين فيها[1].

إذن فقضية التغيير الديمغرافي تسير بشكل ممنهج ومدروس من قبل الميليشيات وحكومات الاحتلال، وهي تسير في سياق تعزيز الهيمنة الإيرانية على العراق والمنطقة.

تاسعًا: خطر إيران على الاقتصاد العراقي

يواجه العراق منذ احتلال عام (2003م) تدهورا اقتصاديا ظاهرا للعيان؛ حيث كان العراق يعتمد على صادرات النفط كمصدر أساسي لاقتصاد البلاد، بنسبة (98%) من الموازنة السنوية، ورغم العائدات الكبيرة للنفط إلا أن العراق لم يستفد من هذه العائدات الكبيرة، بسبب الفساد المستشري في مفاصل الدولة، وتحكم الطائفية والمذهبية بمقدرات البلاد الغنية، وتسلط الأحزاب والميليشيات الموالية لإيران على الاقتصاد العراقي؛ فالعراق لا يصدر العراق غير النفط، وكل بضائعه مستوردة حتى الخضار والفواكه وأيسر مستلزمات الحياة.

وقد حقق القطاعان الصناعي الخاص والحكومي اكتفاءً ذاتيًا قبل الاحتلال، وكان الناتج الإجمالي للصناعات في العراق يمثل (23%) من مجموع الناتج المحلي؛ حيث كانت معامل الأدوية، والغزل والنسيج والألبسة، والأسمدة والفوسفات، ومصانع السكر، ومصانع الإسمنت والحديد الصلب، والصناعات الدقيقة، وأخرى للمواد الغذائية والألبان كلها تعمل وتنتج ما يحتاجه العراق، وبحسب الإحصاءات فقد كان في العراق (18) ألف مشروع صناعي؛ ولكن بعد الاحتلال تراجع هذا الأمر كليًا فآلاف المشاريع والمصانع التابعة للدولة تم إيقافها وإهمالها ولا يسمح بعملها، مع أن ملايين الدولارات تصرف كرواتب للموظفين فيها إلى الآن. متوقف منذ الاحتلال[2].

والسبب في عدم تشغيل المصانع والمعامل هو أن الأجندات الحزبية والإرادة السياسية وأخرى اقتصادية لمتنفذين تمنع إعادة تشغيل المعامل؛ لضمان استمرار استيراد العراق ما يحتاجه بالعملة الصعبة من إيران، التي تعتاش على العراق وتستفيد منه في مواجهة الضغوط الاقتصادية التي تمر بها. وقد أدى تعطيل المصانع المحلية إلى إغراق السوق العراقي بالسلع المستوردة، وفقدان المنتجات العراقية، وبهذا أصبح العرق سوقا استهلاكيا كبيرًا جدًا للبضائع الإيرانية الرديئة[3].

وقد أعلن مدير مصلحة الجمارك الإيرانية علي رضا مقدسي في بيان له، يوم (2022/4/12م)، أن إيران صدرت سلعًا للعراق بلغت (8.9) مليار دولار في أقل من عام[4].

1- القطاع الزراعي:

يعدّ العراق في صدارة الدول العربية من حيث مساحة الأراضي الخصبة؛ ولكنه يتذيل قائمتها في استغلالها،

(1) انظر: كتاب بيانات هيئة علماء المسلمين، بيان رقم (222): 356/1.
(2) انظر: تقرير موقع العربي الجديد، بعنوان مصانع العراق المعطلة، الرابط: https://www.alaraby.co.uk/economy؛ وتقرير الجزيرة نت بعنوان: توقف 40 ألف مشروع صناعي بالعراق، بتاريخ: (8/9/ 2012م)، الرابط: https://www.aljazeera.net/ebusiness.
(3) انظر: تقرير بعنوان: البضائع الإيرانية تغزو السوق العراقية، في موقع الجزيرة نت، بتاريخ: (2015/11/6م)، الرابط: https://www.aljazeera.net/ebusiness.
(4) انظر: موقع روداو، الرابط: https://www.rudawarabia.net/arabic/business/12042022.

فالقطاع الزراعي اليوم في العراق منهار وأسباب ذلك هو أولا القرار السياسي الذي يخضع لإرادة القوى السياسية المتحكمة بالسلطة والموالية لإيران؛ حيث لا توجد إرادة سياسية لإنعاش القطاع الزراعي، بل الخطة التي تسير عليها الحكومات منذ (2003م) هي تخفيض الخطة الزراعية، وفتح استيراد المحاصيل الزراعية من دون ترخيص ومن دون فرض ضرائب على استيرادها.

والمستفيد الأكبر من ذلك هو الاقتصاد الإيراني؛ ففي عام (2021م) أعلنت منظمة تنمية التجارة الإيرانية، تصدير محاصيل زراعية إلى العراق، بقيمة (11) مليار دولار، خلال خمسة أعوام فقط[1]؛ بل إن الحكومات في مدد متفاوتة منعت استيراد المحاصيل الزراعية من كل الدول ما عدا إيران[2].

2- قطع المياه:

ومن الأسباب الأخرى التي تسببت بانهيار القطاع الزراعي هو قطع المياه وشحتها، ويعد هذان الأمران من أكبر التحديات التي تهدد القطاع الزراعي في العراق، وبدل أن تعالج الحكومات المتعاقبة هذه المشكلة اتخذت قرارات غير منطقية بالمرة ضد الزراعة العراقية، ومنها:

1- تقليص مساحة الأراضي المشمولة بالخطة الزراعية الموسمية إلى النصف.

2- استبعاد محافظات معينة من الزراعة بشكل كامل.

3- منع زراعة بعض المحاصيل الزراعية.

4- مصادرة آلاف الدوانم الزراعية وتحويلها إلى مناطق سكنية مثلما حصل في اللطيفية وحزام بغداد[3].

وظهرت مشكلة المياه؛ بسبب قطع إيران لأكثر من (45) رافدا وجدولا تغذي الأنهار والأهوار في العراق، أهمها أنهار: الكرخة، والكارون، والطيب، والوند، وعدم استجابتها لطلب حكومة بغداد بعدم قطع المياه عن العراق[4]، فضلًا عن اضطراب تزويد العراق بالحصص المائية من تركيا؛ لأسباب لا تعترف بها الحكومات المتعاقبة.

وقد أثر هذا أيضًا بطبيعة الحال على الثروة الحيوانية التي هي الأخرى تراجعت بشكل كبير بتراجع القطاع الزراعي، الذي نتجت عنه الهجرة إلى المدن وتجريف البساتين التي ماتت من العطش.

وقد صرح المسؤولون في السلطات الحكومية في العراق عدة مرات باللجوء إلى المؤسسات الدولية للحصول على حق العراق بالماء من إيران، وفقا لاتفاقيات تقاسم المياه، إلا أنهم لم يخطوا أي خطوة نحو تدويل الملف على الرغم من رفض إيران لأي حلول يطرحها العراق؛ وهو ما يهدد بإنهاء الزراعة كليا في العراق، ولا سيما بعد أن صرح مسؤولون إيرانيون عدة مرات بأن إيران تنوي إغلاق منابع جميع الأنهار التي تصب باتجاه العراق.

3- ملف الطاقة الكهربائية:

يعاني العراقيون منذ (2003م)، من انقطاع التيار الكهربائي في البلاد في ظل ارتفاع درجات الحرارة الكبير في الصيف إلى أكثر من (50) درجة مئوية. وقد أنفقت الحكومات خلال عقدين من الزمن مبالغ هائلة في ملف الطاقة؛ لكن بدون جدوى. وآخر تصريح لرئيس الحكومة في سنة (2021م)

(1) انظر: موقع شفق نيوز، الرابط: https://shafaq.com/ar.

(2) انظر: موقع عراق ألترا، الرابط: https://ultrairaq.ultrasawt.com.

(3) انظر: بيان هيئة علماء المسلمين رقم (1388) الصادر بتاريخ: (2019/7/1م)، وبيان رقم (1466) الصادر بتاريخ: (2021/4/5م). بشأن مصادرة أراضي اللطيفية ومنطقة حزام بغداد.

(4) انظر: بيان وزارة الزراعة وتصريح المتحدث باسم الوزارة حميد النايف، بتاريخ: (2021/10/18م)، في موقع صحيفة العربي الجديد، الرابط:
https://www.alaraby.co.uk/economy

مصطفى الكاظمي أكد فيه على أن العراق أنفق (81) مليار دولار على قطاع الكهرباء ولا توجد كهرباء مستقرة[1].

وجاء في تقرير لمعهد بروكينغز، صادر في العام (2015م)؛ أن العراق يخسر سنويا (40) مليار دولار بسبب نقص إنتاج الطاقة، وأن انعدام الطاقة الكهربائية هو أحد أسباب توقف الصناعة بشكل كامل[2].

السبب في عدم تشغيل المصانع والمعامل هو أن الأجندات الحزبية والإرادة السياسية وأخرى اقتصادية لمتنفذين تمنع إعادة تشغيل المعامل؛ لضمان استمرار استيراد العراق ما يحتاجه بالعملة الصعبة من إيران.

ولو بحثنا من المستفيد من وضع الطاقة الكهربائية سنجد أيضا أن إيران هي المستفيد؛ لأنها هي من تبيع العراق الطاقة الكهربائية والغاز للعراق، ولا تسمح له بأن يكتفي ذاتيًا من الكهرباء، بل ولا تسمح أيضا بأن يستورد العراق الطاقة الكهربائية من غيره. وهناك تصريحات لوزراء قالوا: إنهم عندما ذهبوا لعقد اتفاقات مع المملكة العربية السعودية لتزويد العراق بالكهرباء؛ تم منع إتمام الصفقة بأوامر إيرانية، وصرحوا بأن مشكلة الكهرباء في العراق خاضعة للإرادة الإيرانية.

ومع أن العراق يشتري من إيران كهرباء بمليارات الدولارات؛ إلا أن الحقيقة تقول بأنه لا توجد كهرباء في العراق؛ لأن أحزابا سياسية موالية لإيران أجهضت مساعي وزارة الكهرباء عام (2013م)، لاستيراد الكهرباء من الكويت وربط منظومة الكهرباء الوطنية بالمنظومة الخليجية عن طريق محافظة البصرة للتخلص من الأزمة المستمرة منذ الاحتلال وحتى الآن.

وعندما وجه حيدر العبادي رئيس الحكومة بعد عام (2014م)، وزير الكهرباء قاسم الفهداوي للاتفاق مع السعودية على توفير الكهرباء واستيرادها منها، وتم التفاهم وتوقيع مذكرة بذلك؛ ألغى حيدر العبادي الاتفاقية بعد أيام قليلة. مع أن العرض السعودي كان سعره أقل من قيمة شراء الكهرباء من إيران وبسعر (21) دولارًا لكل ميغاواط/ساعة، وهو ما يعادل ربع قيمة ما يشتريه العراق من إيران، وعلى أن يتم إنجاز المشروع خلال (12) شهرًا[3]؛ ولذلك أقول أن كل ما يعلن عنه من اتفاقات بخصوص الطاقة الكهربائية وربطها بالسعودية والكويت والأردن ومصر لن يتم في ظل العملية السياسية الحالية؛ لأن إيران لا تسمح بذلك!.

وفضلًا عن ذلك فإن العراق يستورد من إيران (45) مليون متر مكعب يوميا من الغاز، مع أنه يحرق يوميا كميات هائلة من الغاز الطبيعي، ويستطيع العراق أن يوفر (200) مليون قدم مكعب من الغاز يوميا؛ ولكن القرار السياسي يمنع ذلك خدمة للمصالح الإيرانية؛ ولذلك فالعراق يعد اليوم من أكبر دول العالم حرقا للغاز وعدم الاستفادة منه[4].

وكدليل آخر مهم على ما تقدم ذكره؛ فإن (مصفاة بيجي) للنفط تعد من أكبر الشركات التي تنتج المشتقات النفطية في العراق تقع في محافظة

(1) انظر: تصريح الكاظمي في وكالة الأنباء الأردنية بتاريخ: (2021/7/10م)، الرابط:
https://petra.gov.jo/Include/InnerPagejsp?ID=183106&lang=ar&name=news
(2) انظر: موقع الحرة وتقريره عن أزمة الكهرباء في العراق، بتاريخ: (2022/6/22م)، الرابط: https://www.alhurra.com/iraq.
(3) انظر: موقع المدى برس الإخباري، بتاريخ: (2018/7/31م)، الرابط: https://almadapaper.net/view.php?cat=212347.
(4) انظر: موقع العربي الجديد، أزمة كهرباء العراق، بتاريخ: (2022/8/13م)، الرابط: https://www.alaraby.co.uk/economy.

صلاح الدين، وهي تنتج بخطوطها الإنتاجية الثلاثة (290) ألف برميل يوميا، ومصفاتين لزيوت التشحيم بطاقة ربع مليون طن سنويا، إضافة إلى واحدة من أكبر محطات توليد الكهرباء في العراق، وفيها معمل متكامل لتصنيع الزيوت النباتية؛ ولكنها توقفت عن العمل بعد أن فككتها الميليشيات الموالية لإيران وسرقت معداتها، وخربت ما تبقى منها؛ خدمة للاقتصاد الإيراني! فضلًا عن المناقصات وتهريب النفط[1].

عاشرًا: خطر إيران على المجتمع العراقي وسعيها لتفكيكه

لم يكن العراق قبل احتلاله عام (2003م) يعاني من توتر طائفي بين أبنائه فلم يكن المكونان السُني والشيعي متناقضين أو لا يمكن التوفيق بينهما بصورة نهائية، ولكن بعد احتلال العراق عملت أمريكا وإيران على زرع وإثارة المشاكل الطائفية بين أبنائه، واستخدمت عدة جهات في ذلك. وأهم الأساليب التي اتبعتها أمريكا وإيران في هذا المجال، هي:

1- تأسيس الهويات الطائفية وتغليبها على الهوية الوطنية الجامعة من خلال العملية السياسية وحكوماتها.

2- إعطاء الميليشيات الموالية لإيران مشروعية التحرك واستهداف العراقيين من المكونات الأخرى.

3- قيام قوات الاحتلال وأدواتها تقوم بتصفية الكفاءات والقيادات العراقية بغض النظر عن كونها سنية أو شيعية، ثم اتخذت أسلوب الخطف والقتل من كلا الطرفين واتهام كل طرف للآخر؛ لزرع الحقد والكراهية بين أبناء البلد الواحد.

4- استخدام مؤسسات الدولة بعد (2003م)؛ لإقصاء وتهميش العرب السنة في العراق، من خلال إبعادهم عن مواقع التأثير فيها، ولا سيما في المؤسستين العسكرية والأمنية.

5- اتهام (السنة) بالإرهاب، بينما تصول وتجول الجماعات الإرهابية الموالية لإيران وترتكب جرائم حرب ضدهم، ولا أحد يتهمها أو يستطيع مقاضاتها أو محاسبتها[2].

> **لو بحثنا من المستفيد من وضع الطاقة الكهربائية سنجد أيضا أن إيران هي المستفيد؛ لأنها هي من تبيع العراق الطاقة الكهربائية والغاز للعراق، ولا تسمح له بأن يكتفي ذاتيًا من الكهرباء، بل ولا تسمح أيضا بأن يستورد العراق الطاقة الكهربائية من غيره.**

وقد شنت القوات الحكومية وميليشياتها عمليات عسكرية عدة استباحت فيها غالب المناطق السنية التي قاومت الاحتلال الأمريكي، وكان آخر هذه الاجتياحات هو ما حدث بعد عام (2014م)، عندما قاد قاسم سليماني الحرس الثوري الإيراني، والميليشيات والقوات الحكومية بمساندة القوات الأمريكية والتحالف الدولي المتكون من أكثر من (60) دولة، بحجة قتال تنظيم (الدولة الإسلامية). وقد نتج عن هذا الاجتياح الواسع لهذه المناطق:

1- قتل وتغييب أكثر من (100) ألف عراقي من أبناء المحافظات المنكوبة.

2- تدمير عدة مدن كبيرة، بنسبة (80%) تقريبًا، فمدينة الموصل وحدها فقدت (70) ألف شخص من سكانها. وقد اعترف هوشيار زيباري

(1) انظر: موقع الجزيرة نت، تقرير لماذا التدمير في مصفاة بيجي؟ بتاريخ: (2016/2/8م)، الرابط: https://www.aljazeera.net/ebusiness.
(2) انظر: هذه الأحداث في كتاب بيانات هيئة علماء المسلمين حصاد الاحتلال الأمريكي للعراق، وكتاب التصريحات الصحفية للهيئة.

وزير الخارجية الأسبق في حكومات الاحتلال بمقتل (40) ألف شخص في لقاء له مع صحيفة (الإندبندنت) البريطانية، وأكد زيباري أنهم سقطوا بنيران القوات العراقية البرية وخاصة قوات الشرطة الاتحادية، وكذلك بالغارات الجوية التي كان ينفذها التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة[1].

3- تهجير عدة ملايين من المواطنين، ما زال مئات الآلاف منهم في مخيمات النزوح؛ حيث لا تسمح الميليشيات بعودتهم إلى مدنهم[2].

وعملت إيران أيضا على تدمير المجتمع العراقي من خلال نشر المخدرات وإنهاء الأجيال القادمة وقد أصبح تفشي المخدرات في العراق ظاهرة تشرف عليها الميليشيات الموالية لإيران ومسؤولون في السلطات الحكومية، وهذه الجهات هي من تُدخل المخدرات إلى العراق وتروج لها، وتصدرها إلى دول الجوار العراقي. وهناك اعترافات كثيرة لمسؤولين في جهاز المخابرات وبعض المسؤولين يقرون فيها بأن تجارة المخدرات هي حصة الأحزاب السياسية التي تمتلك مليشيات مسلحة، وأن من يلقى القبض عليهم من تجارها؛ تتدخل هذه الجهات لإطلاق سراحهم[3].

أحد عشر: خطر إيران العقدي والفكري

إن أخطر ما يستهدف الإنسان هو ما يكون في دينه وعقيدته؛ وقد فعلت إيران ذلك واستهدفت غالب الشعب العراقي في ذلك، وشنت عليهم حملات قاسية لفرض معتقدات وشعائر خاصة بها، عن طريق القوة والإكراه والممارسات الإجرامية. وسأورد هنا بعضا مما فعلته إيران في هذا الصدد:

1- لم تتوقف إيران عن محاولات التغيير المذهبي في المناطق السنيّة في إيران، ودول المنطقة، وبشكل خاص دول الجوار: العراق، ودول الخليج العربي، وأفغانستان، وباكستان، وتركيا. وقد وضعت القيادة الإيرانية خططها المرحلية لذلك في سياق مشروع (تصدير الثورة) المعروف؛ لكن بأساليب أقل حدّة عمّا اتبعه الخميني، للوصول إلى الهدف ذاته وهو السيطرة على المنطقة ثقافيًا والتأثير على معتقدات أهلها[4].

إن أخطر ما يستهدف الإنسان هو ما يكون في دينه وعقيدته؛ وقد فعلت إيران ذلك واستهدفت غالب الشعب العراقي في ذلك، وشنت عليهم حملات قاسية لفرض معتقدات وشعائر خاصة بها، عن طريق القوة والإكراه والممارسات الإجرامية.

2- الترويج للأفكار الطائفية والتحريضية بعد احتلال العراق، ونشرها عن طريق ميليشياتها الطائفية والأحزاب المتسلطة في العراق من خلال تبني حملات الطعون والتشكيك المنظمة.

3- الاستيلاء على مئات المساجد وتحويلها إلى حسينيات، وفرض الآذان على على وفق المذهب الإمامي في وسائل الإعلام[5].

(1) انظر: تصريح هويشار زيباري موقع الجزيرة نت، بتاريخ: ()، الرابط: https://www.aljazeera.net/news/arabic/201740/19/7/
(2) انظر: تصريح المفوضية السامية لشؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة UNHCR في العراق، في موقع روداو، الرابط: https://www.rudawarabia.net/arabic/interview/13072022
(3) انظر: موقع العربي الجديد، الرابط: https://www.alaraby.co.uk/society.
(4) انظر: الخطة الخمسينية وإسقاطاتها في مملكة البحرين، الدكتور هادف الشمري.
(5) انظر: في ذلك: بحث بعنوان السلطات الدينية وسياسة الأوقاف الإسلامية في العراق، حارث حسن، منشور في مركز مالكوم كير –كارنيغي للشرق الأوسط، الرابط https://carnegie-mec.org/201911/06//ar-pub-79283 ، وتقرير الجزيرة نت بعنوان: أوقاف السنة بالعراق التشيع أو التفجير، بتاريخ: (2017/4/3م)، الرابط: https://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews// ، وموقع العـــربي 21، الرابط: https://arabi21.com/story/812862، وبيانات الهيئة وتصريحاتها الصحفية.

4- إنشاء القنوات التلفزيونية والإذاعات، والصحف والمجلات المعدة لهذا الغرض، وتكثيف بث البرامج الدينية الموجهة لتحقيق أغراض التأثير المذهبي، والتي كانت مادتها في الغالب تقوم على: الانتقاص من متبنيات غالب العراقيين العقدية والمذهبية، والطعن بكتب (أهل السنة) والصحابة الكرام، وأمهات المؤمنين –رضي الله عنهم جميعًا–.

5- إدخال تعاليم خاصة بالطائفة الإمامية في المناهج التعليمية، وفرض ممارسة الشعائر الحسينية على أبناء مناطق بعينها، وتعطيل المؤسسات الحكومية لممارسة هذه الشعائر[1].

6- إتخاذ وسيلة الترهيب والقتل لفرض الأفكار والمعتقدات على العراقيين، ولا سيما على الأجيال الشبابية التي ولدت في حقبة الاحتلال والتغول الإيراني.

اثنا عشر: الجهود المبذولة لمواجهة الخطر الإيراني

لم يكف أهل العراق عن مواجهة الخطر الإيراني في العراق، وقد قدم أبناؤه جهودًا كبيرة لبيان خطر المشروع الإيراني والوقوف ضده، وكانت هيئة علماء المسلمين في العراق في مقدمة هذه المواجهة، وأهم ما قامت به هو الوقوف في وجه الحرب الأهلية التي سعت إيران وأمريكا لإشعالها، وقد نجحت إلى حد كبير في ذلك على الرغم من الهجمة الشرسة التي كانت أمريكا وإيران وأدواتهما تمارسانها في العراق، وأيضا كشف وفضح جرائم الحكومة وميليشياتها، ونقل الحقائق للعالم.

وقد قام أعضاء الهيئة وفي مقدمتهم الشيخ حارث الضاري بالتحذير من المشروع الإيراني في العراق، وأوصل تحذيراته مرارًا وتكرارًا إلى الدول العربية ودول الجوار. وقد دفعت الهيئة ثمنًا باهضًا جراء مواقفها هذه؛ فقد اغتيل على يد قوات الاحتلال والميليشيات الإرهابية ما يقرب من (150) من الأئمة والخطباء والدعاة وأساتذة الجامعات من أعضاء الهيئة[2].

وما زالت مواقف العشائر العراقية الأصيلة ثابتة، على الرغم من أن عددًا لا بأس به من شيوخ العشائر قد استهدفوا بالاغتيال والاختطاف –كما ذكرنا فيما تقدم– بسبب مواقفهم من الاحتلال والخطر الإيراني.

• المصادر

1- أوضاع الفلسطينيين في العراق بعد (2003م)، د. ثامر العلواني، مجلة حضارة، العدد 26.

2- بيانات هيئة علماء المسلمين في العراق.. حصاد الاحتلال الأمريكي للعراق، تقديم أ. د. بشار الفيضي. دار الجيل العربي، الطبعة الأولى، سنة (2008م).

3- التصريحات الصحفية لهيئة علماء المسلمين في العرق رصد إعلامي لأحداث ومواقف ووقائع الاحتلال الأمريكي والهيمنة الإيرانية في العراق (2003 – 2015م)، تقديم الدكتور عبد الحميد العاني، طبعة مؤسسة البصائر، سنة (1442هـ 2021–م).

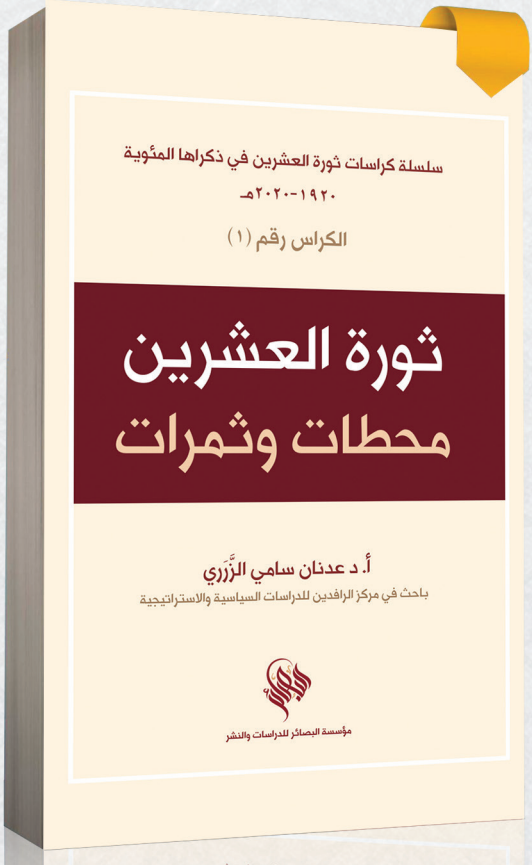
4- الخطة الخمسينية وإسقاطاتها في مملكة البحرين، الدكتور هادف الشمري، ط2، (1429هـ – 2008م). بلا مكان طبع.

(1) انظر: في ذلك: بحث بعنوان السلطات الدينية وسياسة الأوقاف الإسلامية في العراق، حارث حسن، منشور في مركز مالكوم كير –كارنيغي للشرق الأوسط، الرابط https://carnegie-mec.org/201911/06//ar-pub-79283 ، وتقرير الجزيرة نت بعنوان: أوقاف السنة بالعراق التشيع أو التفجير، بتاريخ: (2017/4/3م)، الرابط: https://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews// ، وموقع العـــربي 21، الرابط: https://arabi21.com/story/812862، وبيانات الهيئة وتصريحاتها الصحفية.

(2) انظر: في هذا الصدد: كتاب بيانات الهيئة وكتاب التصريحات الصحفية، اللذان يوثقان حوادث قتلهم، وكتاب اغتيال الكفاءات العراقية.

5- الشهيد الصدر سنوات المحنة وأيام الحصار، محمد رضا النعماني. مطبعة إسماعيليات، الطبعة الثانية سنة (1997م).
6- عام قضيته بالعراق، النضال لبناء غد مرجو، السفير بول بريمر بالاشتراك مع مالكولم ماك- كونل. ترجمة عمار الأيوبي. طبعة دار الكتاب العربية بيروت، بلا سنة طبع.
7- الكفاءات العلمية التي تم اغتيالها بعد الاحتلال الأمريكي للعراق، حسين الرشيد، وسيف الجبوري، طبعة مؤسسة البصائر الطبعة الأولى سنة (1431هـ - 2010م).
8- المشروع الأسود بين إسرائيل وإيران، سارة شريف، طبعة كنوز، الأولى، سنة (2016م).
9- وجاء دور المجوس، محمد سرور زين العابدين،الأبعاد التاريخية والعقائدية والسياسية للثورة الإيرانية، الشيخ محمد سرور زين العابدين، طبعة دار الجابية - لندن، الطبعة 10، سنة (1430هـ - 2009م).
10- 100 عام من الإسلام السياسي في العراق (1) الشيعة، رشيد الخيون، طبعة مركز المسبار للدراسات والبحوث، الطبعة الأولى، سنة (2011م).
11- مجلة البيان، العدد الصادر بتاريخ: (2013/6/26م)، والعدد 364، الصادر بتاريخ: (2017/8/23م).
12- وكالة الأناضول.
13- وكالة الأنباء الكويتية.
14- وكالة الأنباء الأردنية.
15- موقع قناة روداو.
16- موقع الجزيرة نت.
17- موقع عربي 21.
18- موقع منتدى التحالف لعلوم الدفاع.
19- موقع (BBC) عربي.
20- موقع الحرة.
21- موقع العربي الجديد.
22- موقع المدى برس الإخباري.
23-موقع شفق نيوز .
24- موقع عراق ألترا .
25- موقع قناة الرافدين الفضائية.
26- موقع هيئة علماء المسلمين في العراق.
27- موقع موسوعة ويكيبيديا.
28- مركز مالكوم كير –كارنيغي للشرق الأوسط.

ثورة العشرين
محطات وثمرات



المؤلف: الدكتور عدنان سامي الزرري
الناشر: مؤسسة البصائر للدراسات والنشر
سنة الطبع: 2022

لماذا سورية، وما مدى أهميَّتها في المخطَّط الإيرانيّ؟

أ. معين البطين[1]

تستهدف (إيران) ضمن مخطَّطها التَّوسعيّ العديد من دول المنطقة، كـ (العراق واليمن ولبنان وسورية) وغيرها، فليست (سورية) هي الدَّولة الوحيدة المستهدفة إيرانيًّا في المنطقة، بل هي جزءٌ من المنطقة الَّتي تستهدفها (إيران)، والَّتي تخطِّط للسَّيطرة عليها، وتُعدُّ هذه الدِّراسةُ عن (سورية) نموذجًا ومثالًا ينطبق إلى حدٍّ كبير على بقيَّة الدُّول الَّتي تستهدفها (إيران) في المنطقة، وتهدف (إيران) من خلال هذه السَّيطرة إلى دور تهيمن فيه إقليميًّا بدايةً، ثمَّ يقودها هذا الدَّور إلى أن تصبح دولة فوق إقليميّة، ورقمًا يصعب تجاوزه في الموازنات والمعادلات الدَّوليَّة؛ لكن من بين كلِّ تلك الدُّول الَّتي تستهدفها (إيران) في المنطقة تُعدُّ (سورية) بمثابة القلب في الإستراتيجيَّة الإيرانيَّة وذلك للأسباب الآتية:

أوَّلًا: يعتمد المخطَّط الإيرانيُّ في إحدى أهمِّ دعائمه ومرتكزاته على المذهبيَّة. ويغذِّي القائمون على هذا المخطَّط مسألةَ "المظلوميَّة" والانتصار لآل بيت النَّبيِّ –صلَّى الله عليه وسلَّم– كما يدَّعون، ويعتمدون "المظلوميَّة" محرِّكًا ودافعًا قويًّا، يشحنون به العواطف دفعًا للثَّأر، ويؤجِّجون من خلالها مشاعرهم لأجل أغراضٍ سياسيَّة وأهدافٍ توسُّعيَّة إمبراطوريَّة، ويعتبرون (سورية) تاريخيًّا هي البلد الّذي ظُلِم فيه آل البيت، وخصوصًا العاصمة (دمشق) حيث كانت عاصمة الدَّولة الأمويَّة، ولذلك نرى (حسن نصرالله) الأمين العام لما يُسمَّى (حزب الله)، وهو ذراع (إيران) العسكريّ في (لبنان) والمنطقة يصرّح علنًا مُبرِّرًا تدخُّل الحزب في الحرب الدَّائرة في (سورية) قائلًا: "لن تُسبى زينب مرَّتين"، يقصد (السَّيِّدة زينب) بنت سيّدنا (عليٍّ) – رضي الله عنه – مع أنَّ المقام المنسوب إلى (السَّيِّدة زينب) بالقرب من (دمشق) هو مقام لا تثبت نسبته إلى (السَّيِّدة زينب)، وكذلك نرى الميليشيات الطائفية الإيرانيّة الَّتي تقاتل في (سورية) ترفع راياتٍ وشعاراتٍ تؤكِّد من خلالها استحضار مسألة المظلوميَّة الّتي تعرَّض لها آل بيت النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – وضرورة الانتقام مثل شعارات: "يا لَثارات الحسين " و " لبَّيك يا حسين" و "لبَّيكِ يا زينب".

(1) المتحدث باسم المجلس الإسلامي السوري.

بمنتهى الوضوح
لا لحربٍ سنيَّةٍ شيعيّةٍ ولا للطّائفيّة الّتي يراد بها تدمير المنطقة وتفتيتها

هنالك طرحٌ وقراءةٌ يتبنَّاها كثيرٌ من السّاسة والمفكّرين والكُتَّاب مفادُه أنَّ الدُّول الكبرى في عالمنا تريد إدخال منطقتنا برمَّتها في صراع طائفيٍّ وحرب سُنيَّة شيعيَّة يخسر فيها الجميع ولا يربح فيها سُنَّةٌ ولا شيعةٌ، بل يدمِّر بعضهم بعضًا ويقتل بعضهم بعضًا باسم المذهب والدِّين، وبذلك لا تخسر الدُّول الكبرى شيئًا ولا تخوض معركةً مباشرةً، بل تخوض معاركها بأيدي أبناء المنطقة، وتكون هي الرابحَ بل والمُتحكِّم في إعادة رسم خارطة المنطقة ضمن ما يُسمَّى بـ"الشَّرق الأوسط الجديد"، وهو المخطّط الَّذي يتمُّ رسمه للمنطقة بعد إدخالها فيما يعرف بسيناريو "الفوضى الخلَّاقة"، كما صرَّحت بهذه التَّسمية (كونداليزا رايس) وزيرةُ الخارجيَّةِ الأمريكيَّةِ، وذلك في حديث لواشنطن بوست عام (2005م)[1]، وأنَّ هذه هي السِّياسةُ الأميركيَّة لرسم شرقٍ أوسط جديد بعد إدخاله في دوَّامة الحروب هذه، ولذلك فإنَّ علينا أن نكون بكامل الوعي لهذا الكيد والتَّخطيط الكارثيّ، وألَّا ننجرف فيه، وألَّا نكون أداةً في تنفيذه عن طريق التَّحريض والوقوع في الفخّ الطَّائفيّ، بل علينا أبناءَ المنطقة جميعًا "سُنَّةً وشيعةً" أن نعمل على إفشاله، وأن نُبعِد المنطقة وأهلها عن وحش الطَّائفيَّة، وعن ذلك السِّيناريو المرعب المدمِّر الَّذي لا يخدم سُنَّةً ولا شيعةً، بل يخدم فقط من يريد تدمير منطقتنا وأهلها، ليُعيد بعد ذلك صياغتها وفقًا لمصالحه وسياساته، هذا هو الطَّرح الَّذي يتبنَّاه أولئك السَّاسة والمفكّرون والكُتَّاب، وهو بالتَّأكيد طرحٌ صحيحٌ ووعيٌ ضروريٌّ ومهمٌّ، لكنَّ هذا الطَّرح يحتاج إلى تتمَّات مهمَّة وضروريَّة لا يكتمل المشهدُ بدونها، ولا تتَّضح الحقيقة إلا باستكمالها، وذلك لأجل تحديد المشتركين والأدوات في سيناريو الفوضى الخلَّاقة، ولأجل أن تتَّضحَ الرُّؤيةُ تمامًا، ونقرأ المشهد قراءةً واقعيَّةً صحيحةً نستطيع أن نبني مواقفنا بعدها وأحكامنا على أساسٍ واضحٍ ثابت لا بد من تلك التَّتمّات والإيضاحات المهمّة اللّازمة، هذه التَّتمَّاتُ والإيضاحات هي:

أوَّلًا: إنَّ (إيران) هي الدَّولة التَّي تقوم بإذكاء نار الطَّائفيَّة خارج حدودها وأراضيها، بل إنَّها لَتعتدي على مقدَّسات "السُّنَّة" وتحوِّل المساجد إلى حُسينيَّات، وتنشر هي وميليشياتها شعارات "لن تُسبى زينب مرّتين" في (سورية)، وتتحدَّث عن تدخُّلها لحماية المقامات، مع أنَّ هذه المقامات محفوظةٌ مصونةٌ في مناطق "السُّنَّة" منذ قرون طويلة، لمْ ولا ولنْ يعتدي عليها مُسلم مِن أهل السُّنّة، وذلك لأنَّ آل بيت النَّبيّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – لهم في قلوب وأرواح ووجدان أهل "السُّنَّة" جميعًا المحبَّةُ الرَّاسخةُ، والتَّقدير والاحترام الجمُّ، والمكانةُ الَّتي لا تدانيها مكانة، وإنَّ كُتب "السُّنَّة" مليئةٌ بذكر فضائل آل بيت النَّبيّ –عليه الصَّلاة والسَّلام–، ووجوب محبَّتهم وموالاتهم، ولذلك فإنَّ الطَّرَف الَّذي يتحمَّل مسؤوليَّةَ إدخال المنطقة في أتون الطَّائفيَّة هو (إيران)، وسواءً أكان ذلك عن تنسيقٍ مع الدُّول الَّتي تُخطِّط لسيناريو الفوضى والحروب الطَّائفيَّة، أم عن غباء رضيتْ فيه (إيران) أن تكون الأداة المستخدمة لتنفيذه علَّها تنال فُتاتًا من الكعكة المتوهَّمة.

ثانيًا: إنَّ دفاع المضطَّر عن مقدَّساته ودينه وأرضه وعرضه هو حقٌّ تضمنه الشَّرائع الدّينيّة والوضعيّة جميعًا، وطريقٌ لا مَحيد عنه لأجل الحفاظ على هذا الحقّ في وجه عدوان (إيران) الَّذي يستهدف هُويَّتنا وانتماءنا وتاريخنا وبلادنا، وفرقٌ هائلٌ وبونٌ شاسعٌ بين دفاع المضطَّر وبين المهاجمة والسَّعي في تأجيج

(1) الجزيرة نت: أمريكا ومشاريع الفوضى الخلاقة – 2017/11/16م.

الطَّائفيَّة الَّتي تمارسها (إيران) وميليشياتها، ولذلك فإنَّ هذا الطَّرح ينبغي أن يُوجَّه إلى الطَّرف المُباشِر للعدوان، أي (إيران)، وأن تُقام عليها الحُجَّة من خلاله، وبأنَّها مِن خلال هذا العمل تخدم الدُّول الَّتي تريد أن يسود سيناريو "الفوضى الخلَّاقة" في المنطقة، وليس من الإنصاف أن تُحمَّل المسؤوليَّة للجميع، أو أن تُوجَّه التُّهمة للضَّحيَّة وللطَّرف الَّذي تغرس (إيران) خنجرها في جسده.

ثالثًا: تريد (إيران) أن تكون في المنطقة إمبراطوريَّةً فارسيَّةً جديدةً ، تُزاوج في إمبراطوريَّتها بين قوميَّتها الفارسيَّة وشيعيَّتها، والدُّولُ الكبرى صاحبةُ مخطَّط الفوضى تدرك وتعلم هذا، وهي لا تسمحُ لـ(إيرانَ) بالوصول إلى حُلمها هذا، ولكنَّها تريدها عصًا بيدها في المنطقة، تريدها دولةً أداةً لا لاعبًا ندًّا قويًّا، ولكنَّ (إيران) من أجل تحقيق حُلمها هذا استخدمت الطَّائفيَّة بأبشع صورها ورضيت أن تكون تلك الأداة، ولذلك فهي شريكٌ أساسٌ في جريمة إدخال المنطقة في حروب الطَّائفيَّة المدمِّرة، وهي الَّتي ينبغي أن تُحمَّل وحدها وزرَ وتبعاتِ هذه الجريمة وليس الطَّرف المعتدى عليه والمضطرَّ للدِّفاع عن حقوقه ومقدَّساته.

• دور المرجعيَّات غير السُّوريَّة في مخطَّط الهيمنة على سورية

قامتْ هذه الشَّريحة ولا زالت تقوم بدورٍ كبيرٍ في أعمال التَّشييع والنَّشاطات الدَّاعية إليه في (سورية)، وذلك خلال فترة حكم (حافظ الأسد)، ابتداءً من زيارة (موسى الصَّدر) عام (1974م)، ثمَّ اتَّسعت وازدادت نشاطات هذه الشَّريحة خلال فترة حكم (بشَّار الأسد)، وقد تنوَّعت هذه النَّشاطات وتعدَّدت لأجل إحداث تغيُّرات متراكمةٍ متتابعةٍ تؤدِّي إلى تحويل هُويَّة البلاد باتجاه هويَّة ذهبيَّة أخرى، وهذا عرضٌ لأبرز هذه الشَّخصيّات والأعمال الَّتي قامت بها في (سورية).

> **إنَّ دفاع المضطَّر عن مقدَّساته ودينه وأرضه وعرضه هو حقٌّ تضمنه الشَّرائع الدّينيّة والوضعيّة جميعًا، وطريقٌ لا مَحيد عنه لأجل الحفاظ على هذا الحقِّ في وجه عدوان (إيران) الَّذي يستهدف هُويَّتنا وانتماءنا وتاريخنا وبلادنا.**

أولًا: المرجع حسن مهديّ الحُسينيّ الشِّيرازيّ:

وهو عراقيُّ الجنسيَّة إيرانيُّ الأصل، كان يُكثِر التَّردُّدَ إلى (سورية)، والإقامةَ في بلدة (راوية)، والمعروفة اليوم بمنطقة (السَّيِّدة زينب)، وقد التقى (حافظ الأسد)، وقام بتأسيس أوَّل حوزة في (سورية)، وهي (الحوزة العلميَّة الزَّينبيَّة)، وقد اعتبر (الشِّيرازيُّ) يوم افتتاحها فتحًا للشِّيعة وجبرًا للتَّاريخ.[1]

ثانيًا: المرجع محمَّد حسين فضل الله:

أسَّس حوزة (المرتضى) في منطقة (السَّيِّدة زينب)[2]، وكانت له دروسٌ أسبوعيَّة في حوزات (السَّيِّدة زينب)، شارك في افتتاح حسينيَّة (الرَّسول الأعظم) في حيِّ (المطار) في مدينة (درعا).

ثالثًا: آية الله محمَّد عليّ التَّسخيريّ:

إيرانيُّ الجنسيَّة، ينادي بالتَّقريب بين المذاهب، شغل منصب نائب رئيس الاتِّحاد العالميّ لعلماء المسلمين، الَّذي كان يرأسه الدُّكتور (يوسف القرضاويّ)، وهو يَظهرُ بمظهر المعتدل في

(1) الوطن أون لاين: الكعكة السياسية تدفع الأسد لدعم شيعة لبنان – الاثنين 2018/08/12م.
(2) الوطن أون لاين: الشّيعة يسطون على مقامات مهملة في سورية والأسد يتغاضى ليضمن الحكم لنجله – 2018/03/14م.

الأوساط السُّنيَّة، في حين أنَّه يرفض إقامة مسجدٍ للسُّنّة في العاصمة الإيرانيَّة (طهران) رغم وجود أكثر من مليون مسلم سنّيٍّ فيها، وقام بالعديد من النَّشاطات والمشاركات في (سورية) تحت شعار التَّقريب بين المذاهب.[1]

رابعًا: آية الله أبو الفضل طباطبائيّ أشكذريّ:

وهو ممثِّل الإمام (الخامنئيّ) في (سورية)، يقوم بالعديد من النَّشاطات والزِّيارات لمختلف المدن السُّوريَّة، ويحرص على استقطاب الشَّخصيّات المؤثِّرة عشائريًّا وغير ذلك، قام بزيارةِ (درعا) و (حمص) بعد ما سمَّاه انتصارًا للنِّظام في (سـوريَّة) ولـ(إيران)، يعمل من خلال زياراته على ترسيخ مشروع ولاية الفقيه، حيث يُعتبر هو الممثِّل لـ (مؤسَّسة ولاية الفقيه) في (سورية).[2]

أهمُّ المدن السُّوريّة المستهدفة في المخطَّط الإيرانيّ

• **مدينة دمشق وريفها:**

تَعتبر (إيران) مدينةَ (دمشق) درَّة مشروعها التّوسّعيّ ، وذلك لما لهذه المدينة من أهميَّة ورمزيَّة تاريخيَّة "عاصمة الدَّولة الأُمويَّة" ولأنَّها بلدُ العتبات المقدَّسة كما يقول المراجعُ "الشِّيعة"، ولأنَّ تغيير هُويَّة (دمشق) إلى هُويَّةٍ مذهبيَّةٍ شيعيَّةٍ يقود إلى تغيير هُويَّة (سورية) بأكملها، ويجعلها تابعةً لـ(إيران) سياسيًّا وثقافيًّا واقتصاديًّا و....، ولذلك فإنَّ (إيران) تعمل بكلِّ الطُّرق والوسائل المتاحة لتغيير هُويَّة (دمشق) وديموغرافيَّتها وثقافتها، وهذا عرضٌ لبعض الأعمال والتَّغييرات الَّتي أحدثتها (إيران) في مدينة دمشق وريفها.

– مقام السَّيِّدة زينب:

تمّ بناء المقام على الطِّراز الفارسيّ على مساحة (15000)م2، وتمّ أيضًا بناء مقبرة بجوار المقام يُدفن فيها أعلام "الشِّيعة" (المرجع شريعتيّ، ومحسن الأمين العامليّ....)، وتمّ كذلك بناء مدارس بمحيط المقام لتخريج المعمّمين، وكذلك بناء ما يلزم من فنادق (قصر النّعيم – الرّوضة – ذو الفقار– النّصر)، ومحالّ تجاريّة ترفع صورًا طائفيّة، اللّغةُ السّائدة فيها الفارسيّة، والتّعامل يتمُّ بالعملة الإيرانيّة.

– يشكّك آيةُ الله (السّيّد محسن الأمين) بصحّة مكان المقام المنسوب لـ (السَّيِّدة زينب) بنت (علي بن أبي طالب) –رضي الله عنه– بالقرب من (دمشق)[3].

– المحقّقون من "السُّنَّة" و "الشِّيعة" ينفون أن تكون (السَّيِّدة زينب) دُفنت في (دمشق) أو في (القاهرة)، بل إنّ الثّابت أنّ (السَّيِّدة زينب) قد تمّ دفنها في (البقيع) في (المدينة المنوَّرة).

– يدير المقام أشخاص مرتبطون بالمشروع الإيرانيّ مثل السّيّد: (هاني مرتضى)[4].

– تُعدُّ منطقة (السَّيِّدة زينب) في (دمشق) المدينة الثَّالثة المقدّسة عند "الشِّيعة" بعد (قم) و (النَّجف)، يزورها سنويًّا (1.5) مليون من "الشِّيعة" الإيرانيّين وغيرهم، وقد تمّ إنشاء العديد من الحوزات فيها، وكان ابتداء الإنشاء في فترة حكم (حافظ الأسد)، عندما وافق لآية الله (حسن الحسينيّ الشّيرازيّ) عام (1975م) على إنشاء أوّل حوزة في منطقة (السَّيِّدة زينب)، وقد اعتبر (الشّيرازيّ) هذا الحدث فتحًا للشّيعة وجبرًا للتّاريخ.

(1) الرّاصد: الوجه الآخر 4– محمد علي التسخيري – 2014/03/03م.
(2) العربي: ممثل خامنئي في سورية يزور محافظة درعا جنوب البلاد – 2018/10/26م – موقع دام برس: ممثل الإمام الخامنئي يزور سورية ويلتقي أهالي حمص – 2018/08/06م.
(3) صحيفة النّهار: لغز زينب الكبرى – 2013/07/27م.
(4) وزير التّعليم العاليّ سابقاً.

أسماء بعض الحوزات المقامة في منطقة السَّيِّدة زينب وغيرها في دمشق:

1- حوزة الإمام (عليّ) أو (الحوزة الحيدريّة)، أسَّسها السّيّد (حسين فضل الله)
2- حوزة الإمام (جواد التّبريزيّ)، أسَّسها (عبّاس النّزّاع)
3- حوزة الإمام (الصّادق).
4- حوزة (الرّسول الأعظم).
5- حوزة (الإمام المجتبى).
6- حوزة (الإمام الحسين).
7- حوزة الإمام (زين العابدين).
8- حوزة (قمر بني هاشم).
9- حوزة (إمام الزّمان).
10- حوزة (الشّهيدين الصّدّيقين).
11- حوزة (الإمام المهديّ)، أسّسها (علي باقر قصور الهنديّ) عام (2002م).
12- حوزة (فقه الأئمّة الأطهار)، أسَّسها آية الله محمد فاضل التّكراتي عام /2006م/.
13- حوزة (الإمام الخمينيّ)، تمّ إنشاؤها عام (1981م).
14- حوزة (الإمام المرتضى)، أسَّسها الشّيخ (محمّد حسين فضل الله) عام (1995م).
15- حوزة (المصطفى)، أسَّسها الشّيخ (كمال الوكيل) الأمين العام لحركة الوفاق الإسلاميّ عام (1995م).
16- حوزة (الإمام القائم)، أسَّسها الشّيخ (محمّد تقيّ المدرّس).
17- حوزة (أهل البيت)، أسَّسها السّيّد (محمّد الموسويّ) عام (1996م).
18- حوزة (الإمام السِّيستانيّ)، أسَّسها الشّيخ (حليم البهبهائيّ)(1996م).
19- (الحوزة الزّينبيّة)، أسَّسها الشّيخ (حسن مهديّ الحسينيّ الشّيرازيّ).
20- تمّ أيضًا إنشاء عدّة حوزات في أحياء (دمشق) تحت إشراف جمعيّة (آل البيت) في حيّ (الأمين)، وجمعيّة (التّعاضد) في حيّ (الجورة)، وجمعيّة (شمس الولاية) في حيّ (زين العابدين).

- تزعم (إيران) وجود (49 مقامًا) شيعيًّا في (سورية)، منها (20 مقامًا) في (دمشق) وريفها، يقول (هاشم عثمان) في كتابه (مشاهد ومزارات ومقامات آل البيت عليهم السّلام في سورية): "يوجد في (سورية) (49 مقامًا ومشهدًا)، أغلبها في (دمشق)، حيث يوجد فيها (20 مقامًا)، وفي (حلب) (7 مقامات)، وفي (حماة) (4 مقامات)، وفي (حمص) (3 مقامات)، وما تبقّى منتشر في (اللّاذقيّة) و (الجزيرة) و (الجنوب السّوريّ).

- وتقوم (إيران) بالبناء حول هذه المقامات، بما يُصطلَح عليه بـ "حرب القبور"، إشارة إلى العمل المحموم لتغيير هُويّة (سورية) عن طريق بناء المقامات على القبور.

"تغيير هُويَّة (دمشق) إلى هُويَّةٍ مذهبيَّةٍ شيعيَّةٍ يقود إلى تغيير هُويَّة (سورية) بأكملها، ويجعلها تابعةً لـ(إيران) سياسيًّا وثقافيًّا واقتصاديًّا و....، ولذلك فإنَّ (إيران) تعمل بكلِّ الطُّرق والوسائل المتاحة لتغيير هُويَّة (دمشق) وديموغرافيَّتها وثقافتها."

من المقامات التي تمّ بناؤها في دمشق وريفها:

مقام (السَّيِّدة زينب)، مقام (السَّيِّدة رقيَّة) في حيّ (العمارة)، مقام (حجر بن عديّ) في (عدرا)، مقام (سكينة بنت الحسين) في (داريّا)، مقام (ميمونة بنت الحسين) في (الباب الصّغير)، مقام (أمُّ كلثوم بنت عليّ) في (الباب الصّغير)، وكذلك مقامات: (عبد الله بن جعفر)، و (عبد الله بن عليّ بن الحسين)

في (الباب الصّغير) أيضًا، إضافة إلى مدفن ومقام رؤوس الشُّهداء الّذين استشهدوا في كربلاء مع الإمام (الحسين) –رضي الله عنه– على يمين المدخل الرّئيسيّ لمقبرة (الباب الصّغير).

– عام (2006م) وتحديدًا في (20 كانون الثاني) قام (محمود أحمدي نجاد) الرّئيس الأسبق لـ(إيران) بزيارة (داريّا) مقام (السّيّدة سكينة) في رسالة توضّح أهميّة إنشاء المقامات في الاستراتيجيَّة الإيرانيَّة، في ذلك الوقت تكلّم خطيب مسجد (أنس بن مالك) في داريّا الشّيخ (نبيل الأحمر) عن زيف دعوى وجود مقام لـ (السّيّدة سكينة) في (داريّا)، وأنّ كبار السّنّ في (داريّا) يعرفون أنّ القبر هناك هو لامرأة مِن أهل (داريّا).[1]

– لم يذكر كتاب (تاريخ داريّا) لـ (عبد الجبّار بن محمّد بن مهنّا الخولانيّ) وهو أشهر الكتب التّاريخيّة وأهمّها وأكثرها ثقة عند المؤرّخين في مدينة (داريّا) أيّ شيء بخصوص المقام، وكذلك الكتب الأُخرى، ورجّح (ابن عساكر) أنّ (السّيّدة سكينة) ماتتْ في (المدينة المنوّرة).

– كيف تنشر إيران الطّائفيّة في (دمشق)؟

– عملت (إيران) وميليشياتها الطّائفيَّة على نشر ثقافة اللّطميّات والمسيرات الكربلائيّة خصوصًا في قلب (دمشق) في أحيائها القديمة مثل (زين العابدين)، و (شارع الأمين)، و (الشّاغور)، وفي ساحات وحرم (الجامع الأمويّ).

– ولقد كانت أبشع صور الطّائفيّة والدّعوة إليها تلك الّتي نادى بها (زين العابدين مراد) في حيّ (الأمين) إلى حرق (دمشق) بمن فيها، وتدخّل على إثر ذلك (عبد الله نظام) لتطويق تداعيات تلك الدّعوة، و (عبد الله نظام) من أبرز رجالات (إيران) في (سورية)، عمل مستشارًا لوزير الأوقاف، ويُلقّب برجل الإمداد الإيرانيّ في (سورية).

– تقوم (إيران) عن طريق سفارتها في (دمشق) والمستشاريَّة الثَّقافيَّة الإيرانيَّة في حيّ (المرجة) بنشر الطّائفيَّة من خلال معارض الكتب المتوالية، تلك الكتب المروّجة لـ(إيران) وأجندتها، يُضاف إلى ذلك نشاط الثّانويَّة المحسنيّة والّتي تُعرف بمركز الجاسوسيّة الإيرانيّة في حيّ (الأمين)، ومعهد (السّيّدة رقيَّة) الّذي أصبح أحد دعائم ومكوّنات جامعة (بلاد الشّام).

– نشاط إيران العقاريّ في (دمشق):

– اشترت (إيران) (8000 عقار) في (دمشق) مسجّلة في السّجل العقاريّ، وذلك في أحياء (دمشق) القديمة، وخصوصًا حول المقامات وفي محيط (المسجد الأمويّ)، هذه المنطقة الّتي يوجد فيها قبور لأشخاص لهم رمزيّة ومكانة كبيرة في تاريخ الأمّة مثل (الظّاهر بيبرس)، و (نور الدّين محمود الشّهيد)، و (صلاح الدّين الأيّوبيّ)، وابنه (الملك العادل)، واستملكَت عائلة نظام الشّيعيّة بيت الشّاعر (نزار قبّانيّ)، وملأتْ جدرانه بالصّور ذات الدّلالة الطّائفيّة، بل ومنعتْه من استرداد بيته عندما عاد إلى (دمشق) سنة (1993م).

> **تقوم (إيران) بالبناء حول المقامات، بما يُصطلَح عليه بـ "حرب القبور"، إشارة إلى العمل المحموم لتغيير هُويّة (سورية) عن طريق بناء المقامات على القبور.**

– من الحوادث الشّهيرة الّتي تُبيّن مدى استهداف (دمشق) القديمة من قبل (إيران) (حريق العصرونيّة)،

(1) الشّيخ (نبيل الأحمر) اعتقله النّظام بعد عام (2011م) وتمّت تصفيته في السّجن.

هذا الحريق الّذي أتى على الكثير مِن المحالّ التّجاريّة الّتي تعود ملكيّتها لتجّار دمشقيّين رفضوا بيعها، ولم يخضعوا للضّغوط الّتي تمّت ممارستُها عليهم لأجل بيعها، فتمّ افتعال هذا الحريق تحت سمع وبصر النّظام، ولم تصل سيّارات الإطفاء إلّا بعد ثلاث ساعات على الرّغم من قرب الإطفائيّة الشّديد مِن (العصرونيّة).

– تملك السَّفارة الإيرانيَّة بدمشق المساحة الواقعة خلف مشفى (الرَّازيّ)، وجنوب المتحلِّق الجنوبيّ، وهي تعادل 20% من مساحة (دمشق)[1]، وقامت (إيران) بتوقيع عقود مع النّظام لإنشاء (200 ألف) وحدة سكنيَّة في هذه المنطقة وغيرها في (سورية).[2]

– اشترت (إيران) فنادق: (آسيا – كالدة – الإيوان – دمشق الدَّوليّ – فينيسيا – البتراء – السّفير ....).[3]

– ينشط في الشِّراء للعقارات رجل الأعمال الشّيعيّ (عبد الحميد دشتي) ((كويتيّ حصل على الجنسيّة السّوريّة)) وكذلك كلٌّ من: (هارون عبد الحسين حاجي محمّد بهمن)، و (موسى عبد الحسين حاجي محمّد بهمن)، و (عفيفة عبد الحسين محمّد بهمن)، وكلٌّ منهم يملك الثُّلث من الشَّركة الّتي تحمل اسم (الأنوار الماسيَّة) العاملة في مجال الخدمات الفندقيَّة والسِّياحيَّة في منطقة (السَّيِّدة زينب).[4]

– حزام شيعيّ حول (دمشق):

تعمل (إيران) على إقامة ما يُشكّل حزامًا شيعيًّا حول (دمشق) من خلال حملات التَّهجير الطَّائفيَّة الَّتي تقوم بها مع ميليشياتها، وخصوصًا (حزب الله)، وذلك لضمان السَّيطرة على (دمشق) وتحقيقِ مشروعها الجيوطائفيّ الَّذي يربط (دمشق) وريفها بمناطق (حزب الله) في (لبنان)، وقد استهدفت هذه الحملات محيط (دمشق) (الزَّبدانيّ –مضايا – المعضّميَّة – داريَّا – الحجر الأسود – مخيَّم اليرموك – مخيَّم فلسطين– ببيلا –يلدا – حجّيرة –سيدي مقداد – السَّيِّدة زينب.....)، وكمثال على هذا قامتْ المليشيات الطائفية (أبو الفضل العبّاس)، (حزب الله)، (لواء بدر)، (لواء أسد الله الغالب) باقتحام البلدات المحيطة بـ(السَّيِّدة زينب) (حجّيرة والذّيابيّة وببيلا والحسينيّة)، ثمّ قامت بطرد من بقي حيًّا فيها بعد الحصار الّذي فرضتْه عليها، ولأجل معرفة أنَّ العمل على إقامة وإيجاد هذا الحزام هو مخطَّطٌ إيرانيٌّ يتمُّ بالتَّعاون مع النِّظام في (سورية)، يكفي أن نُورِد شهادة القاضي (محمَّد قاسم ناصر) لوكالة الأناضول حيثُ يقول: "كنت قاضي الصُّلح في محكمتي (داريَّا) و (المعضّميَّة)، وبعد تدمير (داريَّا) وقتل من قُتل وتهجير من هُجِّر من أهلها، بدأ بعض من قام بذلك بالتَّقدُّم بدعاوى تثبيت بيع أراضي، ويقولون إنَّهم اشتروا الأراضي من أصحابها الَّذين هربوا من أراضيهم، أو قُتلوا، أصحابُ الأرض لم يكونوا موجودين، ومن يدَّعون ملكيَّة الأرض يتقدَّمون بدعوى غيابيَّة، ويأتون بوكالاتٍ مزوَّرةٍ من كاتب العدل، يحصلون عليها من (دمشق) و (ريف دمشق)، وبعقودٍ وهميَّةٍ، ويأتون إلينا ويقولون: إنَّ هذه الأراضي اشتريناها من أهاليها قبل أن ينزحوا منها، أو يُعتقلوا أو يُقتَلوا، في البداية كنَّا نردُّ الدَّعاوى بحُجَّة أنَّ التَّبليغَ باطلٌ، والمالكَ الأصليَّ غير موجود، إلى أن أصدر (بشَّار الأسد) مرسومًا يُسهِّل للإيرانيّين

(1) شبكة رؤية الإخبارية: هل تتحوّل عاصمة الأمويّين إلى ضاحية شيعيّة 2020/02/12م.
(2) موقع حرية: إيران تعلن أنّها بصدد بناء (200 ألف) وحدة سكنية في سوريا 2019/02/25م.
(3) عربي 21: رجال أعمال إيرانيون يشترون دمشق بتواطؤ من النظام – 2015/09/27م – أورينت نت: التّواجد الشّيعيّ في دمشق ومحاولات تغيير ديموغرافيتها 2015/07/20م.
(4) زمان الوصل: المستثمرون الكويتيّون الشّيعة موسم الهجرة إلى سورية – 2019/12/16م.

وأعوانهم سرقة ونهب الأراضي، وهو القانون رقم (25) لعام (2013م) ، الَّذي سمح بتبليغ المدَّعى عليه غيابيًّا عن طريق الصُّحف في المناطق السَّاخنة، حتّى ولو لم يكن مالك الأرض موجودًا في المحكمة، وهو قانونٌ معيبٌ، وأثارَ دهشة العاملين في الوسط القانونيّ كلِّهم".[1]

مدينة (حلب):

تستهدف (إيران) مدينة (حلب) أيضًا، وتعمل على إثبات أنَّ للمدينة تاريخًا شيعيًّا من خلال بناء المقامات في المواقع الَّتي ينسبها "الشِّيعة" إلى آل البيت، وهذه أيضًا بعض الأعمال والنَّشاطات الَّتي تقوم بها (إيران) وأذرعها لنشر التَّشيُّع في (حلب)، وجعلها جزءًا من المخطَّط الإيرانيّ:

أوَّلًا: قامت إحدى المؤسَّسات الإيرانيَّة الفنيَّة الكبرى بإنتاج عملٍ مسرحيٍّ تحريضيٍّ طائفيٍّ خطير، هذه المؤسَّسة هي (مركز فنون الثَّورة الخُمينيَّة "مَهاد")، والمسرحيَّةُ تحمل عنوان (الشَّمس تشرقُ من حلب) وكاتب المسرحيَّة هو الإيرانيُّ (أبو باسم حيادار)، وهي من إخراج (كورش زارعيّ) وهو طائفيٌّ بامتياز، أمَّا مكان عرضها الأوَّل فقد تمَّ اختيار (مشهد النُّقطة) في حيّ (المشهد) في مدينة (حلب)، لينطلق العرض منها، والممثِّلون فنَّانون إيرانيّون وسوريُّون موالون لـ(إيران)، والمسرحيَّة مستوحاةٌ من مسرحيَّة (هيهات منَّا الذِّلَّة) و (انتصار الدَّم على السَّيف) أو (الثَّورة الخمينيَّة)، تمَّ عرض مشاهد كربلاء في هذه المسرحيَّة على شاشاتٍ ضخمةٍ تربط المُشَاهد بالحاضر، وتُلبس الثَّورة السُّوريَّة ثوب الإرهاب والتَّطرُّف، وقد عُرِضتْ عشر مرَّات بمعدَّل حضور (1500 مُشاهد) في المرَّة الواحدة، ثمَّ تمَّ نقل العروض إلى مدينة (دمشق)، لُيتَابَع بعد ذلك عرضُ هذه المسرحيَّة الطَّائفيَّة التَّحريضيَّة التي تُسيئُ إلى "السُّنَّة" في مدن سوريَّة أُخرى.[2]

إنَّ عملًا ضخمًا كهذا العمل تقف وراءهُ الدَّولةُ الإيرانيَّة بثقلها الفنّي ودعمها الماليّ، واختيار مدينة (حلب) لينطلق منها العرضُ الأوَّل لَهُوَ دلالةٌ واضحةٌ على مدى الأهميَّة الّتي تُوليها (إيران) لتشييع مدينة (حلب) وتغيير هُويَّتها وثقافتها.

ثانيًا: تقوم الميليشيات الطائفية باحتفالاتٍ واسعة تستهدف الأطفال، حصل ذلك في ساحة (سعد الله الجابريّ) الشَّهيرة في قلب مدينة (حلب)، تمَّ فيها رفع رايات (حزب الله) وأغانٍ تشيد بالحزب، وتتمُّ كثيرٌ من الأعمال الَّتي تستهدف الأطفال والأُسر برعاية قائد فيلق المجاهدين (الحاجّ محسن)[3]، وكذلك مركز الثَّقلين الخيريّ الَّذي يعمل على استقطاب الفقراء بالمساعدات مقابلَ حضور دروسِ المعمَّمين "الشِّيعة"[4]، وكذلك (جمعيّة الإحسان الخيريّة) و (مؤسّسة الشّهيد) و (جمعيّة المهديّ).

> **تعمل (إيران) على إقامة ما يُشكّل حزامًا شيعيًّا حول (دمشق) من خلال حملات التَّهجير الطَّائفيَّة الَّتي تقوم بها مع ميليشياتها، وخصوصًا (حزب الله)، وذلك لضمان السَّيطرة على (دمشقَ) وتحقيقِ مشروعها الجيوطائفيّ الَّذي يربط (دمشق) وريفها بمناطق (حزب الله) في (لبنان).**

ثالثًا: تتمُّ أكثر النَّشاطات التَّشييعيَّة في حيّ (المشهد)، والَّذي تمَّ تهجير عشرات الآلاف من أهله، وذلك في

(1) موقع جيرون: 2017/05/10م.
(2) آرام ميديا: التَّشيّع يغزو سورية – الشَّمس تشرق من حلب – 2019/10/26م.
(3) المدن: فيلق المدافعين عن حلب، أربعة مربّعات للنفوذ الإيرانيّ – 2019/06/30م.
(4) عين على سوريا: جمعيات إيرانيّة تعمل لإحداث تغيير ديموغرافيّ في مدينة (حلب) – 2020/02/06 م.

منطقة تُعرَفُ بـ (مشهد النُّقطة) أو (مسجد النُّقطة)، وهو بناءٌ أعادت ترميمه (جمعيَّة الإعمار والإحسان الجعفريَّة)، والبناءُ تمَّ فوق جبل (الجوشن)، وقد كان تاريخيًّا يُعرف باسم (دير مارث مروثا)، تقول الرِّوايات الطائفية: "إنَّ حَمَلة رأس (الحُسين) مرُّوا به على هذا الدَّير، ووضعوه على صخرةٍ هناك فسالت نقطةٌ من دمه على الصَّخرة"، وبناءً على ذلك تمَّ بناء (مسجد النُّقطة)، والآن أصبح هذا المكان مركزًا كبيرًا للتَّشييع، تزوره كبار الشَّخصيَّات الشِّيعيَّة، ويقيمون فيه الاحتفالات والنَّشاطات، ويكفي أن نعرف أنَّ من بين الشَّخصيَّات الَّتي شاركت في النَّشاطات الَّتي تُقام فيه (الشَّيخ نعيم قاسم) نائب الأمين العام لـ (حزب الله) اللُّبناني[1]، وذلك خلال الاحتفالات بما يُعرَف بأُسبوع الوحدة الإسلاميَّة، وكذلك يُوجد مقامٌ آخر في حيّ (المشهد) على جبل (الجوشن) يُعرَف بـ (مقام محسن بن الحُسين).

رابعًا: تقوم (إيران) أيضًا بالعمل على تغيير هُويَّة (حلب) من خلال الجانب التَّعليميّ، وقد أنشأت فيها ثانويَّتين شرعيّتين شيعيّتين، ومدرسة في جمعية الزّهراء.

مدينة حمص وريفها:

يقول القاضي (مصطفى القاسم)، وهو أحد أبناء مدينة (حمص)، وقد عمل فيها لمدّة ثلاثين عامًا في الإدارة والمحاماة والقضاء: في عام (1970م) كانت مدينة (حمص) مدينةً سُنّيَّةً بشكل شبه كامل، مع وجود بعض الأقليَّات المسيحيَّة والعلويَّة في حيّ (عكرمة)، ثمَّ بدأ النِّظام يعمل على تغيير التَّركيبة السُّكانيَّة للمدينة من خلال مجموعة من التَّسهيلات للعلويّين بمقابل التَّضييق على "السُّنَّة"، حيث مُنِعوا من البناء على أراضيهم، وقد كان (ناجي عطريّ) وهو محافظ (حمص) الأسبق ممَّن قاموا بالتَّسهيلات للعلويّين للاستملاك والقدوم كجماعاتٍ إلى مدينة (حمص)، أمَّا (إياد غزال) وهو أيضًا محافظٌ سابقٌ لـ(حمص) فقد كان أداة النِّظام للتَّغيير الدِّيموغرافيّ في (حمص)، وقد كان مقرَّبًا من (بشَّار الأسد)، وهو صاحب مشروع (حُلم حمص) أو (حمص الحُلم) والَّذي يسعى لهدم (حمص القديمة) الَّتي تُعبِّر عن الهُويَّة الحقيقيّة لـ (حمص)، لم يستطع (إياد غزال) ولا النِّظام تنفيذ مشروعه بسبب موقف أهل (حمص) في وجه من يريد سرقة تاريخهم، ثمَّ جاءت (إيران) وميليشياتها المُشتركةُ في الحرب على الشَّعب السُّوريّ لتكمل ما بدأه النِّظام المتحالف معها، فساهمت في تهجير أهالي (حمص) (باب سباع — بابا عمرو — الخالديَّة —كرم الزَّيتون — البيَّاضة)، والآن تسعى للمشاركة فيما يُسمَّى إعادة إعمار (سورية)، وأخذ ما يُسمَّى (الحيّ التّجاريّ) في تلك المناطق من (حمص القديمة) لتبنيَ فيها ناطحات سحاب مدعَّمة بالقانون رقم (10)، وهذا المشروع هو من لون القديم الجديد، فقد تغيَّر الاسم من (حلم حمص) أو كما سمَّاه أهل (حمص) (كابوس حمص) إلى (الحيّ التِّجاريّ)، ولكنَّ المضمون واحد، وكذلك تستهدف (إيران) وميليشياتها الرِّيف الحمصيَّ، فقد اقتحمت ميليشيا (حزب الله) مدينة (القصير) وهجَّرت أهلها منها، ورفعت على مآذنها الشِّعارات الطَّائفيَّة، وتأتي أهميَّة مدينة (حمص) وريفها في المخطَّط الإيرانيّ من موقعها وملاصقتها للحدود اللُّبنانيَّة في المناطق الّتي ينتشر فيها (حزب الله).

المدن السّوريَّة الأُخرى:

كذلك تستهدف (إيران) العديد من المدن السّوريَّة مثل، (درعا وريفها)، ومدن المنطقة الشَّرقيَّة (الرَّقّة — دير الزّور — البوكمال — الحسكة)، وتعمل فيها على اختراق البعد العشائريّ، واستمالة بعض وجهاء

(1) زمان الوصل: التشيّع في سوريا — ملف يرصد بدأ تحويل التوجه الديني وتأثيره على العلويين والسُّنة – 2014/12/23م.

العشائر لجعلهم عناصرَ فاعلةً في مخطَّط التَّشييع، وتقوم أيضًا ببناء الحُسينيّات، وتجعلها مراكز لنشر التَّشيُّع، وكذلك تحرص (إيران) على حضورها العلنيّ في الحياة العامَّة، وذلك من خلال مشاركة ممثّلين ومندوبين عن مرجعيَّاتها في مختلف الفعاليَّات، ومن ذلك الزِّيارات الَّتي يقوم بها ممثِّل خامنئيّ في (سورية) (أبو الفضل الطَّباطبائيّ) لـ(درعا) وغيرها، وفي (الرَّقّة) تعمل (إيران) على استنساخ تجربة (السَّيِّدة زينب) وذلك في المقبرة التي فيها قبر (عمَّار بن ياسر) –رضي الله عنهما–، و (أويس القرنيّ) وذلك بعد أن أخذت (إيران) ترخيصًا من النِّظام بنبش المقبرة، وعدم إبقاء أيّ قبرٍ فيها غير القبرين السَّابقين، ثمَّ بنتْ مقامين فوق القبرين وحوَّلتهما إلى مراكزَ تشييعيَّة في المنطقة، وتعمل (إيران) أيضًا في سائر هذه المدن على استقطاب الشَّباب في ميليشياتها الطائفية من خلال الإغراء بالمال مستغلَّةً الفقر والحاجة بسبب الحرب، ومن خلال الوعود بكفِّ يد النِّظام عن ملاحقتهم ومطالبتهم بالخدمة الاحتياطيَّة بعد انتهاء مدَّة خدمتهم العسكريَّة، وتقوم كذلك بإنشاء قواعد عسكريَّة في الكثير من هذه المناطق، كما يفعل (حزب الله) في منطقة (اللَّجاة) شرقيَّ محافظة (درعا)، وتسعى (إيران) إلى تغيير هُويَّة هذه البلاد والمدن بشكل تراكميٍّ من خلال مجموعة من المؤثِّرات التي تحدثها (إيران) وميليشياتها بشكل متعاقب، مثل نشر الأذان الشِّيعيّ في كثير من المدن مثل (دير الزّور) و (البوكمال) و (الميادين) وبلدة (صبيخان)، وذلك بإضافة ما يُسمَّى بالشَّهادة الثَّالثة في الأذان "أشهد أنَّ عليًّا وليُّ الله"، وإضافة عبارة "حيَّ على خير العمل"، وقامت قوّات النِّظام السّوريّ باعتقال 20 إمامًا ومؤذنًا رفضوا النّداء للصّلاة وفق المذهب الشّيعيّ، وقام النّظام أيضًا برفع أجور الأئمّة والمؤذّنين الّذين وافقوا على إقامة الأذان وفق المذهب الشّيعيّ، ومنحهم بطاقات أمنيّة تُسهّل حركتهم وتُيسّر معاملاتهم في مؤسسات النّظام[1]،وكذلك استهداف الأطفال في المدارس من خلال افتتاح مدارس شيعيَّةٍ تستقطبهم كما حصل في مدينة (معدان) شرق (الرَّقّة)، حيث تمَّ افتتاح مدرسة ابتدائيَّة شيعيَّة، وفي مدينة (البوكمال) تمَّ افتتاح ثلاث مدارس ابتدائيَّة شيعيَّة، وفي (الميادين) تمَّ افتتاح أربع مدارس ابتدائيَّة شيعيَّة، تضمُّ هذه المدارس مئات التَّلاميذ، ومنهاجُها التَّعليميُّ منهاجٌ خاصٌّ، يتمُّ فيه تعليم اللُّغة الفارسيَّة، بكوادر إيرانيَّة، ويتمُّ تقديم رواتب لذوي الأطفال المستهدفين، والمرحلةُ العمريَّة للأطفال ما بين (6 إلى 15 سنة)، وغير ذلك من العمل الَّذي يدلُّ على أنَّ السِّياسة الإيرانيَّة في (سورية) ومدنها تقوم على مبدأ إحداث تغيُّرات طويلة الأمد، تؤدِّي بكثرتها وطول مدَّتها إلى إحداث تغيُّرٍ في الهُويَّة نحو الهُويَّة الطَّائفيَّة الإيرانيَّة.

تستهـــدف (إيران) وميليشياتها الرِّيف الحمصيَّ، فقد اقتحمت ميليشيا (حزب الله) مدينة (القصير) وهجَّرت أهلها منها، ورفعت على مآذنها الشِّعارات الطَّائفيَّة، وتأتي أهميَّة مدينة (حمص) وريفها في المخطَّط الإيرانيّ من موقعها وملاصقتها للحدود اللُّبنانيَّة في المناطق الّتي ينتشر فيها (حزب الله).

• الفصل الثاني
الأساليب الَّتي تتَّبعها إيران لتنفيذ مخطَّطها في سورية

لم تتركْ (إيران) أسلوبًا مِن الأساليب ولا أداةً مِن الأدوات لتنفيذ مخطّطها في (سورية) إلّا استخدمتْها، وأولتْها الأهمّيّة البالغة، إدراكًا منها للدّور الفاعل لكلّ

(1) الأناضول: النّظام يفرض الأذان الشّيعيّ بدير الزّور السّورية – 2018/11/19م.

أداةٍ مِن تلك الأدوات في سبيل الوصول إلى هدفها، تتّبع (إيران) هذه الأساليب المتعدِّدة والمتنوّعة بحيث تقوم معًا وبشكلٍ متضافر بإحداثِ تغيُّراتٍ كبيرةٍ عميقةٍ في هُويّة وتركيبةِ (سورية)، وهذا عرضٌ تفصيليٌّ موثّقٌ للأساليب الّتي اتّبعتْها ولا تزال تتّبعها (إيران) لتنفيذ مخطّطها في (سورية):

أوّلًا: الأساليب الإعلاميَّة:

تُولي (إيران) للإعلام أهمِّيَّةً قصوى لخدمة مخطَّطها ونشر التَّشيُّع في (سورية) وغيرها، وتؤدِّي قنوات (المنار) و (الميادين) و (العالم) و (الدُّنيا) أدوارًا كبيرة في النَّشر والتَّرويج لـ(إيران) وسياستها ومخطَّطها، وكذلك جريدة (الأخبار اللّبنانيّة)، ووكالات (فارس) و (مهر) و (تسنيم) وهي مواقع إخباريّة إيرانيّة رسميّة ناطقة بالعربيّة، وكذلك استغلَّت (إيران) قنوات إعلام النِّظام السُّوريّ المتحالف معها للتَّرويج ولنشر التَّشيُّع من خلال برامج تلفزيونيّة أسبوعيَّة أُعطيت للشَّيخ (عبد الحميد المهاجر) و (عبد الزَّهراء) بل إنَّ وزير الإعلام السَّابق (مهدي دخل الله) كان شيعيًّا داعمًا للتّشيّع ومروّجًا له، وأيضًا كان الحديث يتمُّ عن تشيُّع وزير الإعلام بعده (عمران الزُّعبيّ)، وكأنَّ وزارة الإعلام في (سورية) هي من نصيب (إيران) مباشرة، أو العاملين والدَّائرين في فلكها، وكذلك أنشأت (إيران) إذاعةً شيعيَّةً في منطقة (السَّيِّدة زينب) تبثُّ على موجة قصيرة (FM) مثل إذاعة (حزب الله) في (لبنان)، هذه الإذاعات والقنوات الّتي تستنفر دعمًا لعمل (إيران) و (حزب الله) في (سورية)، وتبثُّ الأغاني المشجّعة على القتال، وذلك مثل بثِّ أعمال: (احسم نصرك في يبرود) و (المدُّ العلويّ تفجّر) للمغنّي اللّبنانيّ (عليّ بركات).

وكذلك تقوم (إيران) من خلال وسائل إعلامها باستغلال الأحداث والشِّعارات عبر وسائل دعائيّة تروّج بها لمخطَّطها في المنطقة:

1. انتصار ما سُمِّي "الثَّورة الإسلاميَّة في (إيران)": والحديث عن تصدير الثَّورة، وعلى إثر ذلك تمَّ تأسيس جمعيَّة (الإمام المرتضى) على يد (جميل الأسد) و (عبد الرَّحمن الخيِّر)، وقد كانت هذه الجمعيَّة تأسيسًا لدخول التَّشيُّع إلى (سورية) من بوابة واسعة.

سمّت (إيران) ثورتها بالإسلاميّة أواخر سبعينيّات القرن الماضي، وعملتْ على تصدير هذه الثّورة إلى الدّول المحيطة بها، والقريبة منها، فما الَّذي صدّرته (إيران) إلى هذه الدّول بعد مرور أربعين سنة على ثورتها تلك، وهل حملت هذه الثّورة حقيقةً مبادئ وقيم وأخلاق الإسلام في سماحته وعدالته ورحمته وإنسانيّته؟

لقد قامت (إيران) فعلًا بتصدير ثقافات كثيرة إلى أبناء المنطقة وشعوبها، نستطيع من خلالها الحكم على حقيقة الدّور الإيرانيّ:

أ. صدَّرتْ (إيران) الميليشيات الطّائفيّة الّتي تنشر ثقافة القتل والكراهية والعدوان، صدَّرتْها إلى (سورية) و(اليمن) و (العراق) و (لبنان)، وغيرها من دول المنطقة، صدَّرتْ وصنَّعت ميليشيات (الزَّينبيُّون) و (الحيدريُّون) و (الفاطميُّون) و (الحشد الشَّعبيّ) و (أبو الفضل العبَّاس) و (الباقر) و.....، عشرات الميليشيات ذات الصِّبغة الطَّائفيَّة والسِّجل الدَّمويّ الإجراميّ، هذه الميليشيات الّتي قامت بحصار وتجويع وتقتيل وتهجير أهالي (مضايا) و (الزَّبدانيّ) و (داريَّا) و (وادي بردى)، وغيرها من المدن في (سورية).

ب. صدَّرت ثقافة الكراهية والأحقاد، وذلك من خلال طرحها لشعارات الثّأر والانتقام، تحت غطاء وذريعة الانتصار لأهل البيت، مثل شعار "لن تُسبى زينب مرَّتين" وشعار "لبَّيكِ يا زينب"، هذه الشّعارات الّتي أطلقها وردّدها (حسن نصر الله)، زعيم المليشيا المسمّاة بـ (حزب الله) والتّابع لمشروع الوليّ الفقيه في (إيران)، أطلق هذه

الشِّعارات المستثيرة طائفيًّا والمحرِّضة، مع العلم أنَّ هذه المقامات الموجودة لآل البيت في (سورية) وغيرها مقامات مصونةٌ محترمةٌ لم تتعَّرض لأدنى لون من ألوان الإساءة وعدم الاحترام من أبناء تلك البلاد على شتّى انتماءاتهم.

لم تتركْ (إيران) أسلوبًا مِن الأساليب ولا أداةً مِن الأدوات لتنفيذ مخطّطها في (سورية) إلّا استخدمتْها، وأولتْها الأهمّيّة البالغة، إدراكًا منها للدّور الفاعل لكلّ أداةٍ مِن تلك الأدوات في سبيل الوصول إلى هدفها، تتّبع (إيران) هذه الأساليب المتعدِّدة والمتنوّعة بحيث تقوم معًا وبشكلٍ متضافر بإحداثِ تغيُّراتٍ كبيرةٍ عميقةٍ في هُويّة وتركيبةِ (سورية).

ج. صدَّرت ثقافة الاحتلال والاستيلاء على الأملاك، هذه الممارسات الّتي ظهرت جليَّة في (سورية)، من خلال توطين "الشِّيعة" الأفغان الّذين جاءتْ بهم (إيران) للقتال في (سورية)، ومن خلال استملاك عقارات المواطنين المهجَّرين بأحكام قضائيّة تستند إلى وثائق مزوَّرة، وقوانين مستحدثة جائرة تمَّ إصدارها شرعنةً لجريمة التغيير الدّيموغرافي الّذي تقوم به (إيران) في (سورية) بالتّعاون مع النِّظام المتحالف معها.

د. صدَّرت (إيران) ثقافة الاعتداء على المقابر، وعدم احترام الأموات، إمعانًا في الإيذاء وإهدارًا لكرامة الإنسان، تقوم بذلك بذريعة تعظيم وإنشاء مقامات ذات صبغةٍ طائفيّةٍ شيعيّةٍ، كما فعلَتْ في مدينة (الرّقّة)، وذلك عندما تمّ نبش كلّ القبور في المقبرة الكبيرة هناك لأجل إنشاء مقام كلٍّ من (عمّار بن ياسر) و (أويس القرنيّ).

إنّ هذه الثّقافات القاتلة الّتي صدَّرتها وتصدِّرها (إيران) فضحَتْ وبشكل لا لَبسَ فيه، وبيَّنتْ أنّ ثورتَها ليست إسلاميَّة المبادئ والأخلاق والقيم، بل هي ثورة طائفيّة عدوانيّة ذات صبغة إرهابيّة عابرة للحدود، وإنّ المراقب والمتتبّع للسُّلوك الإيرانيّ في المنطقة يجد أنّ (إيران) هي أكبر الصَّانعين لثقافة الصِّراع والطَّائفيَّة والكراهية والعدوان، وذلك من خلال أمرين ظاهرين:

الأوّل: تأسيسها لمنظّمات وميليشيات تقتل وتغتصب وتجوّع وتُهجِّر باسم الدِّين وآل البيت، والدِّينُ وآلُ البيت برآءُ من هذه المنظّمات وممارساتها.

الثّاني: من خلال مساهمتها وتصنيعها لردّات فعل مقابلة تعتمد الخطاب الطّائفيّ المضادّ.

هـ. إنّ هذه الثّورة الّتي أسمتْها (إيران) إسلاميّةً عملت إلى حدٍّ بعيد على تشويه المعاني السَّامية والقيم الإنسانيّة للإسلام، وأساءتْ إلى حدٍّ كبيرٍ إلى كلِّ شعوب المنطقة المنتمية إلى الإسلام دينًا وثقافةً، ولذلك فقد آن الأوان لأبناء هذه البلاد وشعوبها أن يقفوا معًا صفًّا منيعًا في وجه تصدير هذا الإرهاب العابر للحدود، ويعملوا معًا علماء ومعلّمين وكُتّابًا ومربّين ومفكّرين وقادة لدرء هذا الخطر الّذي يهدِّد وجود وتاريخ وحضارة أبناء المنطقة جميعًا.

2. ما سُمِّي "انتصار المقاومة" في لبنان عام (2006م)، واعتبار (حسن نصر الله) الأمين العام لـ (حزب الله) بطلًا قوميًّا منتصرًا، أدَّى ذلك إلى حالةٍ تشبه الافتتان في صفوف العامّة، تمثَّلت في رفع رايات الحزب على بيوت "السُّنَّة"، وانتشار صور (حسن نصر الله) في مختلف المواقع والسَّاحات، بل إنّ عالِمًا من أشهر علماء (سورية) وهو الدُّكتور

(محمَّد سعيد رمضان البوطيّ) قال بشكلٍ واضح وعبر حديث تمَّ نقلهُ تلفزيونيًّا: "أتمنَّى أن أكون أصبعًا في يد (حسن نصر الله)."

3. محور المقاومة وقضيَّة (فلسطين)، تاجرت (إيران) كثيرًا بهذه القضيَّة، واخترقت المقاومة الفلسطينيَّة، وتسترَّت بها لتغسل إجرامها بحقّ المسلمين "السُّنَّة"، وتمرّر مخطَّطها، ومع الأسف فقد انخدع بهذا كثير من أبناء الأمّة، وساهموا في إظهار (إيران) بصورة الدَّولة المساندة والدّاعمة والمناصرة (للقدس) و (المسجد الأقصى).

ثانيًا: الأساليب الثَّقافيَّة:

تعمل (إيران) من خلال مجموعة من العوامل المؤثِّرة المتضافرة الَّتي تؤدِّي إلى تغيير الثَّقافة إلى حدٍّ تصبح فيه الثَّقافةُ الإيرانيَّةُ المذهبيَّةُ هي الثَّقافةَ السَّائدة في (سورية)، وهذه العوامل هي:

1- اللُّغة: تعمل (إيران) بطريقةٍ ممنهجةٍ على جعل اللُّغة الفارسيَّة لغةً سائدةً في (سورية)، تقوم بذلك عن طريق جعلها تُدرَّسُ في الجامعات والمدارس والمعاهد، ولأخذ صورةٍ واقعيَّةٍ عن الأهميَّة الَّتي توليها (إيران) لأجل نشر لغتها في (سورية) يكفي أن نعرف أنَّ المستشاريَّة الثَّقافيَّة لـ(إيران) في (دمشق) افتتحت الدَّورة رقم (85) لتعليم اللُّغة الفارسيَّة، وذلك يوم الأحد الواقع في 03-04-2016م في مركز الدِّراسات الثَّقافيَّة الإيرانيَّة العربيَّة بالمستشاريَّة الثَّقافيَّة في (دمشق)، وتأكيدًا لأهميَّة هذه الدَّورات فقد حضر افتتاحها: المستشارُ الثَّقافيّ الدُّكتور (مصطفى زنجير شيرازيّ) والملحق الثَّقافيُّ الأستاذ (أنور حبيبيّ) والأستاذة (ألمى المحمَّد)، وهي باحثة في الأدب الفارسيّ، والأستاذ (علي أرمكان) مسؤول قسم اللُّغة والأدب الفارسيّ في المستشاريّة، ومدرِّسو اللُّغة الفارسيَّة مع حشد من الطُّلاب من المراحل المختلفة.[1]

وكذلك تعمل المستشاريَّة على التَّأثير في هذا الجانب عن طريق النَّشاطات الَّتي تقيمها من خلال (اتِّحاد الكُتَّاب العرب في سورية) وما تُسمِّيه التَّعاون المشترك بين الجانبين. يضاف إلى ذلك الاتفاقيَّة الموقّعة بين النّظام السُّوريّ و(إيران) حول إدراج اللّغة الفارسيّة في النّظام التّعليميّ في (سورية)، حيث وقّع عن جانب النّظام السّوريّ وزير التّربية (عماد موفق العزب)، وعن الجانب الإيرانيّ وزير التّربية الإيرانيّ (محسن حاجي ميرزائيّ)، وذلك بتاريخ 23 كانون الثّاني 2020م.[2]

2- الطَّابع العمرانيّ: تُشكِّل الأبنيةُ وطابعها المعماريُّ جزءًا أساسًا من هُويَّة المدن وثقافتها، ولذلك تبني (إيران) المقامات في (سورية) على النَّمط والطِّراز الفارسيّ، يرى ذلك كلُّ من يشاهد المقامات المبنيّة بشكل فخم متميّز مثل مقام (السَّيِّدة زينب)، و (السَّيِّدة رقيَّة)، وغير ذلك من المقامات المنتشرة في مختلف المدن السُّوريّة.

3- الكتاب: تقيم (إيران) المعارض لتسويق كُتبها الدَّاعية إلى التَّشيُّع والثَّقافة الإيرانيَّة، وذلك في المركز الثَّقافيّ الإيرانيّ في ساحة (المرجة)، أو في السَّفارة الإيرانيَّة في (المزَّة)، أو في المكتبة المركزيَّة لجامعة (دمشق)، وتُوزَّع في هذه المعارض المجلَّات والجرائد مثل جريدة (جيهان) باللُّغة العربيَّة، فضلًا عن توزيع الكتب التي تُبثُّ لنشر التَّشيُّع في سورية لعدد من المتشيعيين أو دعاة التشيع.

ثالثًا: أساليب الإغراء بالمال والمساعدات:

تعتمدُ (إيران) وأذرعها المختلفة في (سورية) على أسلوب الإغراء بالدَّعم والمساعدات الماليَّة للمتشيّعين،

(1) موقع المستشاريّة الثّقافيّة للجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة في دمشق.

(2) الوطن: توقيع اتفاقيّة تعاون تربويّ بين سورية وإيران - 2020/01/23م.

أو للمطموع بتشيُّعهم، وتُركِّز في ذلك على مجموعةٍ من الشَّرائح في المجتمع السُّوريّ:

– شيوخ العشائر ووجهاؤها، بسبب تأثيرهم في الوسط العشائريّ، مثلما حصل مع (نوّاف البشير) الّذي يُسمّي نفسه شيخ عشيرة (البقّارة)، و (فيصل العازل) أحد وجهاء عشيرة (المعامرة)، وخطيب الطّلب أحد وجهاء عشيرة (البوعاصي)، و (نوّاف عبد العزيز طراد الملحم) من عشيرة (عنزة) في (حمص)، و (محمود منصور العاكوب) من عشيرة (حرب)، حيث استقبلهم في (إيران) مستشار خامنئيّ (عليّ أكبر ولايتيّ) مؤكِّدًا على أهميّة دورهم بالنسبة لـ(إيران).[1]

– طلّاب الجامعات والدِّراسات العليا، وخصوصًا منهم الفقراء، الّذين لا يستطيعون إتمام دراستهم، فتقوم (إيران) بدعمهم ماليًّا، وتقديم العروض لهم للدِّراسة في جامعاتها طمعًا بتشيُّعهم.

– أُسَر التّلاميذ الّذين يتعلّمون في المدارس الشِّيعيَّة، لأجل أن يكون هذا حافزًا للأُسَر الفقيرة لإرسال أولادهم إلى تلك المدارس، كما يحصل في (دير الزّور) و (الميادين) و (البوكمال) و (الرَّقّة)، وفي المدارس الابتدائيَّة المُفتتحة هناك.

– الأُسر الفقيرة، من خلال ما تسمّيه جمعيّات خيريّة، مثل جمعيّة (الثّقلين الخيريّة)، وجمعيّة (البناء) في مدينة (دير الزّور)، وفي (دمشق) جمعيّات: (اللّجنة الخيريّة الاجتماعيّة)، و (الزّهراء الخيريّة)، و (جهاد البناء)، ومؤسّسة (الأمين للأعمال الاجتماعيّة)، ومجمّع (الصّراط الثّقافيّ الرّحمة الخيريّة)، ومؤسّسة (الإمام السّاجد)، و (مؤسّسة الشّهداء)، وفي (حلب): مركز (نور الهدى الثّقافيّ)، و (اطلب العلم)، و (إحسان الخيريّة)، ومؤسّسة (الشّهداء)، و (الثّقلين الخيريّة)، ومجمّع (المصباح التّربويّ التّعليميّ)، ومجمّع (الحُجّة)، ومعهد (القلم التّعليميّ)، وفي (حمص): (الغدير)، (المصطفى الخيريّة)، مؤسّسة (الشّهداء)، جمعيّة (الهادي الخيريّة)، وجمعيّة (الزرزوريّة الثّقلين الخيريّة).[2]

تبني (إيران) المقامات في (سورية) على النَّمط والطِّراز الفارسيّ، يرى ذلك كلُّ من يشاهد المقامات المبنيّة بشكل فخم متميّز مثل مقام (السَّيِّدة زينب)، و (السَّيِّدة رقيَّة)، وغير ذلك من المقامات المنتشرة في مختلف المدن السُّوريّة.

– المطلوبون والملاحقون أمنيًّا بسبب ما يُسمَّى "خدمة العلم" لدى النِّظام السُّوريّ، وخصوصًا شريحة المطلوبين بما يُسمَّى "الاحتياط"، حيث تقوم الميليشيات التّابعة لـ(إيران) باستقطاب هذه الشَّريحة، من خلال مجموعة من المُغريات، كالرَّواتب المقدَّمة لهم، في ظلّ الأوضاع المعيشيَّة الصَّعبة الّتي يعانون منها، والوعود لهم بعدم ملاحقتهم من قِبل النِّظام، بعد إعطائهم بطاقاتٍ تمنع عنهم ملاحقة أجهزة النِّظام السُّوريّ الأمنيَّة، ليتمَّ بعد ذلك غسلُ أدمغتهم وحشوها بالأفكار الطَّائفيَّة الهدَّامة.

– أصناف وشرائح أُخرى من المجتمع يتمُّ دعمها للهدف ذاته، وخصوصًا ما يتمُّ عن طريق (عبد الله نظام) المسمَّى "رجل الإمداد الإيرانيّ في (سورية)" حيث يُقدِّم الدّعم الأكبر للشَّخصيّات الّتي لها دورٌ وتأثير في المجتمع، والدَّوائر الوظيفيَّة.

رابعًا: الأساليب الاقتصاديَّة:

تعملْ (إيران) على زيادة نفوذها في (سورية) من خلال استراتيجيَّةٍ بعيدة الأهداف، تتغلغلُ عبرها في الاقتصاد

(1) عربي 21: وجهاء عشائر سوريّة موالون للأسد يزورون طهران – 2019/12/29م.

(2) أورينت نت: تعرّف إلى أسماء وتوزّع المنظّمات التي أنشأتها إيران في المحافظات السّورية – 2019/05/26م.

السُّوريّ، وذلك من خلال شركات تابعة لـ (الحرس الثَّوريّ الإيرانيّ)، مثل (شركة الاتصالات الإيرانيَّة)، وبنوك (كارجوشي)، و(ملّي إيران) و (مهر) و (المستقبل) ومنظمة (جهاد البناء) وشركة (خاتم الأنبياء) في قطّاع البناء، ويساهم في هذه الشَّركة رجل الأعمال (رامي مخلوف) وهو ابن خال رئيس النِّظام (بشَّار الأسد)، وتقوم أيضًا بشراء الأراضي والعقارات بشكل واسع، كلُّ هذا يسبق الجانب الأكثر خطورةً والمتعلّق بملفّ إعادة الإعمار في (سورية)، والَّذي تريد (إيران) من خلاله استثمار تدخُّلها إلى جانب النِّظام في الحرب الدَّائرة في (سورية)، ويُضاف إلى ذلك الاتّفاقاتُ الاقتصاديَّة الَّتي تمَّ توقيعها مع (عماد خميس) رئيس وزراء حكومة النِّظام في (سورية)، والَّتي وقَّعها عن الجانب الإيرانيّ النّائبُ الأوَّلُ للرَّئيس الإيرانيّ (إســحاق جهانغيريّ)، وتتعلَّق هـذه الاتّفاقـات بالـرُّؤيـة المشـتركـة بين البلدين وبمزيدٍ من التَّواصل بين اللّجان المشتركة، وتبادل زيارات رجال الأعمال بين (سورية) و(إيران)، وتُعدُّ هذه الاتفاقات الأضـخمَ في تاريـخ (سـورية)، وذلك في مجالات الاتّصالات والزّراعة والنّفط، تمكّن هذه الاتفاقات (إيران) من رخصة تشغيل شبكة الهاتف المحمول، وخمسة آلاف هكتار لبناء ميناءٍ نفطيّ على الشَّواطئ السُّوريَّة، وخمسة آلاف هكتار أُخرى أراضي زراعيَّة ومثلها مساحة لاستغلال مناجم الفوسفات[1]، إضافةً إلى مشاريع استحوذت عليها (إيران) أبرزها: إنشاء معمل حليب أطفال، ومعمل أدوية، ومصنع للسّيّارات، وإدارة شركة أمّ الزّيتون في السّويداء، وكذلك استولت (إيران) على معمل الإسمنت في حمص، ومحطّة الكهرباء في اللّاذقيّة، ووقّعت (إيران) أيضًا مع النّظام عقدًا لإنشاء معمل لربِّ البندورة في درعا عام (2020م).

خامسًا: الاستثمار في شخصيَّات النِّظام الحاكم في سورية:

– بشَّار الأسد:

دعمَ (بشَّار الأسد) المخطَّط الإيرانيَّ بشكلٍ واسعٍ، وبدرجةٍ أكبر من الدَّعم الَّذي قدَّمه والده (حافظ الأسد) للإيرانيّين، وساهم (بشَّار الأسد) في هذا المخطَّط من خلال مجموعةٍ من القرارات والقوانين والموافقات:

1- أصدر (بشَّار الأسد) القانون رقم(25) لعام (2013م) والَّذي يقضي بصحَّة تبليغ المدَّعى عليه بالدَّعوى غيابيًّا، وذلك تسهيلًا لتثبيت ملكيَّة الأراضي والعقارات بأسماء المُشترين[2]، طبعًا جاء هذا المرسوم بعد تهجير الملايين من السُّوريّين، وفي ظلِّ نشاطٍ إيرانيٍّ واسعٍ لشراء الأراضي والعقارات في (سورية).

2- أصدر (بشَّار الأسد) أيضًا المرسوم رقم (16) الخاصّ بوزارة الأوقاف، وقد نصَّ هذا المرسوم على الموافقة على وجود شخصيَّاتٍ غير سوريَّة ضمن المجلس العلميّ الأعلى في وزارة الأوقاف، حيث نصّ المرسوم على أنَّه يجوز لوزير الأوقاف أن يستثني من شرط الجنسيّة في المجلس العلمي الأعلى من يراه مناسبًا حسب مقتضيات الضّرورة الّتي يقدّرها ويراها، في إشارةٍ إلى المرجعيَّات الشّيعيَّة غير السُّوريَّة.[3]

3- وكذلك أصدر (بشَّار الأسد) القانون رقم(10) الخاصَّ بالتَّنظيم العمرانيّ[4]، هذا القانون الَّذي يحرم ملايين السُّوريّين المهجَّرين من حقِّهم في إثبات ملكيَّاتهم، ويفتح الطَّريق أمام الإيرانيّين في شراء

(1) المشهد العربي: بـ 11 اتّفاقاً – تفاصيل الهيمنة الإيرانيّة على سوريا – 2019/01/29م.

(2) موقع دام برس: الرّئيس الأسد يصدر مرسوماً تشريعيّاً ينصُّ على إضافة مادّة حول التبليغ للمرسوم التشريعي رقم /84/ لعام 1953م.

(3) عين على سوريا: المرسوم /16/ يمهّد الطّريق أمام إيران للسّيطرة على المنظومة الدّينيّة في سوريا – 2018/10/15م.

(4) صحيفة النهار: كيف يستفيد الأسد من القانون رقم (10)؟ – 2018/05/21م.

(5) الجزيرة مباشر: الأسد: "الوطن ليس لمن يسكن فيه بل لمن يدافع عنه ويحميه" – 2015/07/26.

وتثبيت العقارات بأسمائهم.

4- سمح (بشّار الأسد) للقوّات الإيرانيّة والميليشيات الطائفية بالقدوم والإقامة في (سورية)، وقال: "(سورية) لمن يدافع عنها"[1]، في إشارة واضحة إلى هذه الميليشيات الطائفية.

> **تعملُ (إيران) على زيادة نفوذها في (سورية) من خلال استراتيجيّةٍ بعيدة الأهداف، تتغلغلُ عبرها في الاقتصاد السُّوريّ، وذلك من خلال شركات تابعة لـ (الحرس الثّوريّ الإيرانيّ).**

– جميل الأسد:

يُعدُّ (جميل الأسد) شقيق (حافظ الأسد) أكبر الشَّخصيَّات الدَّاعمة للمخطَّط الإيرانيّ منذ ثمانينيَّات القرن الماضي، وقد قام بتأسيس جمعيَّة (الإمام المرتضى) وأنشأ لها مكاتب وفروعًا في مختلف المحافظات السُّوريَّة، ونشر التَّشيُّع ودعا إليه، متبنيًّا مسألة "عودة الفرع إلى الأصل" أي عودة الفرع العلويّ إلى الأصل الجعفريّ الشّيعيّ، وعمل على استقطاب الوجهاء لجمعيَّته، وكان سببًا في ربط كثيرٍ منهم بـ(إيران) بشكل مباشر.[2]

– الدُّكتور محمَّد عبد السَّتَّار السَّيِّد:

يعدُّ وزير الأوقاف الحاليّ (محمَّد عبد السَّتَّار السّيّد) من أكثر الشَّخصيّات الدَّاعمة لمخطَّط التَّشيُّع، وذلك من خلال مجموعة من المساهمات:

أولًا: فتح الباب على مصراعيه أمام نشاطات دعاة التَّشيُّع في (سورية).

ثانيًا: منع كلَّ خطيب أو داعية يقف ضدَّ التَّشيُّع من القيام بوظيفة الخطابة أو التَّدريس، وحرَّض الأجهزة الأمنيَّة على ملاحقته أمنيًّا، ولقد قام بعزل (34 خطيبًا) بقرارٍ واحدٍ في محافظة درعا، هؤلاء الخطباء والأئمّة الّذين لم يكونوا يسيرون وفق ما تريده (إيران) والنّظام الطّائفيّ التّابع لها في (سورية).[3]

ثالثًا: حرصه في كلّ المحافل والمناسبات على حضور المعمَّمين "الشّيعة" كواجهة دينيَّة أساسٍ في (سورية).

– الشَّيخ أحمد بدر الدِّين حسُّون:

يقوم الشَّيخ (أحمد بدر الدِّين حسُّون) وهو مفتي النِّظام حاليًّا في (سورية) بدعم المخطَّط التَّشييعيّ من خلال النُّقاط الآتية:

1- الكلمات الَّتي يلقيها في المناسبات "الشّيعيَّة" والَّتي يُعرِّض فيها بمنهج أهل "السُّنَّة" غمزًا ولمزًا، ويطعن بكاتب الوحي الخليفة (معاوية بن أبي سفيان) رضي الله عنهما، نفاقًا لـ(إيران) وأتباعها.

2- الإشادة في كلماته بـ(إيران) وبأهميَّة العلاقة بينها وبين النِّظام السُّوريّ.

3- الوشاية بكلّ خطيب أو داعية يقاوم التَّشيُّع للسُّلطات الأمنيَّة، نشرت (زمان الوصل) وثيقةً سرّيّةً من وثائق ويكليكس في ملفّ (ويكيليكس سورية) ضمن الموقع، وهي البرقيّة المؤرّخة في 20 –شباط – فبراير– 2007م والمعنونة بـ (كفتارو يفضح حسّون وتواطؤه مع بشّار لإسكات "السُّنَّة"، ومنع انتقاد التّشيّع الإيرانيّ)، طبعًا المقصود بـ (كفتارو) هو (صلاح كفتارو) ابن المفتي السّابق الشّيخ (أحمد كفتارو).

(1) الجزيرة مباشر: الأسد: "الوطن ليس لمن يسكن فيه بل لمن يدافع عنه ويحميه" – 2015/07/26.
(2) زمان الوصل: التّشيّع في سوريا – ملف يرصد كيف بدأ تحويل التّوجّه الدّينيّ وتأثيره على العلويّين والسُّنّة – 2014/12/23م.
(3) حلب اليوم: أوقاف النّظام توقف (34) إماماً عن الخطابة في مساجد ريف درعا – 2019/07/10م.

– الدُّكتور محمود العكَّام:

وهو خطيب مسجدٍ من أكبر وأهمّ المساجد في مدينة (حلب) مسجد (التَّوحيد)، وأستاذٌ في جامعة (حلب)، يختلف الكثير في حقيقة انتمائه، وهل تشيَّع فعلًا أم لا، لكنَّ مساهمته الأكبر في دعم مخطَّط (إيران) كانت بقيامه بأداء صلاة الغائب على (الإمام الخمينيّ)، بعد وفاته في (حلب)، وبالطَّبع يُعدُّ هذا السُّلوك إشادةً واضحةً بمنزلة الخمينيّ، وترويجًا له ولمخطَّطه، خصوصًا في ظلّ استراتيجيَّةٍ إيرانيَّةٍ تتحدَّث عن أهميَّة تصدير ما يُسمَّى بـ"الثَّورة الإسلاميَّة الإيرانيَّة".

– أنور النَّابلسيّ:

وهو مدير أوقاف (درعا) الأسبق، ساهم بشكل كبير في دعم دُعاة التَّشيُّع في (درعا) مثل (زيدان الغزالي) و (موسى العذبة) و (محمّد حجازيّ) و (أبو جعفر العراقيّ) إمام وخطيب حسينيّة (الرسول الأعظم) وبعده (أبو كاظم التّميميّ) وغيرهم من خلال عمله كمديرٍ للأوقاف، ومن خلال تعاونه البالغ مع فروع الأمن، وتعاونه مع السَّفارة الإيرانيَّة بدمشق، وقد كان يقوم بالتَّضييق والإبلاغ عن كلّ خطيبٍ أو مدرّسٍ أو داعيةٍ يقف في وجه التَّشيُّع، ويصفه بالمتشدّد ويحرّض عليه أجهزة الأمن.

– عصام المصريّ:

وهو مدير أوقاف (حمص) الحاليّ، وقد قام بالموافقة على تحويل جامع (المصطفى) إلى حُسينيَّة، وساهم في افتتاح الحُسينيَّة في حيّ (البيَّاضة) الَّذي ثار ضدَّ نظام الأسد، وذلك وسط حشدٍ كبيرٍ من المعمَّمين "الشِّيعة".[1]

سادسًا: أساليب الخداع والتَّستُّر بالشِّعارات:

تحاول (إيران) تغطية جرائمها وممارساتها الوحشيَّة بحقّ المسلمين "السُّنَّة" في (سورية والعراق واليمن) وغيرها بإظهار أنَّها دولةٌ تقاوم الاحتلال في (فلسطين)، وتسعى للتَّقريب بين المذاهب، وغير ذلك من الشِّعارات الَّتي تتَّخذها (إيران) غطاءً لتمرير مخطَّطها.

1- التَّستُّر بشعارات المقاومة وغيرها:

شعارات تردِّدها (إيران) وميليشياتها مثل: "الموت لأمريكا ... الموت لإسرائيل"، و "لبّيك يا أقصى"، وتروّج (إيران) لما تُسمّيه "محور المقاومة" الَّذي يشاركها فيه النِّظام في (سورية)، وبعض فصائل المقاومة في (فلسطين)، وهنا لا بُدَّ من التَّنبيه والتَّحذير الشَّديدين ممَّا يقع فيه بعض قادة المقاومة في (فلسطين) من تصريحات مجانبة للحقّ والصَّواب، وتصبُّ في مصلحة المخطَّط الإيرانيّ، حتَّى لو أنَّ (إيران) دفعت مليارات الدُّولارات ثمنًا لتصريحٍ واحدٍ من هذه التَّصريحات لكانتْ هي الرّابحة، بينما الخسارة والخذلان بهذه التّصريحات يكونان من نصيب المسلمين "السُّنَّة" الَّذين تذبحهم وتُهجّرهم (إيران) في (سورية) وفي دول المنطقة كلّها، ولا يمكن أبدًا مهما كانتِ الظُّروف قَبول مثل تصريحات كهذه، لأنَّها دعمٌ صارخٌ وتقويةٌ واضحةٌ لـ(إيران) ولمخطَّطها، والأكثرُ قسوةً وإيلامًا أنْ تتزامن هذه التَّصريحات مع السُّلوك الإيرانيّ العدوانيّ، والجرائم الطَّائفيَّة الوحشيَّة الَّتي ترتكبها (إيران) وميليشياتها في دول المنطقة، مثل تصريح أحد قادة حركات المقاومة في (فلسطين) الّذي يقول فيه: "(إيران) هي حليفٌ، وموقفها محلُّ شكر وتقدير واحترام، والعلاقة معها علاقة استراتيجيَّة"، يقول هذا في وقت تقوم فيه (إيران) وميليشياتها بذبح المسلمين "السُّنَّة" وتهجيرهم من (سورية)، وكذلك عندما نسمع قائدًا آخر في هذه الحركة يُعزّي بـ (سمير القنطار)، ويصفه بالمناضل العربيّ الكبير، وأنَّ له سِجلًّا مشرّفًا، يصفه بهذه الصِّفات بينما ختم (سمير القنطار) حياته في تقتيل

(1) أورينت نيوز: النظام يحوّل مسجداً لحسينيّة في حيّ (البياضة) بحمص - 2018/04/17م.

أطفال المسلمين في (سورية) ونسائهم وشبابهم، وأيضًا وصْفُ أحد كبار قادة حركة المقاومة هذه (قاسم سليمانيّ) بالأخ الجاهز للدِّفاع عن (القدس)، وبأنَّه يضع كلَّ الإمكانات والمقدَّرات تحت تصرُّف هذه الحركة للدِّفاع عن (القدس)، يصف المجرم (قاسم سليمانيّ) بكلِّ تلك الصِّفات بينما (قاسم سليمانيّ) يعيث في (سورية) فسادًا، ويوغل في أبنائها ذبحًا، وينشر فيها أبشع أنواع القتل الطَّائفيّ ووصل الحدُّ بأحد هؤلاء القادة أن يصف (قاسم سليمانيّ) بشهيد (القدس)، وذلك من خلال الكلمة الّتي ألقاها في تأبينه، ممّا أدّى إلى استياء واسع بين المسلمين خصوصًا في الدُّول الّتي طالما عانتْ من إجرام (قاسم سليمانيّ)، إذ كيف يُوصفُ مجرمٌ قاتلٌ طائفيٌّ بالشّهيد؟ والشّهادة هي المنزلة الأرفع والوسام الأشرف الّذي يمكن أن يناله الإنسان، يناله لأنّه ختم حياته بعملٍ مِن أحبّ الأعمال إلى الله، وباختصار هي منزلةٌ مِن أقرب المنازل إلى النّبوّة.

• ينال الشّهادة من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهل قاتلَ (سليمانيّ) لذلك؟، أمْ أنّه مات يحطّم مآذن (حلب) الّتي كانت تعلي كلمة الله؟، حتّى فاق ما فعله في مساجد (حلب) فِعلَ الصّرب في مساجد (البوسنة) ومآذنها.

• يموت في سبيل الله مَن خرج يطلب العلم وماتَ على ذلك، ولقد خرج (سليمانيّ) بالفعل، ولكنّه خرج حربًا على العلم وأساطينه، خرج يغتال آلاف علماء الفيزياء النّوويّة والذّرّة مْن عباقرة العراق وصنّاع نهضته وحضارته. فهل ماتَ (سليمانيّ) طالبًا للعلم أم حربًا على العلم وأهله وأربابه؟

• يستحقّ الشّهادة من مات دون عرضه وشرفه ذائدًا عنه في وجه من يريد تدنيسه، فهل كان (سليمانيّ) يذود عن عرضه في (العراق) و (الشّام)، أم أنّه كان يكشف هناك ستر الحرائر، ويهتك أعراض العفيفات مِن خلال إنشائه للميليشيات الّتي تستغلّ الحاجة والفاقة والفقر وتنشرُ ثقافة المُتعة؟

• يكون أهلًا للشّهادة من مات دون دمه، فهل مات (سليمانيّ) مدافعًا عن حياته وروحه، أم أنّه مات وقد امتلأتْ سجلّاته بإبادة عشرات آلاف الأطفال والنّساء والشّيوخ في (الشّام) و (العراق)؟

• رويدكم.... رويدكم أيّها المتألّون على الله، الموزّعون لشهاداتٍ لم توكّلوا في توزيعها، ما عندكم فيها مِن برهان، مهلًا فإنّها أمانةٌ عظيمةٌ أشفقتْ مِن حملها السّموات والأرض، فاللهَ اللهَ في الأمانة، لا تُفرّطوا فيها.

تحاول (إيران) تغطية جرائمها وممارساتها الوحشيَّة بحقِّ المسلمين "السُّنَّة" في (سورية والعراق واليمن) وغيرها بإظهار أنَّها دولةٌ تقاوم الاحتلال في (فلسطين)، وتسعى للتَّقريب بين المذاهب، وغير ذلك من الشِّعارات الَّتي تتَّخذها (إيران) غطاءً لتمرير مخطَّطها.

• إنّ من مات يحارب الله بتحطيم مآذن بيوته وتخريبها، ويقتل الأطفال الأبرياء والنّساء والعلماء، ويغصب الأموال والأملاك لا يمكن أبدًا أن يكون شهيدًا، ولو سمّى نفسه قائد الكعبة والبيت الحرام، وإنّ وصفه بالشّهيد هو افتراءٌ وتقوّلٌ على الله في عليائه وكبريائه.

تلك بعضٌ من التّصريحات الّتي كانت طعناتٍ مؤلمةً في قلوب المسلمين في (سورية) وكلِّ المنطقة، إضافةً إلى أنّها تخدم (إيران) للمضيّ في مخطّطها متستّرةً بشعارات الممانعة والمقاومة.

2- التَّستُّر بشعارات التَّقريب بين المذاهب:

تطرح (إيران) ومرجعيَّاتها هذا الشِّعار في (سورية) وغيرها من الدُّول الَّتي فيها أكثريَّةٌ سُنِّيَّةٌ لا لغرض التَّقارب فعلًا، ولكن خداعًا لنشر التَّشيّع تحت هذا الغطاء، ويكفي أن نعرف أنَّ آية الله (محمَّد عليّ التَّسخيريّ) وهو الأمينُ العامُّ السَّابق لمجمع التّقريب بين المذاهب الإسلاميَّة يشارك في مؤتمرات التَّقريب، ويدعو إليه في (سورية) وغيرها، بينما يرفض إقامة مسجدٍ واحدٍ للسُّنَّة في (طهران)، فأيّ تقريب هذا الَّذي يريد؟! ولذلك فإنَّ الاتفاقيَّة المسمَّاة بـ "التَّوأمة" والموقَّعة بين معهد الفتح الإسلاميّ، والسَّفارة الإيرانيَّة بـ(دمشق) هي ستارٌ وغطاءٌ لممارسات (إيران) التَّشييعيَّة وسفارتها، وتجميلٌ لوجهها القبيح، وما كان ينبغي أن يوقِّع المسؤولون في معهد الفتح على هكذا صكّ تسعى (إيران) لتغسل من خلاله جرائمها بحقّ المسلمين في (سورية).

3- التَّستُّر تحت شعار الوحدة الوطنيَّة:

شعار "الوحدة الوطنيَّة" الَّذي يطرحه النِّظام في (سورية) سيفًا مصلتًا على رقاب المسلمين "السُّنَّة"، والَّذي تستغلُّهُ (إيران) أيضًا للمضيّ في مخطَّطها التَّشييعيّ لـ(سورية)، وتحت غطاء هذا الشِّعار تُبنى الحُسينيَّات، وتشارك العمائم الإيرانيَّة بمختلف الفعاليَّات، وتظهر في الإعلام، وتُبنى الجامعات، وكذلك المعاهد والحوزات، ومن يعترض على أيّ مظهر من هذه المظاهر يتمُّ اتّهامُه بالتَّطرُّف وشقّ الصَّفّ وزعزعة الوحدة الوطنيّة، ثمَّ يتعرَّض بعد ذلك للملاحقة الأمنيَّة من قبل فروع الأمن العسكريَّة والسِّياسيَّة والجويَّة وأمن الدَّولة، هذه الفروع الَّتي أذاقت كلَّ الأحرار الَّذين يقفون ضدَّ الطَّائفيَّة الإيرانيَّة ومخطَّطها في (سورية) صنوفَ العذاب والسَّجن وشتَّى ألوان التَّضييق والإرهاب، كما حصل مع الشَّاعر المسنّ (محمَّد عليّ درباك) (72 عامًا) في 28 - كانون الأول- 2007م حيث اعتقله الأمن السِّياسيُّ في مدينة (بانياس) لأنَّه انتقد "الشِّيعة"، ثم نتيجة المعاملة القاسية الَّتي لقيها في سجنه توفي إثر جلطة.[1]

سابعًا: الأساليب العسكريَّة:

قال المرشد الإيرانيُّ (عليّ خامنئيّ) مُعبِّرًا عن الوجود الإيرانيّ في (سورية)، وذلك في 18 - حزيران - يونيو- 2017م: "لو لم يقاتل (الحرس الثَّوريُّ الإيرانيُّ) في (سورية) لكان القتالُ في المدن الإيرانيَّة"، وقال أيضًا: "لو لم نقف في وجه العدوّ في (سورية) لكان علينا أن نتصدَّى لهم في (طهران) و (فارس) و (خُرسان) و (أصفهان)"[2]، وهكذا تعمل (إيران) في (سورية) كساحةٍ وملعبٍ من ساحاتها الَّتي تقوِّي فيها وجودها سعيًا لإعادة إمبراطوريَّتها الفارسيَّة، مستخدمةً تشييع (سورية) كداعمٍ في مخطَّطها هذا، ولأجل ذلك تقوم (إيران) ببناء القواعد العسكريَّة في (سورية)، وتقوم بتشكيل الميليشيات الطَّائفيَّة بشكل واسع وخطير، وحتىَّ ندرك مقدار هذه الخطورة لجانب الوجود العسكريّ والميليشياويّ الشِّيعيّ في (سورية)، فهذا عرضٌ لأهمّ وجوه هذا الوجود:

- الميليشيات الّتي أنشأتها إيران وأرسلتها للقتال في سورية:

أكّدت تقارير وزارة الخزانة الأمريكيّة في أيّار 2011-م نشاط (فيلق القدس) التّابع للحرس الثّوريّ الإيرانيّ في (سورية).[3]

وصل عدد الميليشيات إلى أكثر من (60 ميليشيا)، بعضها قوات عسكريّة إيرانيّة، وبعضها ميليشيات غير عربيّة، والقسم الثّالث ميليشيات عربيّة، وآخرها

(1) اللجنة السورية لحقوق الإنسان: أنباء عن وفاة المعتقل محمد علي درباك بسبب سوء المعاملة – 2007/03/17م.
(2) الحوار المتمدن: من يقتل الشعب السوري؟! عبد الرحمن مهابادي – 2017/10/11م.
(3) موقع الجزيرة مباشر: الحرس الثّوريّ ... من حماية ثورة إلى وأد الثّورة السّوريّة (الحلقة 6)، 2019/09/12م.

ميليشيات محليّة:

1- القوّات العسكريّة الإيرانيّة:

وهي قوّات تتبع (فيلق القدس) بقيادة (قاسم سليمانيّ)، وقوّات تتبع لـ (الباسيج) في (الحرس الثّوريّ الإيرانيّ)، وقد أرسلت (إيران) (اللّواء 66) المحمول جوًّا شتاء (2016م) للاشتراك في معركة إسقاط (حلب).

2- الميليشيات غير العربيّة:

يندرج تحت هذا التّصنيف لواءان يقاتلان في (سورية) تحت قيادة (الحرس الثّوريّ الإيرانيّ).

الأوّل: لواء فاطميّون الأفغانيّ:

تقدّر أعداد المقاتلين فيه بين (12–15 ألف مقاتل).[1]

الثّاني: لواء "زينبيّون" الباكستانيّ:

– تشير بعض التّقديرات أنّ عدد المقاتلين فيه يتجاوز (1000 مقاتل)[2]

– بدأت مشاركة هذا اللّواء في القتال في (سورية) عام (2013م) تحت قيادة لواء (فاطميّون) ثمّ انفصلوا عنه.

3- الميليشيات العربيّة:

– (حزب الله) اللّبنانيّ:

كان دخوله إلى (سورية) منذ الأيام الأولى لقمع الثّورة، وعسكريًّا بدأ يخوض المعارك عام (2012م) على العديد من الجبهات، تشير التّقديرات إلى أنّ الحزب أرسل إلى (سورية) ما بين (6000-8000 مقاتل)، وجعل من منطقة (القصير) نقطة ارتكاز له، وأشرف على تدريب العديد من الميليشيات العراقيّة المقاتلة في (سورية)، وجنّد "الشِّيعة" السّوريّين في ميليشيات تتبع له مثل:

• قوّات (الرّضا) أو لواء (الإمام الرّضا)، معظمهم من جبل محسن من (لبنان).
• (الغالبون) أو ما يُعرف بـ (سرايا المقاومة الإسلاميّة في سورية).
• لواء (الإمام الباقر) الّذي يضمّ مقاتلين من أبناء القبائل المتشيّعين.

قُدّرت خسائر حزب الله بـ(2000 قتيل) و (6000 جريح).[3]

– الميليشيات العراقيّة:

عملت هذه الميليشيات تحت مسمّى لواء (أبو الفضل العبّاس)، يُقدّر أفراده بـ (7000 مقاتل)، تكوّن اللّواء في بدايته من أربع مجموعات:

• عصائب أهل الحقّ.
• كتائب (حزب الله) العراقيّ.
• جيش المهديّ.
• فيلق بدر.

4- الميليشيات المحليّة:

لواء محمّد الباقر: تُقدّر أعداده بـ(1500 مقاتل)، تمّ ضمّه مؤخّرًا إلى جيش النّظام تحت اسم (اللّواء 137).[4]

• جيش الإمام المهديّ.
• فيلق أسود العشائر.
• لواء المختار الثّقفيّ قرابة (4500 مقاتل).
• كتيبة شهيد المحراب قرابة (500 مقاتل).
• فيلق الوعد الصّادق قرابة (1000 مقاتل).
• كتيبة العبّاس قرابة (200 مقاتل).
• كتائب الفوعة قرابة (800 مقاتل).
• كتيبة الزّهراء قرابة (350 مقاتل).
• قوّات الرّضا
• سرايا الغالبون

(1) Briefing Iranian forces and shia militias in Syria bicom website 12 March 2018.

(2) نشرت صحيفة فارس نيوز: أنّ عدد المقاتلين في لواء "زينبيّون" يُقدّر بـ 5000 فرد 2016/8/22م.

(3) Hezbolah is winning the war in Syria by colin P. Clarke – chad C. serena, The national interest, 292017/1/.

(4) النّظام يدمج الميليشيات الموالية له داخل الجيش، موقع قاسيون، تاريخ النّشر 2019/5/2.

• صقور الصّحراء
• مغاوير البحر

بعض هذه الوحدات تمّ ضمّها إلى جيش النّظام السّوريّ. وهناك ميليشيات مختلطة طائفيًّا دعمتها وأنشأتها (إيران) مثل:

• ميليشيات الدّفاع الوطنيّ
• ميليشيات جمعيّة البستان الّتي تمّ حلّها وإلحاق عناصرها بميليشيات يقودها سهيل الحسن.

بالإضافة إلى الدّعم والتّعاون مع بعض الفصائل الفلسطينيّة الموجودة في (سورية) مثل: جيش التّحرير الفلسطينيّ، و(لواء القدس) الفلسطينيّ، والجبهة الشّعبيّة لتحرير فلسطين، وقوّات الصّاعقة، وميليشيا فتح الانتفاضة، وقوّات الجليل.

– أهمُّ القواعد العسكريَّة الإيرانيَّة في سورية:

قبل عرض أسماء هذه القواعد مِن المفيد أن نعرف أنّ بعض هذه القواعد توجد ضمن مقرّات عسكريّة للنّظام، وبعضها أقرب إلى الثّكنة العسكريّة منها إلى القاعدة العسكريّة، وأنّ (إيران) تقوم بإعادة تموضع كثير مِن القواعد تَبعًا للمتغيّرات السّياسيّة والعسكريّة، وهذا عرض لهذه القواعد:

1– مركز قيادة الحرس الثّوريّ الإيرانيّ الرّئيسيّ:

– تُعرف هذه القاعدة بالبيت الزُّجاجيّ (مقار شيشاي بالفارسيّة)، وهي المركز الرّئيسيّ لـ(الحرس الثّوريّ الإيرانيّ) في (سورية)، تقع هذه القاعدة داخل مبنى (مطار دمشق الدّوليّ)، وتُدار منها الميليشيات الطائفية المقاتلة في (سورية).

– يتألّف مبنى (البيت الزُّجاجيّ) من خمسة طوابق، تَضمُّ (180 غرفة)، والدّوائر التي يضمُّها مبنى (البيت الزّجاجيّ) هي:[1] دائرة مكافحة التّجسّس، ودائرة الخدمات اللّوجستيّة، ودائرة الدِّعاية، وقيادة الميليشيات، وإدارة المخابرات الإيرانيّة، وخزائن فيها ملايين الدّولارات.

يُضاف إلى ذلك غرف للصّلاة، وعيادة خاصّة تضمُّ (20 سريرًا) لكبار الضّبّاط، يترأّس المقرّ القائد (سيّد رضا موسويّ).[2]

– جدران البيت الزُّجاجيّ مضادّة للانفجار، والحراسة الموجودة والعناصر المتمركزون في القاعدة يقدّرون ما بين (500 إلى 1000) من الموظّفين والحرّاس، وقد قُتل في البيت الزّجاجيّ القياديّ البارز في (حزب الله) (مصطفى بدر الدّين)، وذلك في ظروفٍ غامضة لم يتمَّ الكشف عنها.

– دمّرت إسرائيل مبنى البيت الزُّجاجيّ في أيّار (2018م) ثمّ قامت (إيران) بإعادة بنائه، وقد قامت إسرائيل بغاراتها على تلك القاعدة فيما سُميَّ ردًّا على إسقاط المقاتلة F16.

– تهدف (إيران) من إنشاء قاعدة (البيت الزُّجاجيّ) إلى السّيطرة المحكمة على مدينة (دمشق)، وبما يشبه تجربة الضّاحية الجنوبيّة في (بيروت)، وذلك من خلال إقامة هذه القاعدة الّتي تتوسّط مناطق جعلتها (إيران) حاضنة لمشروعها من خلال التّهجير للسّكّان الأصليّين من جانب، وتوطين للمرتزقة من جانب آخر، وتهدف هذه القاعدة أيضًا إلى إمداد مختلف الميليشيات الطائفية بالمقاتلين والدّعم، وتهدف كذلك إلى التّحكم بشكل مركزيّ بهذه المليشيات والإشراف على عمليّاتها القتاليّة، ومن خلال ما سبق يتبيّن لنا الأهميّة العسكريّة والسّياسيّة لهذه القاعدة.

2– قاعدة الإمام عليّ:

– تقع هذه القاعدة عند الحدود السّوريّة العراقيّة، قرب مدينة (البوكمال) وتحديدًا بجانب معبر (القائم

(1) صحيفة الدّيلي ميل: 30 /08/ 2016م.
(2) الحياة الجديدة: إيران تتموضع في سورية 18 /11/ 2017 م.

الحدوديّ)، تبعد (320 كم) عن القاعدة الأمريكيّة في (التّنف)، ترتبط قاعدة (الإمام عليّ) بمطار (T2) على بعد (60 كم) إلى الغرب، ثمّ يمتدّ الطّريق (126 كم) ليصل إلى (T3) وبعدها (93 كم) إلى (T4) ومطار (التّيّاس) العسكريّ.[1]

– منظّمة (جهاد البناء) هي الجهة الّتي قامت ببناء هذه القاعدة بقيادة الجنرال (حسن يكتا)، تمتدُّ على مساحة (20 كم2) وتحتوي على (30 كم) من الطُّرق الدّاخليّة، وتتوسّع هذه القاعدة تحت الأرض على أعماق كبيرة لأجل تخزين الأسلحة على شكل أنفاق[2]، طول النّفق (121 مترًا)، وعرضه (4.5 مترًا)، وعمقه (3.9 مترًا).[3]

– يدير القاعدة (فيلق القدس) وتُعتبر أكبر قاعدة لـ(إيران) في (سورية) وقد أنشأتها (إيران) من الصِّفر، تحتوي صواريخ موجّهة، ويحاط موقع القاعدة بجدران محصّنة ونقاط تفتيش.

– تضمُّ هذه القاعدة (5) منشآت لتخزين الصّواريخ، و (15 منشأة) لتخزين العتاد والسّلاح، وتضمُّ كلُّ منطقة في القاعدة هنغارًا كبيرًا يتّسع لإخفاء الشّاحنات وكميّات كبيرة من المعدّات.[4]

– استراتيجيًّا: تُعتبر القاعدة محورًا أساسًا للنّفوذ الإيرانيّ في المنطقة (إيران – العراق – سورية) وهي تؤمّن طريقًا حيويًّا لنقل السّلاح والذّخائر من (العراق) إلى (سورية) وصولًا إلى (لبنان)، تعرّضت هذه القاعدة لضربة جوّيّة يُعتقد أنّها غارات إسرائيليّة عام (2018م)، وبعدها تمّت إعادة البناء ثانية، وقد دمّرت تلك الغارات (8 مبان) وقتلت(21 عسكريًّا).

3– القاعدة العسكريّة في حلب "جبل عزّان" على سفحه الشّرقيّ:

– تقع هذه القاعدة جنوب مدينة (حلب) على بعد (12 كم)، وهي أكبر قاعدة عسكريّة إيرانيّة في شمال (سورية)، تمَّ إنشاء هذه القاعدة بداية عام (2015م)، يديرها (الحرس الثّوريّ الإيرانيّ).

– استراتيجيًّا: تُطلُّ هذه القاعدة على الطّريق السّريع الواصل بين (دمشق) و (حلب).

– تتبع لهذه القاعدة مجموعة من القواعد الصّغيرة والثّكنات (جعارة، العدنانيّة، الأربعين، وعبطين)، توجد هذه القواعد جنوب وشرق الحاضر.[5]

4– قاعدة الكسوة:

– تقع على بعد (15 كم) جنوب غرب مدينة (دمشق)، على بعد (50 كم) من مرتفعات (الجولان) المحتلّ، تمَّ إنشاؤها عام (2017م) كقاعدة عسكريّة ضخمة.[6]

– تضمُّ هذه القاعدة أكثر من (20 مبنى) فخمًا، وهي مخصّصة لإيواء الجنود والمركبات، تأتي أهميّة هذه القاعدة من قربها من (دمشق) وكذلك (الجولان).

– قامت (إيران) بإخلاء هذه القاعدة عام (2019م) بعد تعرُّضها لغارات إسرائيليّة متعدّدة.[7]

5– قاعدة مركز جديدة الشّيبانيّ، أو ما يُعرف بقاعدة "جبل شرقيّ":

– تقع هذه القاعدة الإيرانيّة على بعد (8 أميال)

(1) فوكس نيوز الأمريكيّة.
(2) المدن: 2018/12/13.
(3) فوكس نيوز الأمريكيّة.
(4) فوكس نيوز الأمريكيّة.
(5) المدن: ماذا تريد إيران من المنطقة شرقيّ سكّة الحجاز – 17 /11/ 2017م.
(6) هيئة الإذاعة البريطانيّة بي بي سي.
(7) زمان الوصل نقلاً عن موقع ديبكا.

شمال غرب مدينة (دمشق)، كانت في السّابق مقرًّا للحرس الجمهوريّ التّابع لقوّات النّظام السّوريّ، ثمَّ تحوَّلت إلى قاعدة للميليشيات الإيرانيّة عام (2016م)، تحتوي هذه القاعدة على (3000 جنديًّا)[1].

– يدير هذه القاعدة (فيلق القدس)، والعناصر الموجودة فيها هم من قوّات (الحرس الثّوريّ الإيرانيّ)، وقوّات (الفاطميّون) و (حزب الله).

6– قاعدة إزرع:

– تقع هذه القاعدة بالقرب من مدينة (إزرع) في محافظة (درعا)، وفيها مركز قيادة (الحرس الثّوريّ الإيرانيّ) في الجنوب السّوريّ، تتمركز فيها وحدات الدِّفاع الجويّ المزوّدة بصواريخ (أرض – جوّ).

7– قاعدة القنيطرة:

– تُسمّى بقاعدة (اليرموك) وتقع في منطقة (القنيطرة)، يرى كثير من المحلّلين أنّها من أخطر القواعد الإيرانيّة في (سورية)، وذلك لأنّ (إيران) دعمتْ هذه القاعدة عبر توطين عائلات شيعيّة وملّكتْها عقارات في كلٍّ من (غرين)، و (تلول فـاطـمـة)، و (خان أرنبـة)، و (مدينة البعث)، القريبة من هذه القاعدة.

8– القاعدة العسكريّة الإيرانيّة في مطار "السّين":

– مطار (السّين) يقع على طريق (بغداد – دمشق)، في البادية السّوريّة، ويبعد عن الحدود الأردنيّة (73 كم) بمقابل منطقة الرّويشد، قامت قيادة القوّات الإيرانيّة بالتّمركز في مبنى المدرسة (المطاريّة) بالقرب من مبنى قيادة (اللّواء 17)، ويتمركز في مطار (السّين) العسكريّ سربٌ من الطّائرات الإيرانيّة المسيّرة من أنواع عدّة، أبرزها نوع (شاهد 29)، وقد أسقطت طائرات التّحالف الدّوليّ إحدى هذه الطّائرات بعد انطلاقها من المطار.[2]

9– قاعدة مطار الـ "T4" العسكريّة:

– يُعتبر مطار (T4) العسكريّ من أكثر القواعد الجويّة أهميّةً في (سورية)، ويقع بالقرب من مدينة (تدمر)، على بعد (50 كم) عن المدينة، استقرّت في هذا المطار وحدة خاصّة من (الحرس الثّوريّ الإيرانيّ) وقامت بتشغيله، وقد انطلقت منه طائرة إيرانيّة مسيّرة، ودخلت الأراضي (الإسرائيليّة) مما أدّى لقيام إسرائيل بغارة على مطار الـ (T4).

10– القاعدة العسكريّة في مطار "الشّعيرات":

– يقع مطار (الشّعيرات) على بعد (31 كم) إلى الجنوب الشّرقيّ من مدينة (حمص)، اتّخذت (إيران) من هذا المطار قاعدة لها لأجل إدارة العمليّات في المنطقة الوسطى.

11– القاعدة الإيرانيّة في المنطقة السّاحليّة:

– أقيمت هذه القاعدة لـ (الحرس الثّوريّ الإيرانيّ) في مكان معسكر للشّبيبة، وذلك جنوب مدينة (اللّاذقيّة) بالقرب من (طرطوس).

12– ثكنات عسكريّة إيرانيّة منتشرة على الخارطة السّوريّة:

– فعلى الطّريق الدَّوليّ (دمشق – بغداد) هناك ثكنات عسكريّة في مناطق (ظاظا) و (السّبع بيار) و (جليغم) و (الشّحميّ)، وهنالك قاعدة لـ (الحرس الثّوريّ الإيرانيّ) في شمال (حلب) في مدينة (ماير)، قرب (نُبّل)، وهنالك أيضًا قاعدة (اللّواء 47) شرقيّ مدينة (حماة)، وكذلك قاعدة (الضّمير) الجوّيّة، وقاعدة (الإمام الحسين) في منطقة (السَّيِّدة زينب)، وقاعدة (جبل الرّماد الشّرقيّ).

13– يضاف إلى هذه القواعد سبع قواعد أنشأها "حزب الله"، وهي:

(2) التّبليغراف 28 /02 /2018م.

(3) زمان الوصل – مطار السّين قاعدة عسكريّة للحرس الثّوريّ الإيرانيّ 26 حزيران / يوليو / 2017.

الأولى: في الزّبدانيّ:
حيث أنشأ الحزب موقعًا عسكريًّا الجزءُ الأكبر منه يقع تحت الأرض، ويُعدّ مُنشأة غير تقليديّة، يبدو من هذه المنشأة المدخل فقط، ويمتدّ على طول مرج التّل بطول (150 مترًا)، وعرض (50 مترًا).[1]

الثّانية: في القصير:
بعد دخول الحزب إلى (القصير) عام /2013م/ أقام فيها منشأة عسكريّة ومصنعًا للذّخيرة، وأنفاقًا تصل بين (لبنان وسورية)، وأقام معهدًا للتّدريب الخاصّ على استعمال الصّواريخ بإشراف ضبّاط إيرانيّين، وخصوصًا أنّ (إيران) زوّدت (حزب الله) بصواريخ (شهاب 1) و (شهاب 2) و (فاتح 110).[2]

الثّالثة: في جبل القلمون:
حيث أنشأ الحزب مَدرجًا لهبوط الطّائرات بطول (670 مترًا) وعرض (20 مترًا)، بحيث تهبط طائرات النّقل من طراز (An-74 T-200) الّتي يمتلكها (الحرس الثّوريّ الإيرانيّ) لأجل نقل الأسلحة إلى (حزب الله)، وكذلك يُستخدم هذا المطار لتفعيل الطّائرات من دون طيّار طراز (أبابيل)، و (شهيد 129).[3]

الرّابعة: في ريف درعا قرب مدينة الحراك:
أقام الحزب قاعدة قرب مدينة (الحراك) في موقع (اللّواء 52)، وذلك في كانون الثّاني– 2019م[4].

الخامسة: في درعا: بداية 2019م.

السّادسة: في منطقة اللّجاة:
وهي أيضًا تقع في (درعا) في الرّيف الشّرقيّ في منطقة صخريّة شديدة الوعورة، وقد قام الحزب بإنشاء هذه القاعدة بعد حملة تهجير للأهالي في القرى المحيطة بموقع القاعدة، تمّ إنشاء هذه القاعدة مطلع عام (2018م).

السّابعة: هي قاعدة صابر:
تقع هذه القاعدة بين قريتي (حدر) و (حرفا) شمال (القنيطرة)[5].

– خسائر إيران العسكريَّة في سورية:

من الصَّعب تقدير خسائر (إيران) البشريَّة في (سورية)، حيث أنّ (إيران) تحتفظ بهذه المعلومات لدى (هيئة حماية القيم المقدَّسة) التَّابعة لرئاسة الأركان الإيرانيَّة، لكنَّ (عين الله تبريزيّ) المستشار في (فيلق كربلاء) التّابع لـ (الحرس الثّوريّ الإيرانيّ) اعترف بمقتل (2800 عسكريًّا) تابعًا لقوّات بلاده في (سورية) منذ عام (2012م)[6].

وهذا عرضٌ لأبرز الجنرالات الإيرانيّين الّذين قُتِلوا خلال الـ (6 أعوام) الماضية في (سورية):

– الجنرال قاسم سليمانيّ:

صحيحٌ أنّ (قاسم سليمانيّ)، تمَّ قتله بالقرب من مطار (بغداد)، ولكنّه كان عائدًا من مطار (دمشق)، حيث كان يقوم برحلات مكوكيّة من (بيروت) إلى (دمشق) فـ(بغداد) فـ(طهران)، وقد كانت (سورية) هي أبرز السّاحات الّتي عمل فيها خلال السّنوات الماضية، وكان القائد لكلّ الأعمال العسكريّة الإيرانيّة في (سورية)، ولأنّه لم يكن جنرالًا كغيره من الجنرالات الإيرانيّين، بل كان أبرزهم وأكثرهم أهميّة، فهذا عرضٌ مهمٌّ حول شخصيّته، ودوره في (سورية) والمنطقة:

(1) السّوريّة نت: حزب الله يعزّز وجوده في سورية لتأسيس قواعد دائمة له فيها – 9 /04/ 2016م.
(2) صحيفة عكاظ: حزب الله يحيل القصير قاعدة عسكريّة إيرانيّة – 15 /11/ 2018م.
(3) العربيّة نت: حزب الله يستخدم طائرات من دون طيّار في القلمون – 15 /05/ 2015م.
(4) المدن: 21 / 08 / 2019م.
(5) المدن: 2019/8/21م.
(6) الوطن: فاتورة الخسائر البشريّة الإيرانيّة في سورية يَسدّدها رصيد جنرالاتها – 2016/11/08م.

من هو قاسم سليمانيّ؟

– الفريق (قاسم سليمانيّ)، مواليد (1957م)، انضمَّ إلى (الحرس الثّوريّ الإيرانيّ) عام (1979م)، خلف (أحمد وحيديّ) على رأس (قوّة القدس)، وقد كان انضمامه إلى (الحرس الثّوريّ الإيرانيّ) لأجل منع الجيش من القيام بانقلاب ضدّ نظام الملالي في (إيران) (الخمينيّ).

– تمّ تعيينه قائدًا لـ(فيلق القدس) عام (1998م)، و (فيلق القدس) هو فرقة تابعة للـ(الحرس الثّوريّ الإيرانيّ) مسؤولٌ عن العمليّات العسكريّة السِّرّيّة خارج حدود (إيران)، وهو واحد من خمس وحدات تُشكِّل (الحرس الثّوريّ الإيرانيّ)، لديه خبرة في توفير التّدريبات العسكريّة، يقوم بتزويد الميليشيات بالأسلحة والدّعم الماليّ، ويجمع الاستخبارات التكتيكيّة، ويخضع قائده (سليمانيّ) للمساءلة من قبل المرشد الأعلى الإيرانيّ (الوليّ الفقيه)، وليس من قبل أجهزة الحكومة الإيرانيّة.

– تمّت ترقيته عام (2011م) من رتبة عقيد إلى لواء مباشرة من قبل (خامنئيّ)، ثمّ رُقيّ إلى رتبة فريق عام (2018م).

حول شخصيّته الإيديولوجيّة:

يمكن أن نكوّن ونرسم ملامح هذه الشّخصيّة من خلال تتبُّع طروحاته، وتصريحاته، هذا مع قلّة ظهوره الإعلاميّ في معظم حياته، خلافًا للمراحل الأخيرة من حياته حيث ازداد هذا الحضور لأجل إظهار شخصيّة رمزيّة تعبّر عن مشروع (إيران) الخارجيّ، وتستقطبُ أتباع مشروع (الوليّ الفقيه)، وقد توجّهت الماكينة الإعلاميّة الإيرانيّة إلى تسليط الضّوء على قائد قوّات (فيلق القدس) بعد أن كان يعيش في ستار من العزلة السِّرّيّة يتناسب مع طبيعة المهامّ الأمنيّة السِّرّيّة خارج (إيران)، فأصبح القائد الأكثر شهرة، والمادّة الرّئيسيّة للأفلام الوثائقيّة ونشرات الأخبار، وحتّى أغاني موسيقا البوب الرّائجة في (إيران).[1]

يمكن قراءة هذه الشّخصيّة من خلال استخدامه أثناء المقابلات الإعلاميّة الّتي أُجريت معه لمصطلحات مثل: محور المقاومة – الكيان الصّهيونيّ – الطّائفة الشّيعيّة – الخليج الفارسيّ – الإمام الخامنئيّ السّيّد القائد – دروس الولاية – كلمات السّيّد القائد حسن نصر الله – كلمات الإمام الخامنئيّ كلمات إلهيّة غيبيّة – ملحمة الدِّفاع المقدّس – زمان الغيبة الصّغرى/الإمام يلتقي صاحب الزّمان – نوّاب إمام العصر.

ويمكن لنا استكمال رسم شخصيّة سليمانيّ من خلال ما أُطلِق عليه من ألقاب، وما وُصِفَ به:

– الشّهيد الحيّ (كما كان يسمّيه خامنئيّ) – رجل المهمّات الإيرانيّة الصّعبة – (الإعلام) – ذراع (خامنئيّ) الضّارب في (العراق وسورية ولبنان) – الرّجل الثّاني في (إيران) – مهندس الاستراتيجيّات الإيرانيّة لمكافحة التّأثير العربيّ وتوسيع النّفوذ الإيرانيّ في الشّرق الأوسط[2] – المسؤول عن تصدير الثّورة الإيرانيّة في المنطقة – رأس حربة (إيران) – مهندس خطوط التّمدد الإيرانيّ – الحاجّ قاسم – حاكم العراق السّرّيّ – مسؤول العمليّات الخارجيّة في الحرس الثّوريّ الإيرانيّ – سليمانيّ رجل (إيران) الأخطر – شهيد القدس (كما سمّاه إسماعيل هنيّة بتوجيه من صالح العاروريّ) وذلك خلال كلمته في تأبين قاسم سليمانيّ – الجنرال سليمانيّ وفيلق

(1) موقع إضاءات: الحرس الثّوريّ الذّراع الضّاربة للإمبراطوريّة الإيرانيّة – 2017/02/22.

(2) الصّحفيّ الأمريكيّ (ديكستر فيلكينز) في مقالة "قائد الظّل" لصحيفة نيويوركر.

القدس مسؤولان عن مقتل مئات الأمريكيّين.[1]

الأعمال الّتي قام بها:

– قمع انتفاضة الطّلاب الكرد في (إيران) عام (1979م – 1983م)

– قاد خلال الحرب العراقيّة الإيرانيّة فيلق (41 ثأر الله) وهو فيلق محافظة كرمان الّتي ينتمي إليها.

– تولّى قيادة وتأسيس ميليشيات تابعة لـ(طهران) في (العراق وسورية ولبنان).

– أسّس ميليشيات الحشد الشّعبيّ في (العراق).

– قاد قمع الاحتجاجات الدّاخليّة ضدّ المرشد (خامنئيّ).

– كان إلى جانب (حزب الله) في حرب تمّوز عام (2006م) وكوّن مع (حسن نصر الله)، و (عماد مغنية) فريقًا للتّعامل مع المعارك.

– عام (2008م) قاد فريقًا إيرانيًّا للتّحقيق بمقتل (عماد مغنية) القياديّ في (حزب الله).

– نشرت وكالة فارس التّابعة لـ (الحرس الثّوريّ الإيرانيّ)، وأعيد النّشر على موقع الدّائرة السّياسيّة لـ(الحرس الثّوريّ الإيرانيّ) أنّ (فيلق القدس) بقيادة (قاسم سليمانيّ) قام بنقل خبراء أمنيّين في آذار – مارس (2011م) من أجل السّيطرة على ما وصفها بأعمال الشّغب في شوارع (سورية)، وهذا يفضح كذب (إيران)، ويبيّن تدخّلها المبكّر ضدّ الثّورة في (سورية).

– أشرف على المعارك في (القصير)، و (بابا عمرو)، وريف (دمشق) الشّماليّ الغربيّ، ومعارك (القلمون)، ومعارك (حماة) وريفها، وجبال السّاحل السّوريّ، وعمليّات البادية، ومعارك (درعا).

– قدّم الدّعم لـ(بشار الأسد) عندما كان على وشك السّقوط

– زار (موسكو) صيف (2015م) حاثًّا (روسيا) على التّدخّل العسكريّ وقيام تحالف روسيّ إيرانيّ.

– كان يسافر إلى (دمشق) بشكل دوريّ بعد (2011م).

– وجود تقارير غربية مبكّرة في أيّار (2011م) عن نشاط (فيلق القدس) ومشاركته في قمع الثّورة السّوريّة.[2]

– أثنى (بشّار الأسد) عن مغادرة البلاد بعد أن أوشك على مغادرتها بسبب شدّة الاحتجاجات الّتي أصبحت على مقربة من القصر الجمهوريّ، كما صرّح بذلك (حسن بلارك) الرّئيس السّابق للجنة إعادة إعمار المراقد المقدّسة لوكالة أنباء (فارس) الإيرانيّة.[3]

– وكالة (إرنا) وهي كالة الأنباء الإيرانيّة، أعلنت أنّه تمّ إرسال (50 جنرالًا) متقاعدًا ممّن شاركوا في الحرب الإيرانيّة العراقيّة إلى (سورية) عام (2014م)، وكان لهم دور رئيسيّ في معارك شمال (حلب وعفرين وطومان والحاضر) بقيادة (قاسم سليمانيّ)[4].

– يعدّ (قاسم سليمانيّ) القائد الفعليّ لـ(حزب الله)، لأنّ علاقة الحزب بـ(إيران) لم تكن ندّيّة وتشاركيّة، بل كانت علاقة تبعيّة مطلقة لـ(الحرس الثّوريّ الإيرانيّ)، وبشكل مباشر لـ(قاسم سليمانيّ)، وقد لجأت (إيران) إلى الدّفع والزّجّ بـ(حزب الله) في كثير من المعارك خصوصًا بعد تزايد أعداد القتلى من الجنرالات وغيرهم من الإيرانيّين، خشية تفاقم الأوضاع الدّاخليّة ضدّ نظام (الوليّ الفقيه).

– استلم (قاسم سليمانيّ) قيادة المعارك في

(1) الرّئيس الأميركيّ دونالد ترامب.

(2) موقع الجزيرة مباشر: الحرس الثّوريّ – من حماية ثورة إلى وأد الثّورة السّوريّة – الحلقة 6 – 2019/9/12م.

(3) الأناضول: مسؤول إيراني سابق: سليماني أثنى الأسد عن الاستقالة – 2020/02/24م.

(4) موقع أورينت نت: تعرّف على الجيش الشّيعيّ الحرّ الّذي أسّسه قاسم سليمانيّ في سورية – 2016/08/19م.

(حلب) بعد التّدخّل الرّوسيّ عام (2015م)، والّتي استمرّت حتّى نهاية عام (2016م)، وشارك فيها ما بين (6 إلى 8 آلاف مقاتل) من ميليشيات المشروع الإيرانيّ، وفقًا لإحصائيّات صحيفة الغارديان البريطانيّة [1].

– ساهم في حملات التّهجير في العديد من مناطق (سورية) (داريّا – الزّبدانيّ – مضايا – حلب .....)

> **توجّهت الماكينة الإعلاميّة الإيرانيّة إلى تسليط الضّوء على قائد قوّات (فيلق القدس) بعد أن كان يعيش في ستار من العزلة السِّرّيّة يتناسب مع طبيعة المهامّ الأمنيّة السِّرّيّة خارج (إيران)، فأصبح القائد الأكثر شهرة، والمادّة الرّئيسيّة للأفلام الوثائقيّة ونشرات الأخبار، وحتّى أغاني موسيقا البوب الرّائجة في (إيران).**

– زار (حلب) سبتمبر (2016م) في أوج حصارها، بعدها تحدّث المفوض السّاميّ لحقوق الإنسان (زيد رعد الحسين) عن مجزرة ارتكبتها (روسيا) و(إيران) في (حلب) شبّهها بالمسلخ، وفي ديسمبر من (2016م) زار (سليمانيّ) المدينة مرّة أُخرى بعد تهجير أهلها، والتُقِطَتْ له الصّور على أنقاض المدينة.

– زار العديد من مواقع القتال في (سورية) وظهر في الكثير منها، مثل الميادين في (دير الزّور)، و(الغارية الشّرقيّة) في (درعا)، وفي الحاضر في (حلب)، وقبلها في (اللّاذقيّة) (جبال اللّاذقيّة).

– في كلمة له أمام مجلس الخبراء الإيرانيّ، قال (سليمانيّ): "(سورية) هي خطّ الدّفاع الأوّل للمقاومة وهذه حقيقة لا تقبل الشكّ"[2].

– قام بمواجهة الاحتجاجات الشّعبيّة المناهضة للنّظام العراقيّ الموالي لإيران [3].

– ساهم بشكل كبير في تصفية كوادر "السُّنَّة" عبر تشكيل فيلق (بدر) و (جيش المهديّ) التّابع لـ (مقتدى الصّدر).

– اعترف (قاسم سليمانيّ) لـ(طارق الهاشميّ) بدعم القاعدة وهذه نقطة مهمّة في الاستراتيجيّة الإيرانيّة تُبيّن أنّ (إيران) تسعى لتنفيذ مخطّطها من خلال الفوضى وصناعة الإرهاب[4].

– كان (سليمانيّ) يتمتّع بنفوذ دبلوماسيّ أكثر من وزير الخارجيّة (جواد ظريف)، وقد (قام سليمانيّ) بترتيب زيارة (بشّار الأسد) لـ(إيران) دون علم (جواد ظريف).

– من أهمّ أعماله أيضًا اغتيال الأعداء وتسليح الحلفاء.

حجم الضّربة الموجّهة لإيران بمقتل قاسم سليمانيّ:

– قُتل (سليمانيّ) بتاريخ 2020/1/3م بالقرب من مطار (بغداد) وقد كان عائدًا من مطار (دمشق)، تمّ قتله من خلال طائرات بدون طيّار أمريكيّة وقُتل معه (أبو مهديّ المهندس)، نائب رئيس الحشد الشّعبيّ بالعراق، وكذلك قُتل (سامر عبد الله) صهر (عماد مغنية)، وزوج بنت (قاسم سليمانيّ)، و(محمّد رضا الجابريّ) مدير تشريفات الحشد بالمطار، و(حسن عبد الهادي) من كوادر الحشد الشّعبيّ، و (حيدر عليّ) من كوادر الحشد الشّعبيّ أيضًا، يعتقد كثير من المحلّلين

(1) موقع بي بي سي بالعربيّ: هل انتصرت إيران في معركة حلب؟ – 2016/12/19.
(2) أورينت.
(3) معهد واشنطن لدراسات الشّرق الأدنى: مجموعة من الميليشيات العراقيّة، وقادة الأمن العراقيين، وضبّاط في الحرس الثّوريّ الإيرانيّ شكّلوا خليّة أزمة في بغداد بقيادة سليمانيّ.
(4) مقابلة على قناة العربية – برنامج الذّاكرة السّياسيّة.

أنّ استهداف (سليمانيّ) وتتبّعه تمّ عن طريق اختراق في مطار (دمشق) وفي مطار (بغداد).

– يعدُّ (قاسم سليمانيّ) مؤسّس المشروع الميليشياويّ الإيرانيّ، هذا المشروع الّذي يقوم على أساس حشد واستقطاب "الشّيعة" من مختلف دول العالم خلف المشروع التّوسعيّ الإيرانيّ، ولقد أقنع (قاسم سليمانيّ) مرشدَ الثّورة الإيرانيّة (عليّ خامنئيّ) بأهميّة واستراتيجيّة هذا المشروع الميليشياويّ، وقد ظهر تأييد المرشد (عليّ خامنئيّ) لهذا المشروع من خلال التّبنّي له والدّعم الماليّ الكبير المباشر.

– قام (قاسم سليمانيّ) خلال أكثر من عشرين سنة من قيادته لما يسمّى بـ(فيلق القدس) بتشكيل ميليشيات كثيرة منتشرة في العديد من الدّول العربيّة المستهدفة ضمن المخطّط الإيرانيّ التّوسعيّ، هذه الميليشيات تعتبر (قاسم سليمانيّ) قائدًا لها ورمزًا لمشروعها الإمبراطوريّ الفارسيّ الشّيعيّ، وقد كان (سليمانيّ) يُعبّر عن ذلك عبر تحرّكه الدّائم بين العواصم الأربع (طهران – بغداد – دمشق – بيروت) وتواصله وإشرافه الدّائم المباشر على هذه الميليشيات، بل إنّ (قاسم سليمانيّ) تربطه بقادة هذه الميليشيات علاقاتٌ وثيقةٌ ومعرفةٌ دقيقةٌ.

– كان (قاسم سليمانيّ) يُعتبر مرشّحًا حقيقيًّا لقيادة (إيران) بعد (خامنئيّ)، وخاصّة إذا تمّ إلغاء منصب ولاية الفقيه كما تطالب بعض الأصوات في (إيران).

– لذلك يعتبر مقتل (سليمانيّ) أكبر نكسة تتعرّض لها (إيران) منذ نهاية حربها مع (العراق).

– يصعب على من خلفه إكمال مهمته، ومقتل (سليمانيّ) هو ضربة قويّة لقدرة النّظام الإيرانيّ على توسيع نفوذه.

– "الجنرال حسن الشّاطريّ":
قتل في ريف (دمشق) بتاريخ شباط (2013م).[1]

– "الجنرال عبد الله اسكندريّ":
قُتل في ريف (حماة) بتاريخ أيّار (2014م).

– "الجنرال جبّار دريساويّ":
قُتِل في ريف (حلب) بتاريخ تشرين الأوّل (2014م).

– "الجنرال محمّد عليّ دادي":
قُتِل في ريف (القنيطرة) بتاريخ كانون الثّانيّ (2015م).

– " الجنرال عبّاس عبد إلهيّ":
قُتِل في ريف (درعا) بتاريخ شباط (2015م).

– "الجنرال محمّد صاحب كرم أردكانيّ":
قُتل في ريف (درعا) بتاريخ آذار (2015م).

– "الجنرال كريم غوابش":
قُتل في ريف (دمشق) بتاريخ تمّوز (2015م).

– "الجنرال حسين همدانيّ":
قُتِل في (حلب) بتاريخ تشرين الأوّل (2015م).

– "الجنرال فرشاد حسونيّ زاده":
قُتِل في ريف (حماة) بتاريخ تشرين الأوّل (2015م).

– "الجنرال مسلم خيزاب":
قُتِل في ريف (حماة) بتاريخ تشرين الأوّل (2015م).

– " الجنرال ذاكر حيدريّ":
قُتِل في ريف (حلب) بتاريخ تشرين الأوّل (2016م).

– "الجنرال غلام رضى سيماويّ":
قُتِل خلال عام (2016م).

– "الجنرال دريوش دوروستي":
قُتِل في (حماة) بتاريخ أيلول (2016م).

– "الجنرال غلام أحمديّ": قُتِل في (حلب) بتاريخ آب (2016م).

– " الجنرال حاج حميد مختر بند" المعروف بأبي الزّهراء:
قُتِل في (حماة) خلال عام (2016م).

– "الجنرال جواد دوربين":
قُتِل في (حلب) خلال عام (2016م).

(1) الوطن: فاتورة الخسائر البشريّة الإيرانيّة في سورية يسدّدها رصيد جنرالاتها – 2016/11/08م.

– الجنرال شفيق شفيعيّ:
قياديّ في (فيلق القدس).
– الجنرال عليّ رضا توسّليّ:
قائد لواء (فاطميّون) وهو أفغانيّ الأصل، قُتل في (درعا) (2015م) ومن أبرز القتلى في صفوف لواء (فاطميّون) (رضا حواري) و (عليّ بيان) و (عليّ فرادي) و (محمّد حسن حسينيّ) مساعد قائد اللّواء.
– الجنرال شاهروخ دائي بور:
قُتل في البوكمال 23 – 06 – 2018م
– الجنرال فرهاد دبيريان:
قُتل في منطقة السّيّدة زينب 07 – 03 – 2020 م
– الجنرال أصغر باشابور:
قُتل في حلب 03 – 02 – 2020م
وبالإضافة إلى الجنرالات:
(محمّد جماليّ زاده)، (عبد الرّضى مجيريّ)، (علي الله داديّ)، (محسن قجريان)، (سيّد سجّاد حسينيّ)، (حسن عليّ شمس أباديّ)، (عزّت الله سليمانيّ)، (عبد الرّضا مجيريّ)، و (مسلم خيزاب).

ثامنًا: الأساليب التّربويّة والتّعليميّة:

تقوم (إيران) بالعديد من النّشاطات، الّتي تستهدف الأجيالَ في (سورية) عبر مراحل حياتهم منذُ الطُّفولة حتّى مراحل الدّراسة العُليا، بُغيةَ التّأثير في ثقافتهم وتوجُّههم، وهذه بعض النّشاطات والمؤسّسات الّتي أنشأتها (إيران) لهذا الغرض:

1– هيئات تستهدف الأطفال:

قامتْ الهيئة المسماة بـ (هيئة أحفاد الحسين) بإنشاء (كشّافة المهديّ)، وذلك بغرض تنشئة الأطفال تنشئةً طائفيّةً شيعيّةً، وهي تُجبرُ الأطفال على الانخراط في نشاطاتٍ دينيّةٍ وطقوسٍ غريبةٍ من البكاء والنّدب وصيحاتِ الانتقام والقتل، لكي يتعوّدَ الأطفال من خلال هذه الطُّقوس على مشاهد الدِّماء، وقصص قطع الرُّؤوس، والانخراط في طقوس عاشوراء الدّمويّة، وتُشارك هذه الهيئات في تقديم عروضٍ شبه عسكريّةٍ، في دلالةٍ واضحةٍ على المستقبل المظلم الّذي ينتظرُ هؤلاء الأطفال، وتهيمنُ على هذه الأنشطة صور (الخمينيّ)، والرُّموز الإيرانيّة، ولقد قام التِّلفزيون الإيرانيّ ببثّ ماسمّاه نجاح الميليشيات الإيرانيّة في تأسيس فِرَق (كشّافة) موالية لـ(إيران) في (سورية)، على يد الجنرال (حسن شاطِريّ) الملقّب بـ(حسام خوشي نويس)، وقد نشرت وكالةُ أهل البيت (ابنا) صورًا لما قالت إنّه مشاركةٌ واسعةٌ لأطفال (سورية) في مجلس العزاء الحسينيّ الّذي أُقيم في العاصمة السُّوريّة (دمشق)، بمناسبة استشهاد الإمام (الحُسين) وأخيه العبّاس وأهل بيته، يشار إلى أنّ الشّريحة المستهدفة في هيئات الكشّافة هذه هي من سنّ الثّامنة حتّى السّادسة عشرة، لتجعل أطفال (سورية) يتنقّلون ما بين ثقافة (طلائع البعث) إلى ثقافة (الكشّافة الشّيعيّة) فيصبح حالهم يصدق عليه المثل القائل "من تحت الدّلف لتحت المزراب"، يُضاف إلى ذلك افتتاح المدارس الّتي تستهدف المراحل الابتدائيّة، فقد تمّ افتتاح مدرسة ابتدائيّة في بلدة (معدان) في ريف (الرّقّة) الشّرقيّ، حيث حضر الافتتاح مندوب المستشاريّة الإيرانيّة، تُعنى المدرسة بتعليم الفارسيّة وتُصرفُ رواتب لذوي الأطفال، وتستهدف هذه المدارس الأطفال من (6 إلى 15 سنة)، وقد تمّ تسجيل (250 طالبًا) أيضًا في المدارس الإيرانيّة في (البوكمال) و (الميدانين) لتعليم اللّغة الفارسيّة والفقه الشّيعيّ، وفي (حلب) أيضًا أقدمت ميليشيا (حزب الله) على افتتاح مدرسة خاصّة بعوائل الميليشيات الطائفية وذلك في حيّ

(جمعيّة الزّهراء)، وبلغ عدد الطّلبة والطّالبات فيها نحو (200).[1]

2- هيئات تستهدف شريحة الشَّباب:

بعد هيئات الكشَّافة الَّتي تستهدف المراحل المبكِّرة من الأجيال في (سورية)، تأتي الهيئات الشَّبابيَّة الَّتي تستهدف الشَّباب في مراحل دراستهم الإعداديَّة، والثّانويَّة، في طريقة مماثلة لما يقوم به نظامُ "حزب البعث"، ويتمُّ من خلال الهيئات الشَّبابيَّة هذه الاستمرار بتنشئة الأجيال تنشئةً طائفيَّةً شيعيّةً، وهذه بعض الهيئات الّتي أنشأتها (إيران) وميليشياتها لهذا الغرض:

- هيئة شباب الحسين.
- هيئة عليّ الأصغر لشباب كربلاء.
- هيئة شباب جعفر الطَّيار.
- هيئة شباب أهل البيت.

3- افتتاح الجامعات:

تقوم (إيران) بالتَّعاون مع النِّظام في (سورية) بافتتاح بترخيص فروعٍ لجامعات إيرانيَّة يتمُّ افتتاحها في (سورية)، وقَد تمَّ بالفعل إنشاء مجموعة من هذه الجامعات الَّتي تقوم بتصدير التَّشيُّع الإيرانيّ، ونشر الطَّائفيَّة في مختلف المدن السُّوريَّة، ففي مدينة (اللَّاذقيّة) تمَّ افتتاح جامعة (الرَّسول الأعظم) في منطقة (مشروع شريتح)، وكذلك تمَّ افتتاحُ فروعٍ لجامعة (المصطفى) الإيرانيَّة، وجامعة (الفاربيّ) الإيرانيَّة أيضًا، وقد تمّ كذلك توقيع اتّفاقيّات بين جامعة (حماة) والجامعات الإيرانيّة التّالية:

- جامعة (فردوسيّ) في مدينة (مشهد).
- جامعة (أمير كبير).
- جامعة (الزّهراء) للإناث.

تقوم (إيران) بالعديد من النَّشاطات، الَّتي تستهدف الأجيالَ في (سورية) عبر مراحل حياتهم منذُ الطُّفولة حتَّى مراحل الدِّراسة العُليا، بُغيةَ التَّأثير في ثقافتهم وتوجُّههم.

تنصُّ هذه الاتّفاقيّات على التّبادل الثّقافيّ وتبادل الأساتذة، وقّع هذه الاتّفاقيّات رئيس جامعة (حماة) (محمّد زياد السّلطان)، وكذلك تمَّ توقيع قراراتٍ متعلّقةٍ بتأسيس فروعٍ لجامعة (آزاد الإسلاميَّة الإيرانيَّة) في (سورية)، قالَ رئيس مؤسِّسي جامعة (آزاد الإسلاميّة): "إنَّ (بشَّار الأسد) وافق على تأسيس فروعٍ للجامعة في (سورية)، ويجدرُ بالذِّكر أنَّ هذه الجامعات تتبع المؤسَّسة التَّعليميَّة في (إيران) بشكلٍ مباشر، وكذلك تمَّ الاتِّفاق بين نظام (بشَّار الأسد) و(إيران) على تأسيس كليَّة (المذاهب الإسلاميَّة) في العاصمة (دمشق)، وذلك بعد لقاءٍ بين وزير الأوقاف (محمَّد عبد السَّتَّار السَّيِّد) مع رئيس المجلس الاستراتيجيّ للعلاقات الخارجيَّة في (إيران) (كمال خرازيّ)، وقد أعلن (محمَّد عبد السَّتَّار السَّيِّد) أنَّه سيتمُّ تأسيس الكليَّة بالتَّعاون مع (المجمَّع العالميّ للتَّقريب بين المذاهب الإسلاميّة)، الَّذي يتولَّى (محسن أراكي) منصب أمينه العامّ، وأسَّسه المرشد (عليّ خامنئيّ) عام (1990م)، وكذلك أصدر (بشَّار الأسد) في 26-1-2017م المرسوم التَّشريعيَّ رقم (8) الَّذي ينصُّ على تعديل تسمية معهد (الشَّام للعلوم الشَّرعيَّةِ واللُّغة العربيَّة والدِّراسات والبحوث الإسلاميَّة) الَّذي يتبع إليه معهد (السَّيِّدة رقيَّة) وغيره إلى جامعة (بلاد الشَّام للعلوم الشَّرعيَّة)، وهنالك أيضًا جامعة (تربية مدرّس)، وهكذا نرى أنَّ (إيران) بالتَّعاون مع النِّظام

(1) موقع سوريا 24: حزب الله يفتتح مدرسة خاصّة لعائلات المقاتلين التّابعين لإيران في حلب – 2020/02/17م.

السُّوريّ تتدرَّجُ في استهداف الأجيال منذ الطُّفولة، ثمَّ في شبابهم، ثمَّ في دراستهم الجامعيَّة، كشَّافةٌ للأطفال، هيئاتٌ شبابيَّة، ثمّ جامعاتٌ شيعيّة.

تاسعًا: أسلوب التّغيّر الدّيموغرافيّ:

تعمل (إيران) على تغيير ديموغرافيّة (سورية) وذلك من خلال خطّة تعتمد على ركيزتين:

تتمثّل الأولى في سعيها لزيادة نسبة "الشّيعة" في (سورية) وذلك من خلال تجنيس أفراد الميليشيات الطائفية المقاتلة في (سورية) مع عائلاتهم، أما الثّانية فتتمثّل بالعمل على تقليل نسبة "السُّنَّة" في البلاد من خلال التّهجير والقتل.

1- التّجنيس:

يُعدُّ ملفُّ التَّجنيس من أخطر الملفَّات المتعلّقة بتغيير التَّركيبة السُّكانيّة في (سورية)، وهو ملفٌّ تحيطه السّرّيَّة بشكل كبير، وهو يساهم بشكلٍ قويٍّ في تغيير هُويَّة البلاد وديموغرافيَّتها، ويأتي استكمالًا لمجموعة من عوامل القتل والتَّهجير على أساس طائفيّ، والّتي تصبُّ معًا لأجل تغيير النِّسب السُّكانيَّة القائمة في (سورية) بحيث يصبح "الشّيعة" يتمتَّعون بنسبة كبيرة تُمكّنهم من أن يكونوا رقمًا إيرانيًّا يصعب تجاوزه في كلّ المعادلات، تتحدَّث التَّقارير عن أرقام متفاوتة إلى حدٍّ كبير في تقدير المجنَّسين من الإيرانيّين ومن الميليشيات الطائفية، فبعض التَّقارير يتحدَّث عن عشرات آلاف المجنَّسين الإيرانيّين و "الشّيعة"، وبعضها يتحدَّث عن تجنيس(2 مليون) شخص كما نقلت صحيفةُ (النَّهار)، عن الكاتب اللُّبنانيّ (أحمد عيَّاش)، والَّذي نسب هذه الأرقام إلى أوساط دبلوماسيَّة تحدَّثت أنَّ النِّظام السُّوريّ قام بمنح (2 مليون) بطاقة هُويَّة للإيرانيّين والميليشيات الطائفية الموجودة في (سورية)، وكذلك نشرت (زمان الوصل) في 2-4-2018م أنَّ دائرة الهجرة في مدينة دمشق استخرجت (200 ألف) جواز سفر لأشخاص من (إيران)، وقد نشرت (إيلاف) وثائق خطيرة من هذا الشَّأن، فقد نشرت كتابًا موجَّهًا من شعبة المخابرات العامَّة في (سورية) يحمل الرَّقم (59954) ص.ر.ش والموجّه إلى وزير الدَّاخليَّة الَّذي ينصُّ على كتاب رئاسة الجمهوريَّة المكتب الخاصّ رقم (5170) لإدراج الأسماء المذكورة ضمن قيود السِّجل المدنيّ ، ثمَّ توزيعها على مدن(دمشق – ريف دمشق – حلب – دير الزّور)، في ملفٍّ يحتوي عشرات الآلاف من أسماء المواطنين الإيرانيّين، وبجانبها أماكن توطينهم في (سورية)، وقد نشرت (إيلاف) نموذجًا من هذه الأسماء:

- رحمن ميثم رسول: تولُّد طهران.
- رضا موسى شيخان: تولُّد برسبوليس.
- كبير عليّ زادا: تولُّد أصفهان.
- محمود جواد رجويّ: تولُّد كيش.
- كرَّار أحمديّ نجاديّ: تولُّد تبريز.
- شيخو عليّ صبَّار: تولُّد باوه.
- رفيق حسين داره: تولُّد تبريز.
- جعفر حيدريّ شيخان: تولُّد مشهد.
- عليّ زاده حيدر: تولُّد شيراز.

وتذكر (إيلاف) أنَّ لديها الكثير من الوثائق المتعلّقة بملفِّ التَّجنيس هذا، يُذكرُ أنَّ من بين المجنَّسين شخصيات مشهورة وذات فاعليَّة كبيرة في المخطَّط الإيرانيّ، منها (عبد الحميد دشتي) وهو مستثمر شيعيٌّ كويتيٌّ قام بشراء عقارات كثيرة في عدَّة مناطق في (دمشق)، والدُّكتور (عصام ناجي عبَّاس العايديّ) مدير جمعيَّة" (بيت النَّجمة المحمَّديَّة).

2- التَّهجير والحصار والقتل على أساس طائفيّ:

ساهمت (إيران) وميليشياتها بشكل مباشر في

التَّغيير الدِّيموغرافيّ في (سورية) بهدف إضعاف الشَّريحة الأكبر في (سورية) "السُّنَّة"، وتقليل نسبتهم، وهذه أمثلة عن عمليَّات الحصار والقتل والتَّهجير الَّتي قامت بها (إيران) والميليشيات التَّابعة لها في (سورية):

– أجبر (حزب الله) اللُّبنانيّ أكثر من (50 عائلة) على مغادرة منازلهم بمنطقة (العقبة)، ووصل عدد المهجَّرين قسريًّا إلى (3000 شخص) عام (2016م) وذلك عن طريق تجميع العائلات من أهالي (الزَّبدانيّ) و (الرَّوضة) و (بلودان)، وإرسالهم بالسَّيّارات ليخضعوا للحصار المفروض على (مضايا) و (بقّين).[1]

– في 17 – نيسان – 2017م بدأ تنفيذ ما عُرف بـ "اتِّفاق المدُن الأربعة"، (65 باصًا) تحوي /3350 شخصًا/ من (مضايا) و (بقّين) لترحيلهم نحو الشِّمال السُّوريّ، وقد بيّن المجلس المحليُّ في بلدتي (مضايا) و (بقّين) أنّ: هذه الواقعة حلقة من التَّهجير الممنهج، وقد كتبتُ يومها معلّقًا على هذه الاتفاقيّة ما يلي:

أخطر جريمة منذ بدء الثّورة السّوريّة اتّفاق (كفريّا – الفوعة) ...لماذا؟

حدثت انتهاكات وجرائم خطيرة في الثّورة السّوريّة كالمجازر والمسالخ البشريّة في المعتقلات واستخدام الأسلحة الكيماويّة وغير ذلك من الجرائم الفظيعة، لكنّ كلّ هذه الجرائم البشعة لم تبلغ جريمة "اتفاق كفريا – الفوعة" المرعبة، وذلك للأسباب التّالية:

1– الموقّعون على هذا الاتفاق يحاولون شرعنة جريمة التّهجير القسريّ من خلال إظهاره كاتّفاق من الأطراف صاحبة الحقّ والصّلاحيّة.

2– هذا الاتّفاق فتحٌ لأبواب الفرز للمدن السّوريّة على مصراعيه على أساس طائفيّ، وبدء لمرحلة التّهجير بشكل واسع.

3– الاتّفاق يؤسِّس لفترة انزياحات سكانيّة واسعة تمهّد لمرحلة تقسيم غير مستقرّ.

4– يقفز هذا الاتّفاق بالأرقام إلى رتبة خطيرة: عشرات الآلاف من المهجّرين.

5– إذا تمّ إسكان أهالي (كفريا) و (الفوعة) في (مضايا) و (الزّبداني) أو ريف (دمشق) فقد توضّحت بالفعل مرحلة الاحتلال الإحلاليّ "الاستيطان" جهارًا نهارًا، بعد أن كان الحديث عن هذا تسريبات وتتبّعًا.

يُعدُّ ملفُّ التَّجنيس من أخطر الملفَّات المتعلِّقة بتغيير التَّركيبة السُّكانيّة في (سورية)، وهو ملفٌّ تحيطه السِّرِّيَّة بشكل كبير، وهو يساهم بشكلٍ قويٍّ في تغيير هُويَّة البلاد وديموغرافيَّتها، ويأتي استكمالًا لمجموعة من عوامل القتل والتَّهجير على أساس طائفيٍّ.

6– هذا الاتّفاق يجعل من حقّ كلّ فصيلٍ أن يفاوض عمّا تحت يديه منفردًا بعيدًا عن التّنسيق مع باقي الجهات الممثّلة للسُّوريّين ممّا يسهّل على (إيران) وميليشياتها ابتلاع المناطق واحدةً بعد الأُخرى.

7– يمهّد هذا الاتّفاق إلى سيناريو حرب كارثيّة تُستخدم فيها أسلحة التّدمير الشّامل في محافظة (إدلب)، بعد أن تمّ فرز السّكان فيها على أساس طائفيّ ولَم يبقَ فيها غير السّنّة.

8– يَعتبِر النّظام المهجّرين من (مضايا) و (الزّبدانيّ) إرهابيّين ولذلك فمن حقّه مصادرة أملاكهم، وبالتّالي ليس لهم حقّ العودة، وللنّظام حقّ توطين

(1) (ACU) وحدة تنسيق الدّعم.

من يشاء فيها، وهذا بشكلٍ واضح شرعنة ومضيّ في جريمة تغيير ديموغرافيّة (سورية).

وقفة مهمّة: هذا الاتّفاق لم يقبل به أصحاب الحقّ الأصليّون (الشّعب السّوريّ)، ولذلك وتثبيتًا لحقٍّ لا يمحوه باطل هذا الاتّفاق ينبغي أن نقول جميعًا وبصوتٍ عالٍ تسمعه كلّ الدنيّا وتحفظه ذاكرة الأجيال والأيّام: لا لاتّفاق (كفريّا – الفوعة).

بعدها تمَّ تهجير (250 عائلة) خلال عامين، وفي (وادي بردى) تعرَّضت المنطقة إلى حصار من قبل ميليشيا (حزب الله)، أدَّى إلى تهجيرٍ كبيرٍ، ففي أواخر كانون الثّاني (2017م) دخلت الحافلات إلى (وادي بردى) ورحَّلت (2100 شخص) إلى (إدلب) ضمن ما عرف بـ "اتّفاق المدن الأربعة".

– وفي يوم 26 – سبتمبر – 2017م ارتكبت الميليشيات الطائفية مجزرةً في منطقة (وادي العذيب) شرق محافظة حماة، قُتِل فيها (100 شخص).

– أمَّا (القصير) فقد اجتاحتها ميليشيا (حزب الله) في 19 – أيّار – 2013م، وهجَّرت أهلها ووطَّنت في مساكنهم شيعة من ميليشيات طائفيَّة (لواء الرِّضا) مع عائلاتهم، عدد سكان القصير قبل التَّهجير (65000 نسمة)، تمَّ تهجير معظمهم إلى مدينة (عرسال) اللُّبنانيَّة.

– وكذلك داريّا والَّتي كان عدد سكَّانها قبل الثَّورة (250000) أصبحت فارغة وقد نشرت (الغارديان) البريطانيَّة على موقعها في 14-1-2017م أنَّه تمَّ استقدام (300 عائلة) شيعيَّة عراقيَّة للاستيطان في (داريّا)، وخلال عام (2017م) أُخرج من بقي في (داريّا) وهم نحو (8000 شخص) وتمَّ إفراغها تمامًا من سكَّانها الأصليّين بعد حصار دام أربع سنوات.

> **تعمل (إيران) على تنفيذ مخطَّطها التَّشييعيّ من خلال استغلال البُعد العشائريّ الموجود في الكثير من المدن السُّوريَّة، وخصوصًا بين القبائل الَّتي يُقال أنَّ لها نسبًا إلى آل بيت النَّبيّ – صلَّى الله عليه وسلَّم –، وللأسف فإنَّ هذا الباب انخدعَ فيه بعض المغفَّلين.**

– أيضًا قامت الميليشيات الطائفية (أبو الفضل العبَّاس)، (القيادة العامَّة)، (حزب الله)، (لواء بدر)، (لواء أسد الله الغالب) باقتحام البلدان المحيطة بـ(السَّيِّدة زينب) (حجِّيرة) و (الذيابيّة) و (ببيلا) و (الحُسينيَّة)، ثمَّ قامت بطرد من تبقَّى حيًّا في هذه البلدان بعد الحصار الَّذي فرضته عليها، ثمَّ حوَّلت هذه المناطق مركزًا لتجمُّع المرتزقة من عناصر الميليشيات الطائفية وعائلاتهم، ولمعرفة مدى الإجرام الَّذي ارتكبوه في هذه المنطقة يكفي أن نعرف أن ميليشيا (أبو الفضل العبَّاس) و (حزب الله) قاموا باختطاف (300 شخص) من بلدة (حجِّيرة)، ثمَّ سلَّموا بعضهم إلى النِّظام وأعدموا الباقي ميدانيًّا.[1]

عاشرًا: أساليب اجتماعيَّة:

تعمل (إيران) على تنفيذ مخطَّطها التَّشييعيّ من خلال استغلال البُعد العشائريّ الموجود في الكثير من المدن السُّوريَّة، وخصوصًا بين القبائل الَّتي يُقال أنَّ لها نسبًا إلى آل بيت النَّبيّ – صلَّى الله عليه وسلَّم –، وللأسف فإنَّ هذا الباب انخدعَ فيه بعض المغفَّلين، واستغلَّه بعض ضعاف النُّفوس والمتسلِّقين، لأجل الحصول على دعمٍ أو منصب،

(1) أورينت نت: جرائم التغيير الدّيموغرافيّ 3-- السيّدة زينب: مجازر وتهجير فاستيطان – 2015/01/19م.

مثل (نوّاف البشير) و (عبد المجيد السّراويّ) في محافظة دير الزور.

وكذلك تقوم (إيران) وميليشياتها بعمل حَفلات للزَّواج الجماعيّ للمتشيّعين، وتقدِّم الهدايا والمساعدات، كما حصل في حيّ (المشهد) في مدينة (حلب) ضمن فعاليَّات ما يسمَّى "أسبوع الوحدة الإسلاميَّة"، وتنشر أيضًا ثقافة مجالس العزاء مجتمعيًّا في شهر محرَّم، يحصل ذلك في أحياء (زين العابدين)، وشارع (الأمين)، و(الشَّاغور)، و(العمارة)، و(السَّيِّدة زينب) في مدينة (دمشق)، وكذلك تقيمُ المسيرات الكربلائيَّة، وغير ذلك من الأمور الَّتي تُحدثها (إيران) في المجتمع السُّوريّ، لتصبح مظاهر مألوفةً اجتماعيًّا، ينطبعُ بعد ذلك بها المجتمع السُّوريُّ، وتصبح جزءًا من هُويَّته الاجتماعيَّة.

التدخلات الإيرانية وأثرها في العلاقات بين الجزائر وإيران

أ. إدريس ربوح[1]

• مقدمة:

مرت العلاقات الجزائرية الإيرانية بفترات صعود وهبوط وصلت إلى حد القطيعة التامة في مرحلة التسعينات من القرن الماضي .

وقد مرت علاقة البلدين بمراحل وصعود وتوترات كبيرة وصلت إلى حد القطيعة الديبلوماسية في تسعينيات القرن الماضي عندما اختارت إيران خيار التدخل في الشؤون الداخلية للجزائر بحجة دعم التيار الإسلامي الجزائري ممثلًا في "الجبهة الإسلامية للإنقاذ" عقب فوزها في الانتخابات التشريعية الملغاة في 26 ديسمبر 1991م؛ حيث أعتبرت إيران نفسها نموذجًا إسلاميًا مثاليًا للحكم عقب انتصار الثورة الإيرانية عام 1979م، واعتمادها سياسة تصدير الثورة، والسماح لنفسها بالتدخل بالشؤون الداخلية للدول الإسلامية تحت غطاء مناصرة الحركات الإسلامية .

• أولًا: العلاقات الجزائرية الايرانية من المتانة إلى القطيعة

1- تميزت العلاقات الجزائرية الإيرانية بالمتانة في عهد الشاه محمد رضا بهلوي والرئيس هواري بومدين مما أهّل الجزائر للقيام بدور الوسيط في النزاع الحدودي بين إيران والعراق؛ حيث أشرف الرئيس الجزائري شخصيًا على توقيع اتفاق الجزائر سنة 1975م، والذي وضع حدًا مؤقتا للنزاع الإيراني العراقي.

2- شهدت إيران سنة 1979م ثورة شعبية كبيرة أسقطت النظام الشاهنشاهي، فرحبت الجزائر بهذه الصورة باعتبارها ثورة شعبية تحررية؛ إنطلاقًا من الموروث الثوري للجزائر والتي كانت تناضل ضمن تحالف دولي لمقاومة الهيمنة الإمبريالية الغربية وأدواتها المحلية في المنطقة الآفرواسيوية.

وهذا الترحيب الرسمي والشعبي الجزائري تجسد بإيفاد وفد يضم رموزًا إسلامية كبيرة في النظام الجزائري حيث ضم الوزير "مولود قاسم نايت بلقاسم" وزير الشؤون الدينية والتعليم الأصلي والمشرف على ملتقيات الفكر الإسلامي السنوية التي كانت تنظمها الجزائر وتستقبل فيها العلماء والمفكرين المسلمين من السنة والشيعة ومن مختلف الدول الإسلامية، كما ضم الوفد الشيخ

(1) باحث في الشؤون المغاربية والأفريقية، الجزائر.

"أحمد حماني" رئيس المجلس الإسلامي الأعلى والمجاهد في الثورة التحريرية؛ حيث التقى الوفد بالخميني مرشد الثورة وقتها.

3- حافظت العلاقات الجزائرية الايرانية على مستواها السابق، ولم تساند الجزائر العراق في الحرب العراقية الإيرانية بين سنتي 1980 و 1988م. وسعت للوساطة لإيقاف الحرب بين البلدين لتدفع الثمن باهظًا باستشهاد وزير خارجيتها "محمد الصديق بن يحي" في شهر ماي 1982م وهو في طريقه إلى طهران حين استهدفت طائرته بصاروخ.

وقد أكد هذا الاستهداف أن قوىً إقليمية ودولية كانت لا تريد للحرب أن تضع أوزارها ولا تريد للوساطة الديبلوماسية الجزائرية النجاح.

4- الرئيس الجزائري "الشاذلي بن جديد" يزور إيران عام 1982م؛ لتعزيز العلاقات بين البلدين خاصة وأن الجزائر كانت هي راعية المصالح الإيرانية في واشنطن بعد قطع العلاقات الديبلوماسية بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية؛ بسبب أزمة احتجاز الرهائن الأمريكيين في السفارة الأمريكية في طهران، وهي الأزمة الدولية التي كان للديبلوماسبة الجزائرية دور أساسي في حلها سلميًا وإطلاق الرهائن المحتجزين.

5- بعد انتفاضة 5 أكتوبر 1988م الشعبية، ودخول الجزائر مرحلة التعددية السياسية بعد قرابة ثلاثة عقود من نظام الحزب الواحد، تشكلت عدة أحزاب سياسية ذات توجهات إسلامية وكان أبرزها "الجبهة الإسلامية للإنقاذ"؛ حيث واكبت سفارة إيران في الجزائر العاصمة هذا التحول الديمقراطي، وكانت تشارك في الأنشطة الحزبية والفعاليات السياسية، بل وتحول مقر السفارة إلى مكان لقاء ومزار للكثير من القيادات السياسية الجزائرية، وكان هذا السلوك يحمل بذور الخصومة المستقبلية بين البلدين والتي انتهت بالقطيعة؛ حيث اعتبرت الجزائر هذه التصرفات تدخلًا إيرانيًا في الشأن الداخلي ودعمًا لبعض الأحزاب.

لقد اساءت إيران التقدير للوضع السياسي في الجزائر في بداية التحول الديمقراطي واستسهلت رد فعل النظام الجزائري؛ فبعد انتهاء مرحلة حل الجبهة الإسلامية للإنقاذ الفائزة بالانتخابات التشريعية في 26 ديسمبر 1991م والتي ألغيت نتائجها واستقال الرئيس الشاذلي بن جديد، ومجئ رئاسة جماعية بقيادة محمد بوضياف أحد رموز الثورة التحريرية الجزائرية.

وبعد انتهاء الستة الأشهر الأولى باغتيال محمد بوضياف، صرح أحمد جنتي وهو من آيات الله الكبار في إيران وكان حينها رئيس مجلس صيانة الدستور وخطيب جمعة طهران؛ عن سروره البالغ باغتيال الرئيس الجزائري الراحل محمد بوضياف؛ حيث وصفت الجزائر هذا التصرف بالدناءة وعدم التحضر والتصريح الفج واللامسؤول والذي يتعارض مع القيم الإسلامية والإنسانية.

6- وفي نفس الفترة التي أعقبت إلغاء المسار الانتخابي واستقالة الرئيس الشاذلي بن جديد في جانفي 1992 ومجئ الرئاسة الجماعية ممثلة في المجلس الأعلى للدولة برئاسة محمد بوضياف، قامت عناصر إيرانية بمحاصرة مقر السفارة الجزائرية في طهران ومقر إقامة السفير الجزائري عبد القادر حجار.

7- كما قامت إيران في نفس الفترة بفتح قنصلية في مدينة وجدة المغربية القريبة من الحدود الجزائرية المغربية في خطوة استفزازية اعتبرت تهديدا للأمن

الوطني الجزائري.

8- وتسارعت الأحداث من طرد ديبلوماسيين إيرانيين إلى إعلان الجزائر رسميًا سنة 1993م قطع العلاقات الديبلوماسية مع إيران.

9- تراجعت الجزائر عن رعاية المصالح الإيرانية في الولايات المتحدة الأمريكية.

10- اتهام الجزائر لإيران بدعم الجماعات الإرهابية.

11- لم تستطع الديبلوماسية الجزائرية إقناع القيادة الإيرانية بالكف عن التدخل في الشؤون الداخلية للجزائر عبر وساطات سورية وليبية والتي كان مآلها جميعًا الفشل.

12- رفضت الجزائر استقبال مبعوث إيراني باعتبار إيران رئيسة لقمة منظمة المؤتمر الإسلامي بوصفه مبعوث خاص لوضع تصور لحل الأزمة الداخلية الجزائرية.

> **واكبت سفارة إيران في الجزائر العاصمة التحول الديمقراطي، وكانت تشارك في الأنشطة الحزبية والفعاليات السياسية، بل وتحول مقر السفارة إلى مكان لقاء ومزار للكثير من القيادات السياسية الجزائرية، وكان هذا السلوك يحمل بذور الخصومة المستقبلية بين البلدين والتي انتهت بالقطيعة.**

ومع إصرار إيران على سياسة التدخل في الشؤون الداخلية الجزائرية بل وتبني مواقف عدائية للجزائر في الهيئات الدولية متعدد الأطراف بقيت العلاقات الجزائرية الإيرانية في قطيعة معظم سنوات تسعينات القرن الماضي؛ حيث عبّر وزير الخارجية الجزائري في هذه الفترة الأخضر الإبراهيمي عن وضع العلاقات الثنائية بين البلدين " ....إنه كان لإيران حسابات خاصة حيث كانت تتوقع أن تكون لها قاعدة في الجزائر لأغراض لم تتحقق لها، وهو الأمر الذي أدى إلى إثارة غضبها".

• ثانيًا: إعادة تأسيس العلاقات الجزائرية الايرانية ومحاولات التدخل الناعمة

بمجيء وزير الخارجية الأسبق عبد العزيز بوتفليقة إلى رئاسة الجزائر بدأت مرحلة جديدة في العلاقات الجزائرية الإيرانية، على هامش المؤتمرات الدولية لتستانف نهائيًا على مستوى تبادل البعثات الديبلوماسية وتعيين السفراء وإعادة تأسيس هذه العلاقات من جديد وفتح العديد من مجالات التعاون حيث وصفها البعض بأن العلاقات وصلت إلى مرحلة النضج واستمرت هذه العلاقات في التوسع طيلة العشريتين الأخيرتين.

لكنها اتصفت بمحاولات ناعمة لإيران للتدخل في الشؤون الداخلية عبر بوابة العمل الثقافي عبر ملحقها الثقافي في السفارة الإيرانية (أمير موسوي)؛ من خلال تنقلاته الكثيرة عبر المحافظات الجزائرية، ونشاطه المكثف والمريب عبر شبكات التواصل الاجتماعي؛ حيث تولى هذه المرة الإعلام والمجتمع المدني الجزائري كشف مختلف محاولات التدخل لينتهي المطاف بمغادرته الجزائر سنة 2018م.

كما تم تسجيل محاولات عبر مراكز الدراسات الإيرانية وغيرها للتأثير على المجتمع الجزائري؛ إلّا أنّ الظروف التي تعيشها المنطقة العربية وماحدث في العراق وسوريا ولبنان واليمن ودول الخليج ساهم بشكل كبير في تنامي درجة اليقظة، وتنامي الحساسية تجاه إيران.

• خاتمة

وصلت العلاقات الجزائرية الإيرانية إلى حالة من الإستقرار إلّا أنّ هذه العلاقات وإن كانت قد وصلت إلى مرحلة توقف إيران على سلوكها بالتدخل في الشؤون الداخلية إلّا أنّ الجزائر رغم حرصها على المحافظة على هاته العلاقة؛ إلّا أنها حريصة كذلك على أن تقوم إيران بالكف عن التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية المجاورة، وحرص الجزائر على الأمن القومي العربي.

وهذا ماعبرت عنه أثناء اعتداءات حلفاء إيران العرب ضد السعودية والإمارات، كما أن الجزائر حريصة على لم الشمل العربي وتنشيط العمل العربي المشترك وتقوية مناعته ضد التدخلات الإيرانية خاصة وأنها خبرت هذه التدخلات وهي الدولة البعيدة عنها جغرافيًا فما بالك بجوارها المباشر في العراق والشام والجزيرة العربية واليمن .

التغلغل الإيراني في إفريقيا .. شواهده وآثاره وواقعه

الصادق إبراهيم الرزيقي[1]

أبحث في هذه الورقة عن الوجود الإيراني في إفريقيا، وأهداف تغلغله، وتأثير الإستراتيجية الإيرانية في إفريقيا الآن، هل هي مرتبطة بأهداف ذات طبيعة سياسية ورؤية إستراتيجية وأهداف متعلقة بالمشروع السياسي الإيراني؟ أم أهداف متعلقة بالجانب الثقافي والديني فحسب في إفريقيا؟.

وهذه قضية ذات جدل واسع وكبير في القارة الإفريقية، لا سيما أنّ قضايا كثيرة قد أثّرت في علاقة الدول العربية بالمنطقة، فالعرب لديهم علاقات تاريخية مع إفريقيا وكذلك إيران نفسها، خاصة مناطق شرق إفريقيا، وهي مناطق ذات تداخلات كبيرة، وتمازجات على مر التاريخ. وقد أثَّر هذا التاريخ، وأثّرت هذه العوامل في تنامي هذه العلاقات المزدوجة .

بعد (1979م)، بعد الثورة الإيرانية وبروز مشروعها السياسي والفكري (تصدير الثورة)، اتجهت إيران نحو الدول الإفريقية بأهداف سياسة وإستراتيجية واضحة أملت بعضها، "ضرورات اللحظة"، وضرورات الظرف السياسي والدولي الذي جعل إيران تنفتح على هذه الدول.

ولم تكن هناك في السنوات العشر الأولى بعد (1979م) سياسة إيرانية محددة ذات طبيعة (فكرية أو ذات طبيعة مذهبية) تنشغل بها في القارة الإفريقية؛ بل كانت كل العلائق الموجودة في ذاك الوقت هي: (بناء العلاقة السياسية، والتعاون والشراكات الاقتصادية، والعلاقات الدبلوماسية)، وظلت هذه العلاقات تتنامى شيئًا فشيئًا، وتوسعت من بضع سفارات تم فتحها في إفريقيا إلى أن وصلت في منتصف التسعينيات إلى أكثر من (29) سفارة، ثم تنامت إلى أن وصلت إلى أكثر من (40) سفارة في إفريقيا.

وقد ترادف مع وجود هذه السفارات إنشاء المراكز الثقافية ثم الحوزات العلمية، ومعروف ما هو هدف هذه المراكز الثقافية؛ لأنَّ المراكز الثقافية لها علاقاتها المباشرة بالمواطنين، وخاصة في المجتمعات الإفريقية المسلمة، ونحن نشير إلى أنّ ما يقرب من (60%) من سكان هذه القارة الكبيرة هم مسلمون؛ وبالأخص في غرب إفريقيا، فغرب إفريقيا بلدان مسلمة أعضاء في منظمة التعاون الإسلامي، وهي بلدان إسلامية كبيرة، مثل:

(1) رئيس اتحاد الصحفيين السودانيين.

نيجيريا، والسنغال، وغانا، وتشاد، والنيجر، ومالي وغامبيا وساحل العاج وبوركينا وغينيا كوناكري وغينيا بيساو وسيراليون فهذه البلدان هي بلدان ذات أغلبية مسلمة، وكذلك بلدان المشرق الإفريقي أو الشرق الإفريقي ودول اقليم جنوب إفريقيا، تجد بلدانًا كثيرة مسلمة، مثل: تنزانيا، وكذلك المسلمون في: إثيوبيا، والصومال، وكينيا، وملاوي وبورني وزامبيا وزمبابوي وجزر القمر ومدغشقر وموريشوس ومزمبيق وكذلك عدد من دول الجنوب الإفريقي، فيها أعداد كبيرة من المسلمين.

"في (1979م)، بعد الثورة الإيرانية وبروز مشروعها السياسي والفكري (تصدير الثورة)، اتجهت إيران نحو الدول الإفريقية بأهداف سياسة وإستراتيجية واضحة أملت بعضها، "ضرورات اللحظة.

وقد أسهم انقطاع العلائق أو ضعفها الشديد بين هذه المجتمعات المسلمة الكبيرة في القارة الإفريقية والعالم الإسلامي، وضعف العلاقة العربية الإفريقية؛ في تمدد الوجود والخطاب الإيراني تجاه هذه المجتمعات، سواء كان عبر المساعدات الإنسانية التي بدأت تصل بكثرة، أو عبر الدعاية الثقافية، والدعاية الدينية، والشعارات الإسلامية الثورية التي أثرت في شعوب هذه البلدان الإفريقية.

وعليه فقد كان الهدف الإستراتيجي في بادئ الأمر هو بناء علاقات سياسية، وتطوير علاقات اقتصادية، ثم تُرْجمت هذه العلاقات إلى نشاطات ذات طبيعة دينية – دعوية.

وهناك عامل آخر له أثر بالغ، وهو أنَّ كثيرًا من الجاليات التي جاءت من الشام خاصة اللبنانيين، سواء أو كانوا مستثمرين ذهبوا إلى إفريقيا في فترات مبكرة أو حديثة، قد ارتبطوا ببعض المنظمات التي لديها علاقة بإيران بشكل مباشر، (حزب الله، حركة أمل) اللبنانيتين، فهناك استثمارات وأعمال تجارية لهاتين الحركتين في إفريقيا، فهذه الاستثمارات فتحت المجال الواسع ووفرت قنوات الاتصال المباشرة مع هذه المجموعات الإفريقية، ومع الجماعات الدينية، ولا سيما في ظل انتشار الطرق الصوفية بكثرة في أفريقيا، وخاصة: الطريقة التيجانية، والطريقة القادرية والطريقة البرهانية.

كثير من الطرق الصوفية الموجودة في إفريقيا مهدت مدخلًا سهلًا في التواصل مع المؤسسة الدينية الإيرانية؛ بحكم أنَّ هنالك مشتركات بينهما فيما يتعلق بآل البيت وحب المسلمين في إفريقيا لآل البيت والمفاهيم الصوفية العرفانية وتشابه بعض المفاهيم الفقهية، الأمر الذي تم استغلاله وتوظيفه للنفاذ إلى بنية المجتمعات المسلمة في إفريقيا وكانت الأغراض السياسية والاستخبارية حاضرة دائمًا.

وهكذا كان المجال الثقافي والديني مدخلًا مهمًا جدًا، ولعله من أكثر المداخل التي دخلت إيران بواسطتها إلى أفريقيًا، الذي أريد أن أُرَكِّز عليه، وهو تجربة واضحة بالنسبة إليكم أيضًا، تعطي نموذجًا لهذه التطورات؛ وهو العلاقة (السودانية–الإيرانية) التي تعدّ نموذجًا في العلاقة القائمة بين بلد مسلم إفريقي أو بلد عربي مسلم إفريقي وإيران وطريقة التعامل معها.

فقد انفتح السودان انفتاحًا كاملًا مع إيران منذ (1985م)، وأنشأ علاقةً ذات طبيعة قوية، وذات طبيعة إستراتيجية شملت أبعادًا مختلفة، وفي كل المجالات: السياسية، والاقتصادية، والاستثمارية، والعسكرية، ونشأت علاقة قوية جدًا بين البلدين.

بعد وصول الإسلاميين إلى السلطة عام (1989م)، تطورت العلاقة بين البلدين لأسباب معلومة استمرت حتى (2014م)، وكان يُظن أنَّ السودان لديه تحالف ذو طبيعة إستراتيجية دائمة مع إيران؛ ولكن مع دخول السودان في الحلف الذي قام بعد سيطرة الحوثيين على اليمن ودخول السودان في حرب (عاصفة الحزم) على اليمن؛ نتيجة للضغوط التي مورست عليه؛ حيث كانت هنالك ضغوط كثيرة، سواء كانت ضغوطًا عربية خليجية أو ضغوطًا من أطراف دولية أخرى، و اشتراطات دولية لتحسين العلاقات مع الغرب؛ دخل السودان في مرحلة المساومة حول العلاقة مع إيران. حتى تم قطع العلاقات تمامًا.

ولذلك اتخذ السودان قرارًا في (2014م)، قضى بإغلاق المراكز الثقافية الإيرانية الموجودة في السودان، ونص البيان الرسمي لحكومة السودان في ذلك الوقت: على أنَّ هذه المراكز تستخدم في نشر المذهب (الشيعي)، وأنَّ هذه المراكز لديها أهداف أخرى داخل السودان. ويذكر أن عدد المتشيعين حتى ذاك الوقت وبإحصاء موجود لدى السلطات السودانية ما يقارب الـ (12) ألف أو أكثر.

وقد كانت هذه المراكز ذات نشاط واسع، بحيث: توزع الكتب، وتقيم وتنظم المحاضرات، وتنظم الملتقيات، وتعقد المؤتمرات، ولم تكن هذه المراكز -بطريقتها الناعمة التي كانت تعمل في السودان- تثير قلقًا بالغًا؛ لأنَّ هذا العمل كان يسير بشكل طبيعي، وبشكل دقيق جدًا، وتم اختراق كثير من الجهات داخل السودان، سواء كانت شرائح طلابية وصوفية وإعلامية أو غيرها؛ حتى وصل الاختراق إلى الإعلاميين وبعض الجماعات، وقد أثار ذلك قلق السلطات السودانية فاتخذت هذا القرار أخيرًا.

ولم تمض إلّا عدة أشهر حتى اتخذ السودان قرارًا أكبر من القرار الأول وكان هذه المرة هو: قطع العلاقات مع إيران. صحيح أنّ السودان نظر إلى ذلك القرار على أنه قرار ذو طبيعة سياسية وأنَّ السودان في هذا الإجراء راعى علاقاته مع السعودية ومع الدول التي انتظمت في إطار عاصفة الحزم وحرب اليمن، وكأنها كانت من ضرورات ذاك التحالف الذي قام؛ ولكنه في حقيقة الأمر عندما تجلس إلى المسؤولين السودانيين في ذاك الوقت تجد أنهم يتحدثون بصورة أكبر عن هذا التغلغل، وأنَّ هنالك منظومة كاملة بدأت تنشأ في إفريقيا وخاصة من العالم السُّنّي في إفريقيا ضد هذه التوجهات؛ لأنها بدأت تستخدم أساليب مختلفة لنشر الأفكار المذهبية الخاصة، وأنه إذا استمر هذا المد بهذا الشكل فستكون له تأثيرات كبيرة جدًا على المفاهيم الدينية وعلى المجتمعات؛ بالنظر إلى ما حدث في بعض البلدان في غرب إفريقيا أو في شرقها.

> **كان المجال الثقافي والديني مدخلًا مهمًا جدًا، ولعله من أكثر المداخل التي دخلت إيران بواسطتها إلى أفريقيًا، الذي أريد أن أُركِّز عليه، وهو تجربة واضحة بالنسبة إليكم أيضًا، تعطي نموذجًا لهذه التطورات؛ وهو العلاقة (السودانية-الإيرانية).**

وكثير من الدول التي تتحدث عن هذا الوجود وعن هذا المد نجد أنها لم تجن فوائد كبيرة سواء كان على مستوى التعاون السياسي، أو على مستوى التعاون الاقتصادي أو الاستثماري؛ لأنَّ الاستثمارات لم تصل إلى المستوى الذي يمكن أنْ يقال عنه: إنَّ الاستثمارات (الإيرانية-الإفريقية) كانت كبيرة، وأنّ

حجم التبادلات كان كبيرًا، فبفعل العقوبات الدولية أو العقوبات الغربية على إيران نفسها لم تتح فرصة كبيرة أن تصل التبادلات التجارية إلى مستوى كبير، فضلًا عن أن المنتجات الإيرانية سواء كان على المستوى الآليات الزراعية أو البترول أو مشتقات البترول أيضًا لم ترق إلى مستوًى يؤبه له في إفريقيا. ولذلك وجد كثير من المسؤولين والمحللين الأفارقة أنَّ العلاقة (الإيرانية–الإفريقية) لم تسر في الاتجاه السليم، لذلك استعاضوا عنها ببدائل أخرى عن هذه العلاقة في القارة الآسيوية عندما اتجهوا إلى الصين، وعندما اتجهوا إلى كوريا، وإلى الهند، وظهر أنَّ هنالك بدائل موجودة ومأمونة العواقب؛ ولكن مع كل ذلك كان تأثير الدور الإيراني ملحوظًا في إفريقيا.

وقد حاولت إفريقيا أيضًا أن تتعامل في مجالات مختلفة مع إيران كانت تطرحها الحكومة الإيرانية، ولا سيما في المؤتمرات التي أقيمت في سنوات (2010، و2011م) تحت عنوان (القمة الإفريقية–الإيرانية)، أو مؤتمر الإرهاب العالمي، فضلًا عن مؤتمر آخر أيضًا عقد في إيران شارك فيه عدد من الرؤساء الأفارقة؛ لكنَّ كل هذه العلاقات والمؤتمرات لم تتخطَّ الحدود التي ذكرتها، عدا ما حدث في نيجيريا (يقال إنّ عدد المتشيعين وصل إلى ما يقارب أربعة ملايين شخص)، أو السنغال، وموريتانيا، أو في دول شرق أفريقيا.

ولكن من مجمل هذا الحديث نشير إلى أنَّ التغلغل الإيراني كان فاعلًا قبل سنوات، ولكن هذا التغلغل أخذ يتراجع نسبيًا، وأن مداه السابق وتأثيراته قد بدأ بالانحسار على المستوى السياسي ومتعلقاته، ويُعتقد أنَّ هذه الأمور قد أخذت تتراجع في المجتمعات الإفريقية، وأنَّ إفريقيا الآن تقف على مسافة معقولة من إيران؛ بفعل أنَّ هذه المجتمعات قد أصبحت فيها صحوة كبيرة، وكثير من الوعي، وأصبح فيها نشاط واسع لكثير من المنظمات الإسلامية، فضلًا عن انتشار المعلومات عبر وسائل الإعلام المختلفة، ووسائل التواصل الاجتماعي، التي بدات تظهر الآثار الضارة للتدخلات الإيرانية في القارة الإفريقية.



ثورة العشرين في ذكراها المئوية
التكامل بين العمل الثوري والهوية الوطنية

جهاد بشير[1]

يستمد كتاب: (ثورة العشرين في ذكراها المئوية.. التكامل بين العمل الثوري والهوية الوطنية)؛ أهميته من أهمية مناسبته، وتنطلق ضرورة اقتنائه والاطلاع على محتواه أو جعل مضمونه مادة للدراسة والتحليل؛ من ضرورة المعلومات التي بين دفيته من حيث جودة مصادرها والمرحلة التاريخية التي تتناولها؛ ذلك أن ثورة العشرين بحد ذاتها تعد المعيار التاريخي الذي من المفترض أن تنضبط به حركات التحرر في العراق سواء في اقعنا المعاصر في ظل مشروع الاحتلال، أو فيما سبق على مدى عقود خلت كانت أحداث البلاد فيها بحاجة إلى مثابة معتبرة تبلغ الحاجة إليها من أجل استقامة المسار ذروة درجات الأهمية.

الكتاب قيد القراءة هو في حقيقته نتاج أعمال مؤتمر دولي عقده –بالتعاون– مركزان بحثيان عراقيان يهتمان بالدراسات الاستراتيجية والتطوير، وذلك في مدينة إسطنبول بتركيا على مدى يومي السادس والعشرين والسابع والعشرين من حزيران/يونيو 2020، حيث يوافق هذا التأريخ الذكرى المئوية للثورة العراقية الكبرى (ثورة العشرين) ذات الشمولية في التصدي للاحتلال البريطاني، والتي كان لها ما بعدها من مخرجات ودلالات ودروس.

انعقد المؤتمر الذي يعد مصدر الكتاب الرئيس بعدما توافق مركز الرافدين للدراسات الاستراتيجية – راسام، ومركز الأمة للدراسات والتطوير على رؤية واحدة مفادها: أن ثورة العشرين قدمت النموذج الأكثر تعبيرًا عن تمسك العراقيين بهويتهم الوطنية في أثناء مرحلة لا تقل أهميتها عمّا سواها من مراحل تاريخ العراق الحديث، خاصة بعد تداعيات الحرب العالمية الأولى، والتي استعلى العراقيون فيها على الهويات الفرعية وتجاوزوا حسابات المواقف الفردية، والانطلاق في ركب واحد يعبر عن وحدة مجتمعية وفكرية وسياسية، فضلاً عن كونها ميدانية حركية، لمواجهة مخطط احتلالي يستهدف الأمّة من بوابة العراق، وقد أعطى العراقيون بثورتهم هذه درسًا في غاية الأهمية بأن وحدة الأمّة إنما هي نتيجة لوحدة في الرؤية والحركة والموقف –ابتداءً– في استرداد الحقوق، وصد العدوان، والبحث عن الحرية دون النظر إلى الثمن الباهظ الذي يُدفع من أجلها، لأن المهم في العمل الميداني هو الشروع

(1) كاتب وباحث من العراق.

وبذل الجهد نحو الهدف، وأما النتائج وقطف الثمار فإنها إن لم تتحقق على أيدي أصحاب هذا الجهد فسيظفر بها من يأتي بعدهم شريطة أن يبقى المسار واحدًا، ولعل المقولة الأكثر اشتهارًا في الميدان الحركي (لنكن جسرًا يمر عليه جيل التمكين) والتي كانت شعارًا لامعًا في النصف الثاني من القرن العشرين في غير واحد من ميادين العالم الإسلامي والعربي؛ كانت متحققة – قبل عقود – بأنماطها العملية على أرض الواقع الذي شهد فعاليات ثورة العشرين في العراق، وإن لم تكن هذه الثورة تقف عند هذا النوع من المصطلحات إلا أنها سارت في مقاصدها وسعت نحو غاياتها عمليًا، ولهذا بقيت ثورة العراقيين الكبرى مشكاة لكل حراك وإشارة في كل طريق، على تعاقب مراحل العراقيين وتاريخهم في مواجهة الاحتلالات والعدوان والأنظمة ذات السطوة الفظة.

وعند انقضاء القرن الأول من عمر ثورة العشرين؛ انعقد المؤتمر، وخرج الكتاب في إثره، وعمّا تقدم من توصيف للثورة وأهميتها وعلاقة ذلك بالمؤتمر ومخرجاته؛ وثّق الكتاب كلمات القائمين عليه التي تشير نحو مقصد الثورة نفسه، وتوسّع مساحة الضوء في ميدان العمل، وفي هذه الجزئية يقول الشيخ الدكتور (يحيى الطائي) رئيس مركز الرافدين للدراسات الاستراتيجية في مفتتح المؤتمر ومدخل الكتاب: (إن الشعب العراقي بكل أطيافه وقومياته ومذاهبه؛ شارك في ثورة العشرين التي امتدت من شمال العراق إلى جنوبه، ومن شرقه إلى غربه ... وإن التأريخ يعيد نفسه، فقد أصبحت بغداد تحت سطوة الاحتلال الأمريكي المتغطرس، والاحتلال الإيراني الخطير، وها هو الشباب العراقي يستلهم من ثورة العشرين عزمه وفخره فيقاوم المحتلين مقاومة قل نظيرها عبر التأريخ، ثم ينتفض في (ثورة تشرين) ويتصدى للنظام السياسي المدعوم من الاحتلال الأمريكي).

وحول هذا المحور ينبه الأستاذ الدكتور (عبد القادر محمد حسين) رئيس مركز الأمّة للدراسات والتطوير؛ بقوله: (ما زالت الوقائع التأريخية الكبرى تشكل منعطفات مفصلية في حياة الأفراد والشعوب والأمم، ترفع أقوامًا وتضع آخرين، ومنها: ثورة العشرين التي سطر فيها العراقيون بكل أطيافهم وألوانهم صفحات مشرقة وبطولات خالدة في مقارعة الاحتلال البريطاني في عشرينيات القرن الماضي، ونحن إذ نستكر هذه البطولات ونكتب عنها؛ فإننا نربط الحاضر بالماضي، ليستلهم الأحفاد من الأجداد، وتُستخلص الدروس والعبر من مآثر الشعوب الحية وتجاربها لتنير الطريق إلى المستقبل).

تتضمن صفحات الكتاب التي يبلغ تعدادها ستمائة صفحة؛ ستة عشر بحثًا اختارتها اللجنة التحضيرية والعلمية للمؤتمر من بين قرابة ثلاثين عنوانًا وملخصًا وردت إليها من باحثين وأكاديميين مختصين في الشؤون التأريخية، والسياسية، والاجتماعية، والثقافية، وغيرها، من: العراق، ومصر، والجزائر، والمغرب، وتركيا، والهند، حيث أخضعتها للمراجعة وفق ضوابط التحكيم العلمي وقواعده المتبعة، وأعدتها للنشر بعد انقضاء المؤتمر لتكون في صورتها الأخيرة التي ظهر عليها الكتاب، في طبعة مؤسسة البصائر للدراسات والنشر، وهي الطبعة الأولى التي صدرت عام 1442هـ – 2021م.

ولأن (الأهميّة) هي الصفة الأساسية التي يحظى بها الكتاب؛ فإن في استعراض عناوين البحوث التي يشتمل عليها الكتاب — وهي نفسها التي قُدّمت في المؤتمر — أثرًا في بيان قيمة محتواه، وحافزًا للباحث والدراس والمهتم على حد سواء للمبادرة في إعادة

قراءة وتحليل مرحلة تأريخية في توقيتها حاضرة في تأثيرها، ثم الاستفادة من ذلك بالنظر في تأسيس فكرة وبلورة قضية لا تجد حركات التحرر والمقاومة أو الحراكات الجماهيرية والشعبية في العراق وغيره بُدًّا من تبنيها والعمل ضمن إطارها.

يتضمّن كتاب: (ثورة العشرين في ذكراها المئوية.. التكامل بين العمل الثوري والهوية الوطنية) البحوث والدراسات ذات العناوين الآتية:

– انتفاضة بغداد ودورها القيادي في قيام ثورة العشرين، بقلم: أ.د محمد مظفر الأدهمي؛ الأكاديمي والمؤرخ العراقي.

– جهود الشيخ محمود الحفيد في التمهيد لثورة العشرين الكبرى، بقلم: أ.م.د. كامران أورحمان مجيد؛ رئيس قسم أصول الدين في كلية العلوم الإسلامية بجامعة السليمانية في العراق.

– الخطابة والخطيب وأثرهما في ثورة الشعوب ونهضتها – خطاب إعلان ثورة العشرين للإمام الشيخ محمد الخالصي نموذجًا، بقلم: الشيخ علي عبد العزيز الجبوري؛ عضو الهيئة العلمية في جامعة الإمام الخالصي، في العراق.

– أثر انتفاضة لوا (دير الزور) السوري في ثورة العشرين في العراق، بقلم: د. يوسف سامي فرحان الدليمي؛ الأستاذ المساعد في كلية التربية للبنات بجامعة الأنبار في العراق.

– دور مراجع الدين وأثرهم الفكري في التخطيط للثورة والمشاركة الميدانية فيها – مطالعة واستخلاص من وثائق وأحداث العراق في حركة الجهاد والثورة (1914 – 1920)، بقلم: أ. علي محسن السمين؛ عضو لجنة العلاقات والإعلام في مدرسة الإمام الخالصي في العراق.

– ثورة العشرين وميادينها القتالية (لواء الدليم أنموذجًا)، بقلم: أ.د. منسي شرموط محمد المسلط؛ أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر في كلية العلوم الإسلامية بجامعة الفلوجة في العراق.

– محافظة ديالى وخانقين أثناء ثورة العشرين الكبرى – دراسة تاريخية تحليلية، بقلم: شرمين مولود الهموندية؛ الباحثة في الشؤون التاريخية والاجتماعية في العراق.

– الثورة ضد الاحتلال البريطاني في منطقة كرميان – 1920م، بقلم: طارق فريق عبد الحميد الزلفي، الكاتب والباحث في التاريخ والدراسات الاجتماعية، من جامعة سانت كليمنتس البريطانية.

– الشيخ محمود الحفيد ودوره في ثورة العشرين، بقلم: د. سردار رشيد حمة صالح البنجويني؛ الأستاذ المساعد في قسم أصول الدين في كلية العلوم الإسلامية بجامعة السليمانية في العراق.

– جهود النخبة المثقفة والإعلاميين في ثورة العشرين، بقلم: د. نيفين مصطفى حسن سعد؛ أستاذة التاريخ الحديث والمعاصر في كلية الآداب بجامعة المنوفية في مصر.

– ثورة العشرين في الصحافة المصرية، بقلم: محمد زين العابدين أحمد مرسي مصطفى؛ الباحث في التاريخ الحديث والمعاصر في جامعة الأزهر بمصر.

– ذاكرة ثورة العشرين ودورها في بناء الدولة الوطنية في العراق والمشرق العربي، بقلم: د. زين العابدين زريوح، الباحث في التاريخ، في جامعة ابن طفيل، بالقنيطرة في المملكة المغربية.

– محطات ثورة العشرين في مذكرات الشيخ محمد الخالصي (في سبيل الله)، بقلم: إسلام هاشم الدباغ، الباحث في قسم دراسات الترجمة العربية بجامعة طهران في إيران.

– الاستشراق الروسي وثورة العشرين في كتاب

المستشرق الروسي (ل.ن.كوتلوف)، بقلم: أ.د. عدنان القطان، الباحث في مركز الرافدين للدراسات الاستراتيجية، في إسطنبول بتركيا.

– عبد المنعم الغلامي – نشاطه السياسي في ثورة العشرين وجهوده في كتابة تاريخها، بقلم: أ.د. عبد الرحمن إبراهيم حمد الغنطوسي، الأستاذ في كلية التربية بالجامعة العراقية في بغداد، وأ.د. برزان ميسر الحامد الأستاذ في كلية العلوم الإنسانية بجامعة الموصل في العراق.

– قراءة نقدية في التداعيات الاجتماعية للثورة العراقية 1920م – دراسة تحليلية لبعض المدونات التاريخية، بقلم: د. مديحة بلاح؛ المختصة بعلم الاجتماع في كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية في جامعة 20 أوت 1955 في الجزائر.

وقد توزعت هذه البحوث والدراسات على ستة محاور أسست اللجنة التحضيرية المؤتمر عليها، في الوقت الذي تزدحم موسوعة التأريخ العراقي بما لم يرد ذكره في الكتاب نظرًا لاشتماله على معلومات موسعة جدًا وتفاصيل دقيقة ذات تأثير مفصلي على حركة ومسار ثورة العشرين ولا سيما الدراسات المتعلقة بأبرز قادتها وأماكن أنشطتهم، والمنعطفات التأريخية التي خرجت بها جهودهم الثورية والعشائرية فضلاً عن الدينية والفكرية، من قبيل: الشيخ ضاري المحمود – رحمه الله – وغيره من شيوخ الثورة وقادتها، وهي دراسات لا يسعها إلا أن تكون ذات استقلالية وتفرد لما تشتمل عليه من ثراء في المعلومات ونفاسة في المواقف.

أمّا محاور المؤتمر – والتي هي بالضرورة العمود الفقري للكتاب – فهي:

المحور التأريخي: الذي يُعنى بالمقدمات الممهدة لثورة العشرين، ومصادر هذه الثورة، وما كُتب بشأنها في الكتابات العراقية المعاصرة، وفي الوثائق الغربية والشرقية، وقد مرّ أنفًا عنوان البحث المتعلق بـ(جهود الشيخ محمود الحفيد في التمهيد لثورة العشرين الكبرى)، وهذا البحث يتناول بصمة الثورة في كردستان العراق التي كانت قوية وذات فعل مؤثر، تضمّن ثلاثة مباحث تناول الباحث في الأول منها وقفة مع حياة الشيخ محمود الحفيد، ومعاناة الشعب الكردي إبان الاحتلال البريطاني، وفي المبحث الثاني تحدث عن ثورات الشعب الكردي بقيادة الشيخ الحفيد تمهيدًا لثورة العشرين، وختم بالمبحث الثالث الذي عرض دور رجال الشيخ وأصدقائه في ثورة العشرين.

المحور العسكري: الذي يتناول مجمل الوقائع العسكرية للثورة، وأحداثها في المدن العراقية، وتأثير هذه الوقائع على الاحتلال البريطاني، علاوة على الحركات العسكرية من خارج العراق، ومما اشتمل عليه الكتاب في هذا المحور، بحث (ثورة العشرين وميادينها القتالية في (لواء الدليم)) أي: في مناطق العراق الغربية، وقد بدأ الباحث دراسته بمقدمة عن الاحتلال البريطاني وتحركاته وبداية انطلاق شرارة الثورة في أرجاء العراق، ثم انتقل إلى الجبهة الغربية للمقاومة، متناولاً فيها مشاهد من عمليات تحرير بعض المدن، والأدوار العسكرية التي قام بها شيوخ تلك المناطق من أمثال: الشيخ محسن فتيان الراوي، والشيخ ضاري المحمود شيخ قبيلة زوبع، وغيرهما من شيوخ قبائل الدليم الذي انضموا تباعًا للثورة، محللاً تنسيقهم العسكري واللوجستي مع نظرائهم في بقية مناطق العراق، قبل أن يختم بالنتائج السياسية لثورة العشرين هناك.

المحور السياسي: وهو الذي يسلط الضوء على الفكر السياسي لثورة العشرين، وأثرها في التطورات السياسية بعد عام 1920 في العراق وفي المحيط العربي والإقليمي والدولي على حد سواء، وفي هذا

المحور ضم الكتاب البحث الموسوم بـ(ذاكرة ثورة العشرين ودورها في بناء الدولة الوطنية في العراق والمشرق العربي)، والذي ركّز الباحث فيه على ثلاث قضايا رئيسة في هذا السياق، هي: ذاكرة ثورة العشرين العراقية على المستويين الجمعي والتأريخي، ودور هذه الثورة في بناء الدولة الحديثة في العراق وامتداداتها في المشرق العربي، واستلهام تجربة ثورة العشرين في إعادة بناء الدولة الوطنية في العراق والمشرق العربي.

المحور الفكري: الذي يهتم بالأفكار الأولى المؤثرة في الثورة، وأثر العلماء والمثقفين في التهيئة لها وتوجيهها، ومساهمة الثورة في نشأة الحركات الوطنية العراقية، وأثرها في تعزيز مفهوم الوطن والفكر الوطني، وعليه دار بحث (عبد المنعم الغلامي – نشاطه السياسي في ثورة العشرين وجهوده في كتابة تاريخها)، الذي تناول الباحثان فيه التعريف بالغلامي (1899 – 1967م) بوصفه أحد رجالات ورموز الثقافة العربية البارزين في العراق، إلى جانب نشاطه السياسي ودوره في بيان فكر ثورة العشرين لكونه واحدًا من أبرز مؤرخيها، وقد استند الباحثان في هذا الشأن على ثلاثة ركائز، أولاها: البيئة التي نشأ الغلامي فيها وتأثيرها عليه ودورها في بناء شخصيته، والأخرى: نشأته وتعليمه وثقافته، والثالثة: نشاطه السياسي في ثورة العشرين وجهوده في كتابة تاريخها، بما يعكس صورة حيّة للجو الفكري الذي امتازت به الثورة واتسم مسارها به.

المحور الاجتماعي: المعني بتركيبة مكونات الثورة الاجتماعية، والعشائر بين البعدين الاجتماعي والسياسي، ومن البحوث التي اعتمد عليه في الكتاب: (قراءة نقدية في التداعيات الاجتماعية للثورة العراقية 1920م – دراسة تحليلية لبعض المدونات التاريخية)؛ الذي صاغته الباحثة على ثلاثة مباحث، الأول: الأسباب الخارجية والداخلية لقيام ثورة العشرين العراقية بأنواعها: السياسية، والعشائرية، والاجتماعية، والاقتصادية، فضلاً عن التأثيرات الإقليمية، والثاني: دور الأعيان والموجهين في إشعال الثورة وأثر الوضع الثقافي في بلورة التيارات السياسية في العراق والفئات الاجتماعية والانتفاضات والهبات الشعبية التي دعمت قامت عليها ثورة العشرين أو حظيت بدعمها من علماء دين، وموظفين، وضباط، وخطباء، وشعراء، وكتاب، وصحفيين، وغيرهم، والثالث: آفاق وإنجازات ثورة العشرين وملامح الاستفادة منها ومعالجة موطن الإخفاق فيها.

المحور الإعلامي والثقافي: وهو ما يتصل مباشرة بصحافة ثورة العشرين، وأصداء هذه الثورة في الصحافة العربية، والإقليمية والدولية، فضلاً عن الفنون الأدبية وأثرها في دعم الثورة، ومما ورد في الكتاب من بحوث ذات صلة بهذا المحور: (ثورة العشرين في الصحافة المصرية) الذي تأتي أهميته في أنه قدّم قراء جديدة لثورة العرين من خلال إطلاع القارئ على ما كتبته ونشرته الصحف الرئيسة المصرية عن مجريات الثورة وأحداثها والموقف منها، فضلاً عن بيان أهميتها بالنسبة للعالم العربي، من خلال بيان التضحيات التي قدّمها أبناء العراق ضد الاحتلال البريطاني.

وقد أظهر البحث في هذا الجانب جملة من النتائج والمعلومات، منها: التبادل الثقافي ووصول الصحف المطبوعة المصرية إلى العراق؛ من الأمور الواقعة ذات التأثير الواضح في المناخ الثقافي والاجتماعي في العراق، وأن قادة الثورة في بغداد وغيرها من المدن العراقية كانوا على اتصال دائم بالجماهير العبية لتوضيح أهداف الثورة وتقوية صلاتهم بها،

وتهيئتهم للأحداث، وقد أثمر ذلك بتأسيس العديد من الصحف الناطقة باسم الثورة من مثل: جريدتي الاستقلال والفرات، حيث أسهمت صحافة ثورة العشرين في تحديد العوامل الداخلية والخارجية التي أدت إلى اندلاع الثورة وبيان تكامل الاستقلال السياسي فكرة وهدفًا لدى قادتها.

إن كتاب (ثورة العشرين في ذكراها المئوية.. التكامل بين العمل الثوري والهوية الوطنية) يسعى إلى دراسة أهداف ثورة الإرادة العراقية التي مازال العراقيون يتنفسون نسماتها حتى الآن، واستعراض وقائعها وفحص آثارها على الصعد (التأريخية، والعسكرية، والسياسية، والفكرية، والاجتماعية، والإعلامية) بعد قرن من انطلاقها؛ وقراءتها كما هي لا كما يسعى لقراءتها آخرون من زوايا نظر مختلفة متأثرة بوقائع طارئة أو خلفيات مسبقة، لذلك خرج هذا الكتاب ومحتواه يجمع بين ثلاثة أطر: الإطار التاريخي التوثيقي، والإطار الثقافي المعرفي، والإطار التطبيقي العملي، وحيث أنه يأتي نتاجًا لجهد يوثق مائة عام من تأريخ ممتد ومستمر في التأثير والفكر والأنماط السياسية والاجتماعية؛ فإن هذه الأطر تشكل منظومة فريدة في استنباط فكر ثوري وحراك سياسي وبناء ثقافي يؤسس لنهضة مجتمعية قادرة على الإصلاح وللتغيير.

(أطروحة دكتوراه)
ترجيحات الشيخ رشيد الموصلي (ت 1400هـ) في تفسير أولى ما قيل في آيات التنزيل (جمعًا ودراسة)

للطالبة: ميسون حيدر طه [1]

درست الباحثة في أطروحتها أعلاه في قسم علوم القرآن (كلية الآداب) الجامعة العراقية سنة (2021م)، الشيخ رشيد الموصلي العالم الموسوعي الذي كان من رواد الإصلاح في الموصل في القرن الرابع عشر الهجري، وترجيحاته في التفسير، وقد نالت الباحثة درجة امتياز على أطروحتها، الموسومة بـ (ترجيحات الموصلي في تفسيره أولى ما قيل في آيات التنزيل لسور الفاتحة والبقرة وآل عمران)، التي أشرف عليها، أ. د: عمار عبد الكريم عبد المجيد.

لقد هبَّ كثيرٌ من أبناء هذه الأُمّة على مر التاريخ لخدمة القرآن الكريم ونُصرة هذا الدين الذي رَضيه جلّ وعلا لهذه الأمّة، فحفظوه في صدورهم، وأمضوا أعمارهم في دراسته وتدريسه، ثم تفسيره وبيان أحكامه وما تدلُّ عليه ألفاظه وتراكيبه من معانٍ تنسجم مع متغيرات الحياة ومتطلباتها، ومن هؤلاء الذين حباهم الله بفضله، وأنعم عليهم بالانضمام إلى هذا الرَّكب المبارك الشَّيخ رشيد الخطيب الموصلي، العالِم الموسوعي الذي ألّف وصنّف، وكتب وأملى ودرَّس، ونصح وعمِل إمامًا في مساجد كثيرة، وخطب فيها وأفتى، وبحث في التَّفسير والحديث والفقه واللُّغة والأدب، والبلاغة والفَلك، والأخلاق وغيرها، وكان تفسيره الذي حمل عنوان: (أولى ما قيل في آيات التنزيل)، آخر ما ألَّفه وأتمَّه وراجعه، وأنجز طباعته في حياته قبل أن يغادر هذه الدُّنيا إلى رحمة الله ورضوانه.

أمَّا منهجيَّة البحث: فهي جمع الأقوال التي ظهرت أنَّ الشَّيخ المَوصلي رجَّحها في تفسيره من بين أقوال العلماء، ومقارنة هذه الأقوال الرَّاجحة وموازنتها بأقوال علماء التَّفسير من المتقدِّمين والمتأخِّرين من أصحاب كُتُب التَّفسير المعتمدة, ومعرفة أبرز ما اعتمدوه من أدلَّة في ترجيحاتهم والاستفادةُ منها.

وكذلك مناقشة هذه الأقوال الرَّاجحةَ مناقشةً علميَّةً وفقَ القواعد والضَّوابط التَّرجيحيَّةَ, التي أسَّسها العلماء في دَرْء التَّعارض بين الأقوال والتَّرجيح بينها.

وتبدو أهمية الموضوع الذي كان بعنوان: (ترجيحات الموصلي في تفسيره أولى ما قيل في آيات التنزيل

(1) مدرسة في وزارة التربية العراقية، ولها العديد من الإجازات العلمية في القراءات والعلوم الشرعية.

لسور الفاتحة والبقرة وآل عمران) جمعا ودراسة.. في تلك الحركة المزدحمة بين أقوال المفسرين وأدلتهم وترجيحاتهم، التي أثرت المادة موضوع البحث بمعرفة الغاية من التَّرجيح، وأسباب اختلاف المفسرين أو تعدُّد أقوالهم وأدلتهم، بما فيها من قوةٍ وضعفٍ، لتقرير أنّ الراجح فيما كان الاختلاف فيه اختلاف تنوع، أما ما كان اختلاف تضاد، فمرفوض.

وقد اِقتضت طبيعة البحث أنْ يخرجَ مُشتملًا على: مقدمة، وفصولٍ ثلاثة: قدَّمتْ الباحثة بمقدَّمةٍ فيها بيان لأسباب اِختيارِ البحث, وأهميته، والدراسات السابقة.

الفصل الأوَّل: تضمَّن: الموصلي ومنهجه في التَّفسير وفيه مبحثان. جاء في الأول منهما عن عصر الموصلي وسيرته وبروز دور الشيخ في الإصلاح، وأثره في طلابه، وفي مدينة الموصل، مستخدمة طرائق البحث العلمية من استبيان، واستقراء ومقابلات مع عائلته، ومن بقي من طلابه. وفي المبحث الثَّاني درست منهجه في التَّفسير.

أمّا الفصل الثّاني: فأوضحتْ فيه الباحثة منهج الموصلي في التَّرجيح وضمَّ مباحث ثلاثة: جاء المبحث الأول في مفهوم التَّرجيح وأركانه، وشروطه، واختلاف المفسرين وأسبابه، ومحل وقوع الترجيح، ومنزلته بين طرق دفع التعارض. وكان المبحث الثَّاني في صيغ وأساليب التَّرجيح الصَّريحة وغير الصَّريحة. أما المبحث الثَّالث، فذكرتُ فيه أدلة ووجوه التَّرجيح عند الموصلي.

أمّا الفصل الثَّالث: فقد قامت الباحثة بجمع ودراسة ترجيحات الموصلي في تفسيره (أولى ما قيل) لسورة الفاتحة والبقرة وآل عمران، وقد رتّبتها في مسائل بلغ عددها إحدى وخمسين مسألة.

وفي الخاتمة: أوجزت فيها الباحثة أهم ما توصلت إليه في دراستها، ومن ذلك:

- كان الموصليّ موسوعة علمية، ومؤلفاته في ميادين متعدّدة.
- كان كثير الاهتمام باللُّغة العربية، حتى عدَّ تعلمها فرضًا أو واجبًا، وحثَّ على تعلُّمِها المسلمين من غير العرب، لثباتهم على الإسلام بالفهم والإيمان.
- كان يميل إلى الاجتهاد المنضبط، ويحثُّ طلابه عليه.
- انفرد في عددٍ من الترجيحات، التي عدَّها الباحثون سَبقًا له، ودليلًا على مقدرته على الاجتهاد.
- جمع في تفسيره مناهج المتقدّمين مِمّا أجمع عليه علماء التفسير، مُستعينًا بالزاد الثَّقافي من شعرٍ وأمثالٍ وحِكَمٍ، ولغةٍ بنحوها وصرفها، ومركزًا على المباحث البلاغية.
- ما وُفِّق إلى ترجيحه كان مقترنًا بالأدلة التي جاءت منسجمة مع قواعد التَّرجيح المعروفة.
- ذكر أقوالًا لبعض المفسرين، ولم يُبْدِ رأيَه فيها احترامًا لهم، وحَذَرًا من تخطئتهم، وهو من باب التَّرَيُّث والأدب مع العلماء.
- جرَّد تفسيره من الإسرائيليات، ومن التِّكرار، والإسهاب فجاء بأسلوب السَّهل الممتنع.
- أساليبه في التَّرجيح متعدِّدة، يقتضيها السِّياق، والدَّليل الصَّحيح الذي ثبت عند المفسرين، وقد يميل إلى تغييرات الزَّمن وما استجدَّ على السَّاحة العلمية ولذلك ذكر تفسيرات وأقوال جديدة مُدعمة بأدلة موفقة إلى حدٍّ ما.
- ذكر بعض الآراء والأقوال، و وقف عندها من دون الإشارة إليها قبولًا أو رفضًا، وقد يتوهَّم القارئ قبوله بها، مع أنّه لم يُلمِح إلى ذلك.

(رسالة ماجستير)
أثر الرسوم المتحركة على عقلية الطفل المسلم
(دراسة نفسية فكرية)

للباحث: د. سلام أرسينان أحمد العبيدي[1]

درس الباحث في رسالته أعلاه في قسم العقيدة والدعوة والفكر- كلية العلوم الإسلامية – جامعة الأنبار سنة (2016م)، وقد نال الباحث درجة عالية على الرسالة، مع التوصية بطباعة الرسالة، وقد أشرف على الرسالة أ. د خالد عامر الشويخ.

بما أن الأطفال زينة الحياة الدنيا، والاهتمام بالطفولة من أنبل الأهداف التي تسعى الأمم لتحقيقها، فالاهتمام بهم اهتمام بمستقبل تلك الأمم، وإعداد مبكر للأجيال التي سيناط بهم مسؤولية بناء المستقبل.

تكمن أهمية الكتابة في طبيعة الموضوع الذي تناوله الباحث، فمما لا شك فيه أن دراسة الأفكار التي تحتويها أفلام الكارتون وأثرها على عقيدة الطفل المسلم، تعدُّ من المواضيع المهمة التي تشغل عقول أكثر المهتمين بشؤون الأطفال والذين يسعون إلى التعرف على الأثر الذي يمكن أن تتركه أفلام الرسوم المتحركة في عقيدة الطفل وسلوكه في مختلف مراحل حياتهم، وأنشطتهم الخاصة التي تنبع من حبهم لهذه الأفلام الكارتونية والتي يجدون أنفسهم فيها، لأنّها تعكس اهتماماتهم وميولهم، وأنَّ الناظر إلى أفلام الرسوم المتحركة المخصصة للأطفال يستشف أنَّها غير نابعة من الدين الإسلامي باستثناء القليل منها، ولا غرابة في ذلك؛ إذ أن 95% من برامج الرسوم المتحركة التي يتعرض لها الطفل المسلم من خلال التلفاز من إنتاج غربي، ولذا جاءت أهمية هذه الدراسة وتسليط الضوء على بعض الأخطار العقدية التي تحتويها تلك الأفلام الكارتونية، ومحاولة توعية أولياء الأمور على هذا الدس الخطير والتنبه عليه، لذا من الضرورة بيان هذه الآثار وتوضيحها، لغلق الباب أمام المتصيدين بالماء العكر والذين يحاولون تشويه عقائد أطفالنا.

أما منهجية الرسالة فهي كالتالي:

أما الفصل الأول فقد خَصَصْهُ ببيان مفردات العنوان، وذكرَ فيه مفهوم الأثر والرسوم المتحركة، ومفهوم العقيدة الإسلامية، ومفهوم الطفل، وعناية الإسلام بمرحلة الطفولة، ومراحل الطفولة، وأهمية

(1) موظف في مصرف الاقتصاد للاستثمار والتمويل، ومحاضر في وزارة التربية العراقية في مدرسة عمر المختار، لديه العديد من البحوث المنشورة، والمشاركة في العديد من الورش والدورات التدريبية في مجال التخصص.

مرحلة الطفولة وأهميتها في التربية الإسلامية وتكوين العقيدة وخصائصها، ومراحل إدراك الطفل للرسوم المتحركة وخصائص مشاهدتها.

وأما الفصل الثاني فقد تناول فيه نشأة الرسوم المتحركة وأنواعها ومراحل تطورها، ووسائل عرضها، وحكم الرسوم المتحركة في الإسلام، وآثارها السلبية والإيجابية، ومواضيعها، وأبرز الشركات المنتجة لها، وأبرز القنوات التي تعرضها.

وأما الفصل الثالث أوضح فيه الآثار السلبية للرسوم المتحركة على عقيدة الطفل المسلم فيما يتعلق بالإلهيات والديانات الأخرى، وأثرها المتعلق بالكفر والإشراك بالله تعالى، والدعوة إلى الديانات الأخرى كاليهودية والنصرانية.

وأما الفصل الرابع بين الآثار السلبية للرسوم المتحركة على عقيدة الطفل المسلم فيما يتعلق بالغيبيات ومسائل أخرى، الآثار المتعلقة بعالم البرزخ، وأحوال القيامة الكبرى والآثار المتعلقة بالغيبيات والسحر والكهانة وتشويه صورة المتدينين والعرب والمسلمين، والخرافات التي تعرضها، وتحريف القدوة الحسنة.

وأما الفصل الخامس فقد عرض فيه الآثار الإيجابية للرسوم المتحركة، ومجالات توظيفها في خدمة الإسلام، وتوظيف الرسوم المتحركة في تحصين عقيدة الأطفال، وتوظيفها في جانب العبادات والجانب الأخلاقي، وبيان ضوابط ومعايير عرضها، وبيان المخرج والعلاج لتلافي سلبيات مشاهدتها، وبيان قسم من الأساليب والوسائل في بناء عقيدة الطفل المسلم وتربيته.

• أهم نتائج الرسالة:

أ– إن مرحلة الطفولة من أهم مراحل التربية العقدية السليمة، ينبغي حماية فكر الطفل والعناية به، وتنقيته مما يوجه له من الأفكار الهدامة، عن طريق التخطيط السليم، وترسيخ العقيدة في مرحلة الطفولة، وتنشئتهم منذ نعومة أظفارهم عليها.

ب– أبعاد الأطفال عن مشاهدة الرسوم المتحركة المحتوية على مخالفات شرعية، والتفريق في الحكم بين الرسوم المتحركة السيئة، والرسوم المتحركة النافعة في أفكارها وقصصها؛ وذلك لأن نسبة الآثار السلبية على الأطفال في أفلام الرسوم المتحركة تفوق نسبة الإيجابيات فيها في واقعنا المعاصر.

ت– هناك إيجابيات للرسوم المتحركة يمكن استثمارها في ترسيخ المفاهيم السليمة من خلالها، واستغلال تلك الإيجابيات، أمر مهم، يعين على حماية فكر الناشئة.

ث– الرسوم المتحركة فن رفيع ذا تأثير كبير على الطفل لما يمتاز به من مميزات، فلا بد من التخطيط والعمل على إنتاج رسوم متحركة تعمل على ترسيخ القيم الإسلامية في نفس الطفل المسلم وتصب في مصلحته، وليس العكس وأن تتضافر الجهود في سبيل إعطاء هذا الموضوع حقه من الاهتمام اللازم.

ج– توفير البدائل المناسبة لما يعرض من أفلام تشوه العقائد الإسلامية، أمر مهم ولا بد منه؛ وذلك يعين على حماية فكر الأطفال.

ح– إن معظم الآباء لا يراقبون نوع الرسوم المتحركة التي يشاهدها أبناؤهم ولا يحددون ساعات المشاهدة إلا في أيام الدراسة، وذلك لتأثيرها على تحصيلهم الدراسي، فنجد الطفل حر في اختياره يُقبل على الرسوم المتحركة التي تعجبه، ويميل إليها حسب طبيعته، فيتعرض للمشاهد الخطيرة والعدوانية والمنحرفة لساعات طويلة ومن قناة لأخرى، تجعله يستوعب تلك المشاهد بشكل لا شعوري أمام اللامبالاة من قبل أولياء الأمور، وإكساب المفاهيم الخاطئة والأمور المنحرفة، فتصبح جزءًا لا يتجزأ منه والنموذج الأعلى الذي يقتدي به، فيتقمص تلك الشخصيات والأفكار

وتنمي فيه سلوك التقليد للأبطال الأسطوريين في هذه الأفلام.

• ثانيًا: أهم التوصيات:

أ- عرض البرامج التربوية الهادفة في الأوقات الأكثر مشاهدة من قبل الأطفال؛ لتحقيق الترفية والفائدة في نفس الوقت؛ وذلك بفحص هذه البرامج، وتشديد الرقابة عليها من قبل المؤسسات الإعلامية، للتأكد من خلوها من السلوكيات المخالفة لعقيدة الطفل.

ب- ضرورة التخطيط للبرامج المتلفزة الإسلامية، والعمل على جعلها ملائمة للصغير والكبير؛ وذلك بإنشاء مؤسسة تحت رقابة من أهل العلم الشرعي لتوظيف الرسوم المتحركة لما فيه صلاح أبناء الجيل الجديد.

ت- ضرورة تشجيع البرامج التي تنمي مشاعر الحب النزيه، والأمن، والاستقلال واحترام الذات، وتجنب أسلمة الرسوم المتحركة الأجنبية التي أقل ما يقال فيها أنها لا تضر الطفل ولكنها لا تُقدم له الكثير، فهي مجرد تضييع لوقت الطفل.

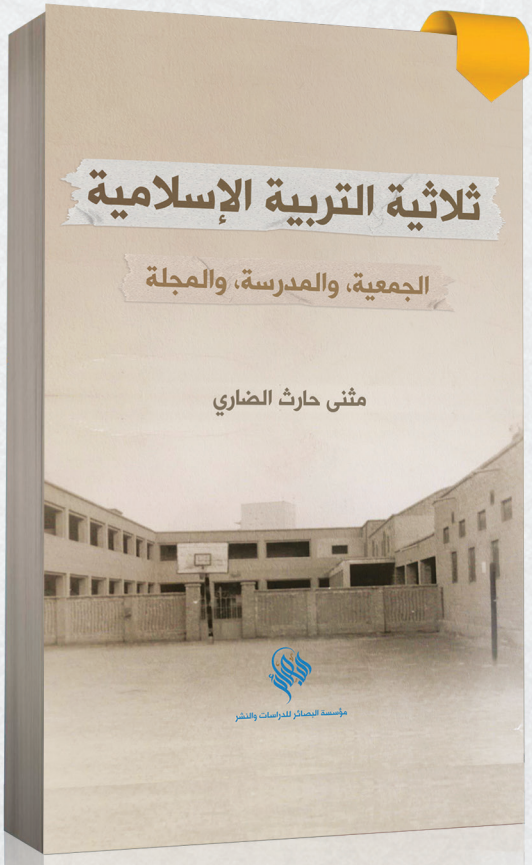
ث- ضرورة إدخال مادة تتحدث عن خطورة أفلام الرسوم المتحركة ضمن المناهج الدراسية؛ الغاية منها توجيه أولياء الأمور(آباء أو معلمين) إلى كيفية انتقاء القناة الفضائية وفقًا لقواعد معينة تتوافق مع تربيتهم وعقائدهم.

ج- ضرورة إجراء دراسة حول الأساليب النبوية ودورها في تربية الطفل عقديًا، لكي يقتدي أولياء الأمور بالرسول -صلى الله عليه وسلم- في تربيته لأحفاده، وأبناء المسلمين من خلال معرفة الدروس الإرشادية التي قدمتها لنا السنة النبوية المطهرة.

ح- توعية المجتمع ولا سيما الآباء والأمهات والمرشدين التربويين، من خلال البرامج التلفزيونية والنشاطات الثقافية المساهمة في عملية التنشئة الاجتماعية للأبناء.

خ- يجب إعادة دور المساجد في تنشئة الأطفال وتربيتهم بالطريقة التي خرج لنا من خلالها كبار العلماء والأئمة، مع مراعاة تقدم الزمن وتطوره، واستغلال جميع التقنيات الحديثة في سبيل إعداد جيل واعي مثقف، قائم على عقيدة صحيحة وسليمة، وبهذا ينشأ أطفالنا نشأة سليمة مواكبة لتطور العصر، وخالية من الأفكار الباطلة التي تقدمها بعض أفلام الرسوم المتحركة في عقولهم.

د- ضرورة إنشاء قناة فضائية عربية إسلامية هادفة تتناسب وحجم الغزو الثقافي الفكري الغربي الذي استقر عقول أطفالنا؛ من خلال حث الأدباء والكتاب العرب والمسلمين على الكتابة في أشياء تهم الطفل، وتتناسب مع القيم والمبادئ الإسلامية.



ثلاثية التربية الإسلامية

الجمعية والمدرسة والمجلة

المؤلف: الدكتور مثنى حارث الضاري

الناشر: مؤسسة البصائر للدراسات والنشر

سنة الطبع: 2022

حـوار العـدد
مع الأستاذ الدكتور
جلال الدين محمد صالح
رئيس مجلس شورى رابطة علماء إرتريا



نحتت الولايات المتحدة الأمريكية مصطلحًا حديثًا أطلقت عليه القرن الإفريقي الكبير، وهو نطاق يشمل دولًا إفريقية هي: إرتريا، جيبوتي، السودان، الصومال، إثيوبيا ودولا أخرى مثل تنزانيا، ورواندى، وبوروندي، حيث منطقة البحيرات العظمى، ومنابع النيل الأبيض الغنية بالموارد الطبيعية ... فهو منطقة غنية بالموارد، وفيرة المياه، خصبة التربة، في موقع إستراتيجي مهم، ولأجل استغلالها بأبشع الصور صنعت لها القوى الاستعمارية تيارات متشاكسة ودفعت باتجاه تأجيج التقاطعات السياسية بمشاكل إثنية وعرقية وغيرها وتحكمت بالانسداد السياسي تضييقًا وانفراجًا، لتكون النتيجة عدم الاستقرار السياسي وهذا هو المبتغى في السياسة الاحتلالية.

في الصفحات القادمة ثمة إجابات مهمة ترسم بكلماتها تصورات مكتملة للمشهد الإفريقي عامة وللقرن منه خاصة نحاور فيها **الأستاذ الدكتور جلال الدين محمد صالح رئيس مجلس شورى رابطة علماء إرتريا** فأهلًا ومرحبًا به في ضيافة مساحة حوار من مجلة حضارة.

السؤال الأول: هل لنا بمقدمة تكون مدخلًا لإحاطة القارئ العربي بالمراد بالقرن الإفريقي؟

القرن الإفريقي هو ذلك القرن الناتئ في شرق القارة الإفريقية على صورة قرن الحيوان البري المعروف بوحيد القرن، ويضم ثماني دول أساسية هي: إرتريا، جيبوتي، السودان، الصومال، إثيوبيا، كينيا، أوغندا، جنوب السودان.

وبعض منها يطل على البحر الأحمر ويقع في ممر التجارة الدولية على باب المندب مثل إرتريا وجيبوتي في حين يطل الصومال على خليج عدن، ولعدد منها نفوذ على جزر ذات أهمية إستراتيجية من الناحية العسكرية كأرخبيل دهلك في إرتريا، وهذا ما يكسبه الأهمية الإستراتيجية، ويرتبط أمنيًا ارتباطًا وثيقًا بالجزيرة العربية، فحيث يكون الخلل الأمني في القرن الإفريقي تكون الجزيرة العربية في خطر منه.

وفيما يتعلق بتنوعه العرقي وكمية البشر التي تقطنه" يضم القرن الأفريقي بعدد سكانه الذي يقترب من (200) مليون نسمة حزمة كبيرة من الجماعات الإثنية تزيد على مائة جماعة بل إن ثمة من يرى أنها تربو على الألف جماعة إذا ما احتسبت مئات القبائل المنتشرة في الإقليم.[1]

السؤال الثاني: ما مقومات وموارد وقدرات الناس في هذه المنطقة من حيث التعليم والكفاءة العسكرية والاقتصادية وطبيعة العلاقات الاجتماعية؟

تمتلك دول القرن الإفريقي موارد اقتصادية متعددة ومهمة لو أحسن استغلالها واستثمارها، ومنها خصوبة الأراضي الزراعية وسعتها كإرتريا التي تعد الزراعة إلى جانب الثروة السمكية والحيوانية والذهب من أهم ثرواتها الوطنية إلى كونها مرشحة للتنقيب عن البترول واليورانيوم، ومثلها السودان الذي اشتهر بكونه سلة العالم العربي إلى جانب ما فيه من الذهب والصمغ العربي، وللصومال وإرتريا وجيبوتي شواطئ بحرية مغرية من الناحية السياحية وتكون مصدر دخل وطني.

ويوجد البترول إضافة إلى الزراعة في دولة جنوب السودان الذي انفصل عن السودان بعد قتال استمر متقطعًا من عام (1956م)، تاريخ استقلال السودان عن بريطانيا إلى اتفاقية نيفاشا بنايروبي كينيا التي وقعت في (2005م)، بين حكومة الإنقاذ بقيادة عمر البشير والحركة الشعبية لتحرير السودان بقيادة جون قرنق وأدت إلى انفصال الجنوب وقيام دولة جنوب السودان.

وإثيوبيا التي اشتهرت بتصدير أجود أنواع البن ويعرف في أسواق الجزيرة العربية بالبن الهرري، هذا إلى تصدير الثروة الحيوانية، ويعد الماعز والإبل والمنتوجات الزراعية كالموز من أهم صادرات الصومال إلى العالم إضافة إلى الثروة البحرية بمختلف أنواعها.

وكل هذه الثروات لم يُستثمر فيها بشكل فعال ولم تستغل بشكل جاد؛ لغياب الاستقرار السياسي، وخطط التنمية المستدامة، واستشراء الفساد، وما استغل منها وظف في الحروب والنزاعات البينية كالحرب الصومالية الإثيوبية في السبعينيات والتي أدت في نهاية المطاف إلى تفكك الصومال وانهيار نظامه السياسي عقب الإطاحة بالرئيس محمد زياد بري عام (1989م).

ونتيجة لهذا الانهيار والتفكك دخل الصومال في حروب قبلية قادها من عرفوا في تاريخ السياسي

(1)بغدادي، عبد السلام إبراهيم، البعد الإيجابي في العلاقات العربية الإفريقية والتعددية الإثنية كرابط ثقافي، الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسيات، ط الأولى، 2013م، ص 121.

بأمراء الحرب من نحو الجنرال محمد فرح عيديد الذي اغتاله الأمريكان عام (1993م)، فيما سمي بحملة الأمل.

وما زال يعيش الصومال المجاعة والجفاف والتصحر ونفوق الثروة الحيوانية والنزوح بسبب هذا الانهيار الكلي والحرب التي تشنها حاليًا حركة الشباب المجاهدين ضد الحكومة المركزية المنتخبة في مقديشو، وتعد هذه الحركة من امتدادات القاعدة في القرن الإفريقي فكريًا لا تنظيميًا.

وفي هذا السياق من الحروب البينية تأتي الحرب الإرترية الإثيوبية التي اندلعت عام (1998م)، بسبب خلافات حدودية بين البلدين، وتأتي الحرب الداخلية التي تفجرت في إثيوبيا عام (2020م)، تشنها الحكومة الفيدرالية ومعها قومية الأمهرا ضد الجبهة الشعبية لتحرير تيغراي في شمال البلاد، وانتهت باتفاقية بريتوريا في جنوب إفريقيا وقعها الطرفان في (2 نوفمبر 2022م)، تحت إشراف ومتابعة مفوض الاتحاد الإفريقي للسلام الرئيس النيجيري السابق أولوسيغون أوباسونجو، ويأتي أيضًا الاقتتال الدائر في غرب السودان بين الحركات المسلحة والحكومة في الخرطوم منذ عهد البشير والانهيار الأمني في شرقه ثم تداعيات انهيار نظام الإنقاذ.

ولابد أن تنعكس كل هذه النزاعات على السكان وأوضاعهم المعيشية بالتردي على الصعيد الاقتصادي والتربوي بانعدام المدارس والجامعات الكافية وشيوع التعليم المتدني وعدم قدرة الأسر المعدمة على الاستفادة منه وتوجيه أبنائها إلى أعمال تدر عليها قوت يومها، وهنا يجري استغلال الأطفال في أعمال رخيصة ودنيئة من محترفي الإجرام.

ويكون النزوح في عشوائيات تنشأ بالداخل وعلى مقربة من العاصمة المترفة نوعا ما، كما تكون الهجرة غير الشرعية إلى الدول المجاورة كاليمن حيث توجد أعداد كبيرة من الصوماليين والإرتريين والإثيوبيين، ومن اليمن يجري تهريبهم إلى السعودية أو توظيفهم في حروب داخلية كالحرب اليمنية بين الحوثيين والحكومة الشرعية، وتكون أيضًا عصابات الاتجار بالبشر.

السؤال الثالث: نسمع في الأخبار وكذلك نقرأ في المجلات عن استهداف متعمد مخطط له سياسيًا واقتصاديًا وطائفيًا وأمنيًا سواء من الغرب في حملات التبشير أو من الشرق والمقصود هنا سياسة الاستهداف الإيراني للقرن الإفريقي هلا حدثتمونا عنها بشيء من التفصيل؟

من الطبيعي أن يكون القرن الإفريقي محل استهداف وأطماع صراعات دولية لأهميته الإستراتيجية، ففي عهد الحرب الباردة كان للأمريكان قاعدة تجسس عرفت بـ (كانيوستيشن Kagnew Station)، في العاصمة الإرترية أسمرة، يوم ضمت إرتريا إلى إثيوبيا بتدبير من الأمريكان وقرار ظالم من الأمم المتحدة عام (1952م).

وبعد سقوط نظام الإمبراطور هيلي سلاسي عام (1994م)، دخل الاتحاد السوفيتي القرن الإفريقي الصومال أولًا عندما أعلن زياد بري تبنيه للتنظير الماركسي في إصلاحه الاقتصادي ثم إثيوبيا وانحاز إليها في حربها على الصومال بعد إخفاقه في الإصلاح بينهما وهي الحرب التي شارك فيها منحازًا إلى إثيوبيا كل من اليمن الجنوبي، وليبيا القذافي، وكوبا، وألمانيا الشرقية.

وإثر نهاية الحرب الباردة وقيام حرب الإرهاب كما يسمونها رست سفن حربية أمريكية وغير أمريكية في الموانئ الجيبوتية حيث القواعد الأمريكية والفرنسية

والصينية، وهكذا أصبح بشكل أكبر القرن الإفريقي بعد أحداث نيويورك وواشنطن في (11-9-2001م)، واستهداف سفارتي الولايات المتحدة الأمريكية في كل من كينيا وتنزانيا عام (1998م)، محط أنظار الأمريكان وحلفائهم في الحرب على الإرهاب الدولي حيث ترابط على ساحته قوى قتالية مجهزة بكامل عتادها العسكري تربو على (1800) جندي، وترسو في ميناء جيبوتي حاملة الطائرات (ماونت وايتني Mount Whitney).

وللصين استثمارات متعددة الأغراض في إثيوبيا إلى حد أزعج الأمريكان حتى أن ترامب صرح في تقرير أمني تناول النشاط الصيني في أفريقيا بأن الصين مهدد أمني للولايات المتحدة.

وكذلك سد النهضة صعد حالة التوتر بين مصر والسودان من جهة، وإثيوبيا من جهة أخرى، وترى فيه مصر تهديدًا لأمنها المائي والغذائي، وهنا تكون الاستقطابات والتدخلات الخارجية بأجندات تحكمها المصالح.

السؤال الرابع: أي العوامل أكثر ضررًا في القرن الإفريقي، المعونات المالية أم الحوافز الاقتصادية، أم دور السفارات والمراكز الثقافية، أم الميلشيات العسكرية الإيرانية؟

تنشط إيران في القرن الإفريقي من جبهات عدة منها المعونات الاقتصادية، بيد أنها تَعِدُ في هذا المجال أكثر مما تفي كما حدث مع السودان، إذ لم يشهد السودان مشاريع تنموية وعدت بها إيران وأقامتها فعلًا، وربما هذا للحصار المضروب عليها، أو من باب سياسة خذ أكثر مما تعطي، وغالب ما يهمها في هذا المجال خلق ما أسميه التشيع السياسي باختراق ثقافي وفكري للنخبة المؤثرة في المجتمع واستقطابها من خلال مراكز ثقافية تنشئها ومنح دراسية تقدمها ومؤتمرات سنوية تعقدها تحت عناوين فضفاضة الوحدة الإسلامية، مواجهة الاستكبار العالمي، التصدي للصهاينة وإستراتيجيتهم التوسعية، وتوظف في هذا الحوزات الشيعية في قم وربما النجف بتحريكها للنشاط الدعوي في الأوساط الإفريقية بشكل عام.

وهنا تظهر النعرة الطائفية التي تتسلل شيئًا فشيئًا حتى تتمكن من نفسية الإنسان الإفريقي بعد إيهامه بمظلومية أهل البيت؛ لما عند الأفارقة المسلمين من حب أهل بيت النبوة، كما هو معتقد أهل السنة والجماعة، بيد أن الطائفية الإيرانية تتخذ من هذا الحب والولاء المعتدل مدخلًا للتلبيس والتدليس والتضليل.

واعتادت الدبلوماسية الإيرانية من خلال سفيرها المعتمد في البلد المعين أن توثق علاقتها بالقوى المؤثرة والمتنفذة، وأيضًا الاحتكاك بعامة الناس في الأسواق وحضور مناسباتهم الدينية بمشاركات فكرية ومالية.

ومن يجري استقطابهم ضمن هذا النشاط الثقافي والفكري تقدم لهم منح دراسية إلى قم وطهران في تخصصات مختلفة وربما وظفوا في أعمال منافية للوطنية وتخدم الإستراتيجية الإيرانية.

وأما النشاط العسكري فليس هناك ذراع عسكري لإيران في إفريقيا، كحزب الله في لبنان وبعض دول الخليج، أو أنصار الله الحوثيين في اليمن، أو كبعض التنظيمات الشيعية المسلحة في بغداد، وكل ما أثاره بعض الكتاب السعوديين في الصحف الوطنية اتهام إرتريا بإتاحة مجال للإيرانيين في جزرها البحرية لتدريب الحوثيين ونقل اللوازم العسكرية إليهم بينما نفت إرتريا ذلك.

السؤال الخامس: لا شك أن القرن الإفريقي يحظى بأهمية استراتيجية كيف توضح لنا صورة الصراع الدولي والإقليمي في تلك المنطقة؟

وفي بيان الأهمية الإستراتيجية للقرن الإفريقي في السياسة الدولية أقول: " نحتت الولايات المتحدة الأمريكية مصطلحًا حديثًا أطلقت عليه القرن الإفريقي الكبير، وهو نطاق يشمل دولًا إفريقية أخرى تضم تنزانيا، ورواندى، وبوروندي، حيث منطقة البحيرات العظمى، ومنابع النيل الأبيض الغنية بالموارد الطبيعية ... وبات واضحًا أن القرن الإفريقي يشكل أحد مكونات الإستراتيجية الأمريكية الجديدة، وهي إستراتيجية سعت إلى إقامة تحالف إقليمي يشمل دول هذه المنطقة الإستراتيجية لتأمين المصالح الأمريكية [1].

ومشروع القرن الإفريقي الكبير في الإستراتيجية الأمريكية لابد أن ينسجم مع مشروع الشرق الأوسط الكبير في الإستراتيجية نفسها، فهو أيضًا مشروع أمريكي صهيوني، صيغ لحماية المصالح الأمريكية وإدماج الكيان الصهيوني في المنطقة " جرى تقديمه من قبل الولايات المتحدة الأمريكية إلى قمة الدول الصناعية الثماني، المنعقد في أيسلاندا حزيران يونيو (2004م)، حدد واضعو المشروع الهدف منه بإيجاد مجتمعات ديمقراطية مزدهرة اقتصاديًا ومنفتحة ومتسامحة ثقافيًا كي لا يكون هناك بيئة منتجة للإرهاب وتاليًا مهددة للمصالح الحيوية للدول العظمى في الشرق الأوسط[2].

وعقد " عدد من الجامعات الأمريكية ومراكز الأبحاث الأمريكية بتاريخ: (11-4-2002م)، مؤتمرًا عن القرن الإفريقي والبحر الأحمر انتهت فيه إلى ضرورة ضبط الأوضاع في القرن الإفريقي من خلال إنشاء كونفدرالية تشمل دول القرن الإفريقي، وربطها بمنظومة البحر الأحمر التي تشمل اليمن والسعودية والأردن ومصر وإسرائيل ثم ربط هذه الكونفدرالية ومنظومة البحر الأحمر بمقترحات أمريكا في مشروع الشرق الأوسط الكبير [3].

ولقد تسابقت دول القرن الإفريقي وتنافست فيما بينها للوقوف مع أمريكا في حملتها على ما سمي بحرب الإرهاب الإسلامي، واستقبلت إدارة بوش في ديسمبر (2002م)، كلا من (الرئيس الكيني) أرب موي و(رئيس الوزراء الإثيوبي) ملس زناوي كذلك (الرئيس الجيبوتي) إسماعيل عمر غيلة في يناير (2003م).

وأما (الرئيس الإرتري) أسياس أفورقي فقد سعى قدر طاقته إلى استغلال هذا الحدث لصالحه، وقدم نفسه إلى العالم الغربي ضمن المتنافسين باعتباره أول من عانى من الإرهاب حسب زعمه وأول من قاومه في إشارة منه إلى صراعه مع الحركة الإسلامية الإرترية وخصومته مع السودان وتحدث سفيره بواشنطن عن أهمية بلاده الإستراتيجية في ضرب العراق.

وعلى ضوء ما كشف عنه جون أبي زيد (قائد القيادة المركزية الأمريكية) في عهد بوش الابن في (2003/7/30م)، في العاصمة الإثيوبية أديس أبابا أن بلاده أنشأت أو بصدد إنشاء قوة عمل تشارك فيها إحدى عشرة دولة إفريقية هي: مصر وإثيوبيا وإرتريا وجيبوتي وبورندي ورواندى والكونغو، وكينيا وأوغندا، وتنزانيا وسيشل. [4]

السؤال السادس: ما طبيعة التغلغل الإيراني في إريتريا وهل له مناصرون وكيف يمكن التصدي له ثقافيًا وأمنيًا؟

فشلت السياسة الإيرانية في التغلغل إلى دول القرن الإفريقي بشكل عام وإلى المجتمع الإرتري بصفة

(1) بغدادي، عبد السلام إبراهيم، البعد الإيجابي في العلاقات العربية الإفريقية، مصدر سابق، ص 133.
(2) عباس، أشواق، أزمة بناء الدولة العربية المعاصرة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط الأولى ، 2016م، ص 89.
(3) الأصبحي، أحمد، القرن الإفريقي ودور اليمن في بناء السلام، صنعاء، المطابع المتنوعة، ط الأولى، 2007م، ص 57.
(4) صالح، جلال الدين محمد، الحبشة والبجة، لندن، المنتدى الثقافي الإرتري، (د ت) ص 501.

خاصة كما فشلت في المجتمع السوداني، بحكم أن هذه المجتمعات مصونة بتدين أصيل يمتد إلى أعماق التاريخ على الفقه الشافعي والحنفي والمالكي والتصوف بكل ما فيه من تشوش في بعض المفاهيم.

وفقدت إيران اليوم الكثير من بريقها الثوري الذي ناورت به وتاجرت، وأظنها تنحدر بقوة إلى أيامها الأخيرة حتى المجتمع الإيراني نفسه بات يلفظ سياساتها ويشهد انتفاضات وتظاهرات يومية ضدها كما نتابع.

وليس لها في إرتريا من يحمل رسالتها الطائفية أو يعمل وفق رؤيتها العقدية لعدة عوامل منها أن الرئيس الإرتري غير المنتخب بحكم خلفية حضارته (الأكسومية الأرثذوكسية) له موقف رافض من كل نشاط سياسي أو ديني ذي مقاصد سياسية وعلى وجه الخصوص ما يسمونه الإسلام السياسي، فجميع الأنشطة السياسية محظورة بموجب هذه السياسة الانغلاقية والحذرة.

ويضاف إلى ذلك طبيعة الشعب الإرتري ونمط تدينه السني فهو يرفض النهج الطائفي الإيراني والمفاهيم التحريفية التي يحاول تسريبها حيث يوجد دعاة يبصرونه بها وبالمنهج الإسلامي الرافض لها والمُدِينُ، وهو متابع جيد للقنوات الفضائية التي أجرت حوارًا شيعيًا سنيًا فندت فيه المعتقدات الشيعية.

ويتثقف على المفاهيم الإسلامية السليمة من خلال قناة سلام التي تشرف عليها رابطة علماء إرتريا وتحظى بمشاهدة معتبرة في الأوساط الإرترية وتبث باللغتين الرسميتين في إرتريا العربية والتجرنية، وامتنعت حركاته الإسلامية ذات النشاط السياسي والمتصدية للنظام القائم في إرتريا عن الاقتراب من إيران والتودد إليها على الرغم من أن إيران بعد انتصار ثورتها على الشاه عام (1979م)، فتحت مكتبًا رسميًا لجبهة تحرير إرتريا التي كان يقودها حينئذ حزب ماركسي.

السؤال السابع: ما طبيعة الانعكاسات على الأمن العربي جراء التوغل الإيراني في القرن الإفريقي وما سبل مواجهته؟

برز الاتجاه الإيراني في القرن الإفريقي من خلال الزيارات التي قام بها رفسنجاني لبعض دوله، والعلاقات التي أقامتها إيران مع " السودان، وإرتريا، وجيبوتي ... ويذهب البعض إلى أن ثمة مؤشرات على أن إيران تهدف إلى استخدام موانئ تلك الدول للمساعدة في شن هجمات ضد إسرائيل وربما دول عربية أخرى [1].

ويمكن تلخيص مخرجات الوجود الإيراني في القرن الإفريقي فيما يلي:

- الحصول على مادة اليورانيوم
- جمع معلومات عن الإستراتيجيات المنافسة
- إثبات قدرات الذات في التمدد الإقليمي
- تصدير الثورة وكسب عناصر موالية
- تمرير الدعم المالي والعسكري إلى الحوثيين في اليمن

وفي نظر الباحث الفرنسي فرانسوا تويال ينصب هدف هذه الإستراتيجية الإيرانية بشكل عام في إخراج إيران من الطوق السني الذي تجد نفسها محاصرة فيه " بالقوة التركية التي تجد نفسها في تنافس معها في آسيا الوسطى، وبالعربية السعودية التي تتفاقم منافستها معها في الخليج ... يضاف إلى ذلك بالنسبة إلى المسؤولين في طهران تهديدات أخرى من جانب باكستان التي تنافسها أيضًا في آسيا الوسطى ... والتقارب الإيراني الهندي يبدو

(1) مبروك، شريف شعبان، السياسة الخارجية الإيرانية في إفريقيا، أبو ظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ط الأولى، 2011م، ص 41.

من وجهة النظر هذه دليلًا واضحًا على سياسة طهران لاتقاء تطويقها ومحاصرتها[1].

والوعي بهذا البعد الأساس للإستراتيجية الإيرانية يساعد بالدرجة الأولى والأساسية في إيجاد إستراتيجية منافسة ومتماسكة تكافئ القدرات الإيرانية بل وتتفوق عليها، وتعمل في إبقاء إيران بين هذا الطوق مشلولة الحركة.

وتكون ذات فعالية أكثر حين تعمل هذه الإستراتيجية ضمن توافق خليجي أولًا ثم عربي ثانيًا تجمع على رؤية مشتركة في التعامل مع الإستراتيجية الإيرانية وفق ما يعرف بالأمن القومي العربي أو الأمن الخليجي.

ولا جدال في أن المعرفة الشاملة والعميقة بمشكلات دول القرن الإفريقي السياسية والاقتصادية والأمنية من ناحية، وصراعات القوميات في تركيبته السكانية ومصالحها المتضاربة في نزاعات السلطة والثروة، والإسهام في حلها من ناحية أخرى، وتحديد الحليف فيها من المضاد بين المتصارعين، والتعامل مع كل منهما بما يناسبه هو مما يفاقم عزلة إيران في نطاقها الطبيعي ويحول بالضرورة دون عبث العابثين.

السؤال الثامن: ما الرؤية لديكم عن الصراع الدولي الإيراني هل هو صراع حقيقي أم تخادمي أم صراع متحكمين يسعون لزيادة رقعة الاستهداف؟

عند الحديث عن الصراع الدولي في منطقتنا ومكانة إيران في هذا الصراع من المهم أن نعلم أن ذاكرة السياسي الغربي تنظر إلى المنطقة الإسلامية بتركيبتها السكانية المتنوعة وثقافاتها العريقة المتعددة وعرقياتها المختلفة المتداخلة والتي جمعها الإسلام في إطار جامع متجاوزًا بها عصبية القوميات والعرقيات والطائفيات إلى عصبية (الأمة) برسالة واحدة خالدة، وبموقعها الإستراتيجي المهم بكل ما يحوي من خيرات، وبحضارتها العظيمة التي أنصفت الأقليات الدينية وصانت كرامتها على أنها المنافس الحضاري الأول والأقدر للهيمنة الغربية متى ما استيقظت وقويت.

ومن هذا المنطلق قرر أن تبقى هذه المنطقة تحت مراقبته ومتابعته بشكل دائم ومستمر، ولهذا كان زرع الكيان الصهيوني على أرض فلسطين حتى يفقدها استقرارها ونموها وتوحدها.

وما بعد الحرب العالمية الثانية واتفاقية سايكس بيكو عام (1916م)، وسقوط الخلافة العثمانية عام (1924م)، تقاسم المستعمر البلاد الإسلامية —كما هو معروف – وتحكم في إرادتها السياسية وإدارتها، وانقسمت هي فيما بينها إلى المعسكر الشرقي والمعسكر الغربي، وكان الاتحاد السوفيتي العدو المخيف لدول الخليج والحامل لها على الالتصاق أكثر بالولايات المتحدة وحلفائها الغربيين.

وما أن سقط الاتحاد السوفيتي واختفى عن الوجود بمجيئ جورباتشوف عام (1991م)، انتهت الحرب الباردة وبانتهائها انتهت مهمة شاه إيران محمد رضا بهلوي بوصفه شرطي الخليج وفق الإستراتيجية الأمريكية التي أبان جانبًا منها نيكسون في كتابه انتهز فرصة حين تحدث فيما أذكر عن التركيبة السكانية وتناقضاتها الطائفية بين دول المنطقة وكيفية استثمارها لصالح السياسة الأمريكية.

وهنا كان العجوز اللاجئ إلى فرنسا المتعطش إلى السلطة والمتربص بالشاه حامل المشروع الطائفي آية الله الخميني يؤجج الجماهير الإيرانية الناقمة على الشاه حتى أسقطوه وتسلم هو السلطة وقاد المنطقة إلى حرب طائفية مدمرة بوقوعه من حيث يدري أولا

(1) تويال، فرانسوا، الشيعة في العالم صحوة المستعبدين وإستراتيجيتهم، ترجمة نسيب عمون، بيروت، دار الفارابي، ط الأولى، 2007م، ص 65.

يدري في فخ الإستراتيجية الأمريكية.

وهو ما جعل دول الخليج تحديدًا تزداد أرقًا وتلتصق بالإستراتيجية الأمريكية أكثر وتؤمل عليها في حماية أمنها من التغول الإيراني، وذهب بعضها إلى أبعد من ذلك فمد حباله إلى الدولة الصهيونية بالتطبيع معها؛ لتصبح إيران هي العدو الأول وليس الكيان الصهيوني المغتصب ولا سيما بعد سقوط بغداد ثم دمشق وصنعاء والسيطرة الكاملة على لبنان واستهداف أمن المملكة العربية السعودية.

ومن ثم لا أعتقد أن إيران تمثل تهديدًا أمنيًا للمصالح الأمريكية وحتى الصهيونية إلا ما كان للاستهلاك الإعلامي، وأن تناقضاتها مع الأمريكان ثانوية ولا تجاسر أبدًا في تجاوز الإرادة الأمريكية ومصادمتها على نحو يعرضها للخطر، والأمريكان يعرفون ذلك منها جيدًا، ولكنها تدير تناقضاتها الثانوية معهم بنفس طويل كحائك السجاد الإيراني.

ولكي تبقى لاعبًا مهما في الحدود المرسومة لها وفق صفقة توافقية بينها وبين الأمريكان يجري عليها هذا الضغط الذي نراه، وهو ضغط لا يذهب بوجودها لأنها ما زالت تمثل عاملًا مهما في خدمة المشروع الصهيوني بنهجها الطائفي.

وما أحسب أن الأمريكان سينحازون إلى إرادة الشعب الإيراني في التحرر من قبضة نظام الخميني ولكن سيعملون في توظيفها للضغط على القيادة الإيرانية، وفور ما تستقيم على الخط ويصلون معها إلى حلول مرضية للطرفين بنسب متفاوتة سيمدونها بما يقوي عودها ويشل الحالة الثورية الناقمة.

السؤال التاسع: كيف تلخص لنا الحال العربي اليوم في ظل هذه الصراعات العنيفة في المنطقة وما سبل النهضة، ومن هم الذي يجب عليهم التحرك لبناء الإنسان العربي المسلم؟

يعاني العالم العربي اليوم من حالة فوضى عارمة تكاد تعمه من شرقه إلى غربه، فكثير من دوله انهارت أمنيًا بتفكك جيوشها وسقوطها في حروب داخلية طائفية وعرقية، وما عادت جامعة الدول العربية كشأنها من يوم تأسست تجدي نفعًا في حل الأزمات العربية، وبعض من دولها تعصف بعلاقاتها السياسية والأمنية خلافات حدودية أدت بأحد طرفيها إلى التطبيع مع الكيان الصهيوني.

وما زالت ثورات الربيع العربي في حالة كمون تنتظر الوقت المناسب لتشتعل ثانية متى ما توافرت شروط اشتعالها وانتفت موانعه، وما زال ملف حقوق الإنسان يشهد تدهورًا حيث القمع يتزايد والقتل خارج القانون يستمر والسجن للأقلام الراشدة والعقول المفكرة من الصحفيين والعلماء بات فوق النكران، والضائقة الاقتصادية ما فتئت تعصر الإنسان العربي وتذل هامته، وبعدت الحرية السياسية أكثر مما كانت فيه، كما أن حل إشكالية تداول السلطة والثروة بنظام سياسي حر وعادل بات أبعد مما كان متصورًا.

وتتلخص أسس بناء الإنسان العربي المسلم في هذه المرحلة فيما يلي:

– الجمع بين عبودية التوكل وعبودية الأخذ بالأسباب في التخلص من الاستضعاف

- تأهيل الذات بالبناء الفكري وتعزيز ثقتها بقدرتها على التغيير
- استهداف شريحة الشباب والتركيز عليها
- محاربة النهج الطائفي وتقوية المناعة ضده
- رفض العنف وإدراك أن إثمه أكبر من نفعه
- اعتماد خطاب المواطنة المتساوية وهويتها الجامعة
- مناهضة الاستبداد السياسي والتحرر منه

في ختام هذا الحوار الصريح ليس بوسعنا إلا أن نتقدم إلى الأستاذ الدكتور جلال الدين محمد صالح رئيس مجلس شورى رابطة علماء إرتريا بأسمى آيات الشكر والامتنان لما اقتطعه من وقته الثمين للإجابة على تساؤلاتنا، ونسأل الله له تحقيق ما يصبو إليه في الجوانب العلمية والدعوية والمجتمعية، إنه سميع مجيب وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



العيادة اللغوية

المؤلف: الخبير اللغوي الدكتور أحمد كسار الجنابي
الناشر: مؤسسة البصائر للدراسات والنشر
سنة الطبع: 2022

البيان الختامي للمؤتمر الثالث للميثاق الوطني العراقي
تحت شعار
(رؤية وطنية واقعية للحل المنشود وإنقاذ العراق)

عقد الميثاق الوطني العراقي مؤتمره الثالث يوم السبت الموافق 1-10-2022م، بحضور نخبة طيبة من الشخصيات والقوى العراقية والعربية والتركية؛ ممن جمعهم حب العراق والقضايا المصيرية المشتركة في وقت مفصلي وحساس من تاريخ العراق والمنطقة، التي عصفت بها الأزمات المتتالية، ولاسيما بعد الاحتلال الأمريكي البريطاني للعراق عام 2003، ثم التدخل الإيراني السافر بالشأن العراقي والعربي، وإذكاء الطائفية وتقسيم المجتمعات من خلال ممارسة سياسات القتل الجماعي وملء السجون بالأبرياء والفساد والتغيير الديموغرافي والثقافي والتهجير القسري وإزاحة كتل بشرية على أسس طائفية وعنصرية مقيتة؛ تمهيدًا للهيمنة والاستيطان الخطير كما جرى في العراق وسوريا ولبنان واليمن، وخطرها مستمر على بقية الدول العربية والإسلامية؛ لإخراجها من دائرة التأثير الإيجابي في قضايا الأمة المصيرية.

إن أساس استمرار الأزمة بل الكارثة الكبرى في العراق هي العملية السياسية التي فرضها المحتل ودستورها الخطير، التي بدأت بما يسمى (مجلس الحكم) ثم تسليط الأحزاب والميلشيات الموالية لإيران والمتعاونة مع المحتل على الشعب العراقي طوال تسعة عشر عاما؛ عملت فيها على تدمير العراق دولة وشعبا، وقتلت مع الاحتلال ما يقرب من مليوني عراقي، ويتمت خمسة ملايين طفل، وخلفت مئات الآلاف من الأرامل وهجرت ما يقرب من ستة ملايين عراقي، فضلًا عن مليون ونصف نازح تحولت مدنهم إلى معسكرات للمليشيات والمنظمات الأجنبية الإرهابية، ومازالوا إلى الآن يعيشون في مخيمات تفتقد إلى أدنى مقومات الحياة.

لقد سيطرت إيران من خلال ميليشياتها وأحزاب السلطة على الحدود العراقية واستخدمت الاقتصاد العراقي والمؤسسات الحكومية لرعاية نشاطاتها في المنطقة حتى أصبح العراق طريقًا استراتيجيًا لمشاريع إيران وربط طرقها البرية وصولا إلى البحر الأبيض المتوسط؛ بمباركة أمريكية ودولية.

وقد وقف الشعب العراقي بوجه الاحتلال الأمريكي ومن ثم الاحتلال الإيراني بكل الوسائل الممكنة بمقاومة المحتل عسكريًا وسياسيًا وإعلاميًا ومن خلال مظاهراته المستمرة، وكشف العراقيون أقنعة المحتلين الأمريكي والإيراني وأدواتهما في العراق؛ ودفع أبناؤهم ثمنا باهضا جدا وما زالوا يدفعون ثمن مقاومتهم المحتل ومشاريعه التدميرية في المنطقة،

فلم يكن العراقيون يدافعون عن العراق فحسب وإنما عن المنطقة كلها؛ ولعل وصول نسبة الفقر إلى 50% وامتلاء السجون بالمعتقلين والمعتقلات وانهيار القطاع الصحي والتعليمي والتهجير والقتل والأوضاع الكارثية التي تصيب العراقيين؛ هي جزء من هذا الثمن.

بل إن وصول العملية السياسية إلى طريق مسدود والصراع المحتدم بين أقطابها هو بفضل صمود العراقيين وصبرهم ورفضهم لأحزاب السلطة وميلشياتها؛ وهو ما يدعونا إلى أن نوجه تحية إجلال وإكبار للشعب العراقي الذي قدم الغالي والنفيس في مواجهة المحتلين الأمريكي والإيراني، والانتفاض على التبعية والخنوع الذي يجعل العراقيين غرباء في وطنهم وتحت وصاية الأجنبي.

وبناءً على ما تقدم فإننا في الميثاق الوطني العراقي نؤكد –بعد اختتام أعمال مؤتمرنا– على الآتي:

أولًا: إن العملية السياسية في العراق وصلت إلى طريق مسدود وفشل ذريع، وتسببت باستمرار مأساة الشعب العراقي وسلب سيادة العراق واستقلاله، وأن الصراع بين أقطابها على السلطة والمغانم مستمر باستمرار العملية السياسية المرعية دوليا وإقليميا، وقد كشف الصراع حقيقة ازدواجية التعامل القانوني مع مجريات الأحداث من اقتحام للبرلمان والمواجهات المسلحة داخل المنطقة الخضراء، أمام أنظار الأجهزة الأمنية والقضائية التي لم تحرك ساكنا لمواجهة الميليشيات وأحزاب السلطة، مع أنها استخدمت القوة المفرطة والقتل واختطاف المتظاهرين السلميين المطالبين بحقوقهم المسلوبة!.

ثانيًا: إن الحل في العراق يكمن في بناء نظام سياسي حقيقي يعتمد على دستور وطني مكتوب على أسس قويمة، على أنقاض النظام السياسي القائم حاليًا، ونبذ الطائفية والإرهاب بكل أشكالهما والتأكيد على ضرورة التعايش السلمي والعمل الوطني الجمعي لبناء الوطن.

ثانيًا: إن التظاهر السلمي والعصيان المدني وممارسة الوسائل المشروعة لاستعادة الوطن هو حق أساسي وعنصر جوهري في استرجاع الحقوق المسلوبة، نؤيدها وندعم تطلعات الشعب العراقي، ونرفض المساس والتنكيل والتضييق على العراقيين من قبل السلطات الحكومية وميلشياتها، كما ندعو العراقيين إلى المحافظة على وحدتهم والاستمرار في فعالياتهم لتحرير بلادهم.

ثالثًا: ندعو العراقيين إلى توحيد صفوفهم، وتقديم مصلحة العراق وشعبه استعدادا للمرحلة القادمة للمساهمة الفعالة في التغيير، وبناء نظام سياسي على أسس وطنية، يخدم مصالح العراق وشعبه، ويساهم في بناء مؤسسات الدولة واستقلالها بعيدا عن التأثيرات الداخلية والخارجية.

رابعًا: ندعو جميع القوى العربية الحية، ولاسيما العراقية والسورية واليمنية واللبنانية؛ لتنسيق المواقف وتوحيد الجهود للتصدي للمشاريع الإيرانية السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية.

خامسًا: بات من الضروري حسم عدد من القضايا الخطيرة في العراق، ومنها:

1– حل الميليشيات المسلحة ومحاكمة عناصرها وطرد المنظمات الإرهابية من الأراضي العراقية، التي تدعمها إيران بالمال والسلاح والتدريب وتوفر لها بالتعاون مع الميليشيات في العراق مقرات ومعسكرات أنشئت في المدن التي هجر أهلها، تحت مرأى ومسمع السلطات الحكومية وفي مقدمتها ميليشيات ال (PKK) التابعة لحزب

العمال الكردستاني الإرهابي التي تحتل سنجار وتهجر أهلا.

2- عدم استخدام الأراضي العراقية لإرسال الميليشيات والأسلحة لقتل الشعب السوري، وجعل العراق ممرا للمخدرات إلى الدول العربية والإسلامية.

3- إرجاع النازحين إلى مناطقهم وإخراج الميليشيات المحتلة منها، وتعويضهم وبناء المدن المنكوبة.

4- إطلاق سراح المعتقلين والمعتقلات ومعالجة المصابين من ضحايا الحروب والتظاهرات، وتقديم الرعاية للأيتام وعوائل الشهداء.

5- منح الأوراق الثبوتية للعراقيين جميعا؛ ورفع الملاحقات السياسية المغلفة بإجراءات قضائية مسيسة تمهيدا لعودة الكفاءات والعوائل العراقية المهجرة إلى وطنهم؛ لإنهاء التغيير الديموغرافي، وتحقيق العدالة الاجتماعية.

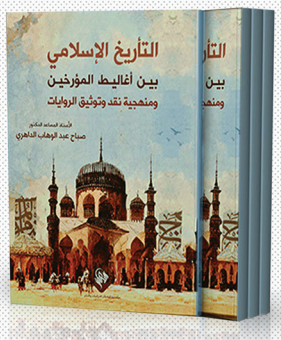
وختامًا: نحيي جهود كل القوى العراقية التي تعمل على إنقاذ العراق بإخلاص، كما نحيي وقفة الشرفاء في وطننا العربي والعالم إلى جانب الحق والمطالبين به وهم بذلك يقفون مع إنسانيتهم ضد باطل غاشم لا يرضاه الله، ولا تقره الأعراف وقوانين حقوق الإنسان.

وإننا في الميثاق الوطني العراقي نعاهد الله تعالى والعراقيين أن نبقى ثابتين على موقفنا المناهض للظلم والفساد طال الزمن أو قصر، وأن نبذل ما في وسعنا لإحداث التغيير الحقيقي في العراق.. سائلين المولى عز وجل أن يوفقنا ويسدد خطانا، وهو تعالى نعم المولى ونعم النصير.

اللجنة العليا للميثاق الوطني العراقي
في الأول من تشرين الأول 2022م
إسطنبول – تركيا

إصدارات البصائر

مركز الأمة
للدراسات والتطوير



التاريخ الإسلامي
بيـــن أغاليـــط المؤرخيـــن
ومنهجية نقد وتوثيق الروايات



الكتابة العربية
نشأتهـــا وتطـــورهـا



مقاومة عشائر الفلوجة
للاحتـــلال البـــريطـــاني
وأثرها في ثورة العشرين

www.ummacenter@gmail.com
alummacenter
+9647500180402
ummacenter1

مركـز الأمـة
للدراسات والتطوير

تابعـــونا الآن عبر
موقعنا الإلكتروني

www.alummacenter.com





العـــدد
السابـــق